تأليف

دايل كارنيجي

مؤلف كتاب دع القلق وابدأ الحياة
وكيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس

كيف تكسب
الثروة والنجاح والقيادة

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

– النجاح في الحياة امر سهل على من يحاوله ويستعد له ..

– في هذا الكتاب من النصائح والعظات واسباب النجاح ما لا تجد مثله في كتاب آخر ..

– فان اردت نجاحاً وسعادة وسيادة وقيادة للمراكز العالية والدوائر الكبيرة فما عليك إلا العمل بها وسلوك الطريق الذي سلكه سواك من الناجحين ..

مقدّمة

هذا الكتاب جديد في موضوعاته واغراضه ، جمعت فصوله من الدراسات التي قام بها الكاتب الأميركي الشهير (دايل كارنيجي) والمحاضرات التي ألقاها ، في بعض الجامعات الأميركية وغيرها من المؤسسات الثقافية ، داعياً الشباب الى العمل والإحسان في العمل .. منادياً بالمثابرة وعدم التردد ، ناصحاً بالثقة في النفس ، والإيمان بأن المرء سوف ينجح ما عمل وثابر وأحسن .. وان قوة لن تقف في سبيله ولو كانت حديداً وجبالاً ..

و (كارنيجي) عالم أميركي مشهور ، وداعية من دعاة التفوّق والنجاح في الحياة ، انتشرت دعوته وراجت كتبه ، ونجحت نصائحه ، طبع من كتابه « كيف تكسب الأصدقاء ، وتؤثر في الناس » ما يقارب الخمسة ملايين نسخة ، حتى غدا علماً من اعلام القوة والثبات والعمل للتفوّق في الحياة ..

وهــذا الكتاب لون جديد من ألوانه ، يدعو فيه الى الثروة والسعادة والقيادة موكداً استطاعة كل انسان الوصول الى هــذه الأهرامات الثلاثة اذا أحسن وسار على الطريق ، وسلك السبيل القويم ..

في هذا الكتاب من النصائح والمعلومات وضروب الأمثال ، ومفاتيح النجاح والفــلاح ، ما لا تجده في كتاب آخر ، حتى ولا في كتب عديدة تجري على منواله ، وتضرب على وتره ..

وفيه من الآراء والأفكار الجديــدة ما تعتبر قراءتها طرفة من الطرف ،

وساعات من أجمـــل ساعات الاستجمام والاستغراق في التفكير السامي ، والتحليق في عالم الأمل والخيال والأحلام، التي ان أحسن المرء تدبيرها وقيادتها مضت به مسرعة الى الأمجاد وعظيم الغايات ..

كم من أمل انقلب حقيقة ..

وكم من حلم أصبح امراً واقعاً ..

. . .

إننا رجال لا نريد ان نحيا فحسب ..

اننا نريد ان نتذوّق لذة الحياة ..

وهذا يتطلب صحة البدن وتوفر العقل والارادة القوية ، فالصحة ليست في خلو البدن من الأمراض ، وانما هي نشاط لا يفتر .. واعتماد دائم على النفس، وعمل ملحّ لنشدان السعادة ، وبلوغ الأهداف العالية ..

هـــذا الكتاب يفتح امامك أبواب الآفاق البعيدة ، والأغراض السامية ، والحياة المثمرة الناجحة الفائزة ، ان أخذت بنصائحه ومضيت في تنظيم حياتك على طريقته ، كما فعل كثير من الناجحين والفائزين ..

وما كنا لننقله اليك لولا إيماننا بأنه كذلك ..

فاقرأه مرة وثانية وثالثة ، وجرّب ان يكون الى جانب سريرك لتقرأ فيه فصلاً او اكثر قبل ان تغمض عينيك .. لتحلم بالثروة التي تنتظرك .. والسعادة التي تواجهك ، والقيادة التي سوف تلقي مقاليدها اليك .. اذا رفعت رأسك ، ومحوت كلمة الفشل من قاموسك .. وأقسمت على نفسك لتبلغن ما تريـــده ولو تعلق بالسحاب ..

— ١ —

صحتك تطيل شبابك وسعادتك

هذا الكتاب

قال ضارب البخت للمرأة التي جاءت تسأله عن حظها :

— ستظلين فقيرة بائسة حتى الأربعين من عمرك .

فقالت المرأة في شيء من الأمل والرجاء :

— ثم ماذا بعد الأربعين .. ؟

فأجابها : بعد الأربعين تكونين قد تعوّدت على هـــذه الحياة فتقنعين بها وتهدأين .. وتسكتين ..

فما رأيك انت ايها القارىء ؟

أتريد ان تظل طوال حياتك بائساً فقيراً ، أم تريد ان تعرف كيف تكون في الحياة سعيداً ناجحاً ؟

على جوابك هذا يتوقف مصيرك .. كما يتوقف على ان تعرف كيف تكون اليوم أسعد منك في الأمس .. وكيف تكون في غدك أسعد منك في أمسك ..

يقول (موراي بانكس) في كتابه الشهير (كيف تعيش مع نفسك) .. : ان الذكاء الانساني يبلـــغ غاياته عندما يصل الصبي الى السادسة عشرة من العمر واما بعد هذا فلا شيء أمامك إلا ان تتعلم كيف تستعمل ذكاءك على الوجه الأفضل والأحسن ..

والثابت اليوم ان أذكياء الناس ليسوا دائماً من السعداء .. وسبب ذلك انهم

لم يكيـّفوا ذكاءهم وفاقاً لمطالب الحياة .. أو انهم لم يفيدوا من ذكائهم لتحسين حياتهم ، فيصبحون ضحية لجهلهم وعبيداً لنزعاتهم العاطفية ..

يقولون ان هناك امرين لا يجب ان يغضب لهما المرء ..

ما يستطيع عمله ، وما لا يستطيع عمله ..

فشخصيتك وحياتك وصحتك ، في مقبلات أيامك وحياتك اشياء تستطيع حتماً صيانتها وتقويتها وتعزيزها ..

ورغبتك في معرفة المزيد عن نفسك ، وكيف تعيش على أحسن وجه ، بصحة دائمة ، وشباب مشرق ، محرراً نفسك من العبودية والاسترقاق النفساني ، ناجحاً في اعمالك غنياً في مواردك .. كل هـذه الامور باستطاعتك عملها ، والوصول اليها ..

ولمساعدتك لبلوغها والافادة منها صار وضع هذا الكتاب ..

كيف تظل شاباً

يجب ان يكتب على شواهد قبور بعض الناس هذه الكلمات ..

توفي في الثلاثين

ودفن في الستين ..

فالأحياء الموتى كثيرون في الدنيا ..

ما معنى « الشباب »

هـل شاهدت في حياتك شباباً بدون شباب .. انظر الى مستشفيات الأمراض الصحية ترى شباباً عاشوا حتى العشرين أو اكثر قليلاً من عمرهم ، ثم انتهوا وأصبحوا في الغابرين ..

أتريد ان تعرف متى تكون شيخاً عجوزاً .. ؟

هذه احدى الطرق التي تعرف بها نفسك وفيما اذا كنت لا تزال شاباً .. أم

اصبحت عجوزاً ..

عندما تسأل نفسك ..؟

« لهفي على الأيام التي سلفت .. حين كنت شاباً ، أو فتاة في فجر الشباب واشراقة الحياة ..

« كان عليك ان تراني .. والى اي مكان كنت اذهب ، وماذا كنت افعل ، تعال اجلس الى جانبي أحدثك عن الماضي واخبار الماضي .. »

توقف عن التفكير بالماضي والتلهف لما سلف ومضى من أيام واحداث ..

لقد اصبحت الحياة عند بعض الناس جحيماً ، لما يصرفونه من أيام وليال ، يندبون فيها ماضيهم وشبابهم .. وما لم يوفقوا للوصول اليه من آمالهم وأمانيهم ..

والبعض الآخر يذهبون الى اكثر من ذلك فيقول احدهم لنفسه :

– لو أعود الى حياتي الأولى وأيامي السالفة لما كنت ارتكبت هذا الخطأ ..

طبعاً لن ترتكب هذا الخطأ نفسه ، ولكنك سترتكب ما هو أسوأ منه وأفظع ..

لقد قال (ويليام ليون فلبس) وهو كاتب اميركي شهير :

– كل الذين يجاوزون الأربعين يضعفون جسدياً ، واما عقلياً فان بعض الرجال والنساء يحافظون على ذكائهم ومضاء ذهنهم حتى النفس الأخير ، مهما طال بهم العمر ، وامتدت الحياة ..

« شرط المحافظة على صحتهم ، وان يتابعوا اهتمامهم بالدنيا حولهم ..

« هؤلاء بالتأكيد يطول بهم العمر اكثر من اولئك الذين يضعف فضولهم ، ويهون إيمانهم بالحياة ..»

فاذا أصبح عقل الانسان مليئاً بالأخبار الماضيات بدلاً من النظر للحاضر ، والتحفز للمستقبل ، فهذا الرجل قد ولى .. وأصبح من العاجزين ..

ومع ان علماء التشريح يعتبرون سن الثانية والعشرين مقدمة لابتداء الضعف الجسدي .. فإن الخيال الخلاق وهو سبيل الانسانية للسعادة والأعمار ، يبلغ غاياته في الأربعين ..

وبعض الخالدين من الكتّاب والشعراء والفلاسفة والفنانين اعطوا العالم أحسن ما عندهم حين بلغوا من العمر عتياً .. و (غوته) الشاعر الألماني العظيم كتب القسم الثاني من (فوست) بعد السبعين من العمر ..

واما الفنانون فيضعون أحسن آثارهم بعد الخمسين ..

وأما الأطباء فبعد الرابعة والخمسين ..

وكبار رجال القانون في السابعة والخمسين ..

وكما قال (فيكتور هيغو) الشاعر الفرنسي الشهير :

— سن الأربعين شيخوخة الشباب ..

« وسن الخمسين هو شباب الشيخوخة .. »

ولقد سأل احد الصحفيين رجلاً عجوزاً في الثمانين :

— ما السبب في طول حياتك ؟

فأجابه العجوز :

— لست أدري على وجه التحقيق، ولكن آكل قليلاً ،وأنام باكراً ، ولا أشرب الخمرة إلا نادراً ، ولا أتعاطى المخدرات أبداً ، وأدخن قليلاً ، وأحاول ان لا أحمل هماً ، واستقبل الدنيا في كل صباح مؤملاً متفائلاً .. ولا أفكّر في الموت أبداً .. وأعمل كأني سأعيش ابداً ..

والواقع انه كلما استطعت إطالة شبابك ، كلما قصّرت الأيام التي تصبح فيها شيخاً عجوزاً ..

ولكي يظل شبابك ، عليك العناية بصحتك ..

ولكي تعنى بصحتك على الوجه الأكمل ، عليك ان تملأ نفسك بالأمل للوصول إلى أعلى الدرجات وأسمى المراكز ..

ارادة الحياة

لما أنشد المتنبي هذا البيت ونقلوا معناه الى الغرب :

غاية العيش صحة وشباب ﻓﺎﺫا ولّيا عن المرء ولى ..

أعجب به قوم وفكّر بمعناه البعيد آخرون.. كما أنكره فريق ثالث لا يؤمن بأن الشباب كل شيء في الحياة ..

ذلـــك اننا نرى كثيرين ممن عرفتهم ولا نعرفهم من الشيوخ والعجز — في ميدان العمر طبعاً — أنشط من الشباب جسماً ، وهمة وعملاً وانتاجاً .

واذاً فالشباب ليس كل الحياة ..

وان كان بالتأكيد من العوامل الفعالة في الحياة ..

الصحة الجيدة ، هي الشباب الدائم باعتقادي ..

والرغبة في العمل والنجاح والقيادة والاحسان هي التي تطرد المرض وتتغلب على كل مفاجآت الحياة وأهوالها .. خذ مثلاً قصة هذه المرأة التي سقطت مريضة وكانت تعمل في حقل التعليم وتشرف على احدى مؤسسات التربية ..

تمددت على فراشها بين الموت والحياة ، حين سمعت حديثاً خلف بابها يدور بين فتاتين تعملان معها ..

كانت احداهما تقول للأخرى :

— لو استطعنا التحدث اليها ، واخبارها كم نحن بحاجة اليها ..

وسمعت المريضة الحديث .. وفي صراعها ضد الموت ، أحست بقوة جديدة جارفة تمدها بالمزيد من المقاومة ..

والرغبة في ان تعيش سنوات اخرى لتعمل وتخـــدم وتعلّم وتفيد الجيل الناشيء الذي كان بحاجة اليها ..

ونجحت في معركتها ضد المرض ، بعد ان قطع الأطباء الأمل من شفائها ، وهذه حادثة من آلاف الحوادث .. أكّدها الطب .. وأيّدها العلم ..من انه اذا كان للمرء غاية يعيش لأجلها وعمـــل يحاول اتمامه ، ومشروع في سبيله لإقراره ، فان هذا كله يمده بقوة دافعة ضد المرض .. أي مرض .

لا تقطـــع الأمل من الحياة أبداً .. قاوم .. دافـــع .. حارب حتى الساعة الأخيرة ..

فان نجحت فأنت امام حياة جديدة تحياها .. وان فشلت .. فخير لك ان تموت في وسط المعركة ، لا ان تموت هارباً يائساً مستسلماً ..

وهذا الكتاب كفاح ضد المرض واليأس والفشل وسلاح ضد الاستسلام والهزيمة.. يعلمك التفاؤل ، ويدلك على سبل الكفاح ، ويفتح أمامك آفاقاً من الحياة البعيدة سواء أكنت في سن الشباب أم في سن الشيوخ ..

• • •

يقول الدكتور (ارنولد هوتشنكر) خريج جامعة (فردريك وليهلم) في برلين :

« ان كثيرين من المرضى الذين يقصدون عيادات الأطباء لا يجدون لأمراضهم نهاية ، رغم الأدوية التي تعطى لهم ، والعناية التي يلاقونها ..

« انهم يعانون من عوارض مختلفة ، بعضهم يشعر بالتعب ، والبعض الآخر لا يستطيع نوماً ، وآخرون يحسون بألم في اقدامهم ، وقسم منهم يتعرّض لبعض الحالات العصبية ، ولكنهم جميعاً يحسون بالتعب العام ..

« والجميع في بعض الحالات يتحدثون بحسد عن رجل يعرفونه ، ينعم بقوة جارفة وشهية عظيمة ، ينام حين يشاء ، ويستيقظ نشطاً متى يشاء ..

ويقولون وهم يضربون كفاً بكف :

— واما نحن فنستيقظ اكثر ارهاقاً وتعباً مما كنا قبل النوم ..

هؤلاء المرضى المتعبون لا يدركون ان الرجل النشيط لا يصدر المزيد من القوة الداخلية ، وانما يحسن استخدامها في سبيلها القويم ..

واما قوتهم الداخلية فيبدو انها تذوب كما يذوب ماء الجدول في الرمال ..

ذلك ان هناك قانوناً علمياً يؤكد عدم ضياع أية قوة في الانسان .. واذاً فأين تذهب قوة هؤلاء المرضى ؟؟

يفحص الأطباء المريض بما عندهم من كل وسائل البحث والتحقيق والتخطيط ، فيختلفون في المرض اختلافاً كبيراً احياناً ، صغيراً احياناً اخرى ،

واذا ما عمدوا الى مداواة داء في المريض ظهر امامهم داء فيه آخر ..

فما الخطأ في هؤلاء القوم ؟

أيمكن ان تكون قوتهم معرضـــة لكفاح داخلي يـــذهب بها ، أو يضعفها دائماً .. ؟

والواقع ان الانسان أبداً في حرب مع نفسه ، مـــع جسمه .. مع تركيبه الفسيولوجي الداخلي .. كما هو حال الدولة إذا كانت في حرب مع بعض العناصر الداخلية الثائرة على نظام الحكم فيها ، او التي تحاول تغيير هذا الحكم واستبداله بما تعتقد أنه أقوم وأحكم وأفضل ..

والمرء كالدولة يحاول جاهـــداً القضاء على هذه العناصر الثائرة في كيانه الداخلي ، حتى اذا أعجزه الأمر بمفرده ، عمد الى الطبيب يستشيره ، ليجد في اكثر الأحيان ان الطبيب مثله عجزاً عن اخماد هذه الثورة الداخلية ..

ذلك انه لن يتاح للطبيب معالجة المريض إلا اذا عرف سبب المرض ، وما أحـــدثه من تخريب في جسم المريض ، وعندئـــذ فقط يستطيع معالجته وشفاءه ..

وهناك شيء آخر يجب ان يعرفه كل منا ، وهو ان الانسان لا يتعرض للمرض بسبب الجراثيم فحسب ، وانما يدهمه المرض أو يساعد على الداء ، اذا جعل المرء للحصر والارهاق والكدر والغضب ، وحمـــل الدنيا في العرض ، وحسد الآخرين ، واقبل على اللهو والعبث والشراب والسهر المتواصل ، سبيلاً الى اضعاف جسمه ، وإيذاء صحته ، ولهذا كان العمل للمحافظة على الصحة من واجبات الانسان الأول ، حتى يـدرأ عن نفسه عوادي الأمراض المختلفة ، وحتى يستطيع استقبال المرض فيما اذا أقبـل عليه بجسم صحيح ، وارادة متينة . وحتى يظل شاباً يصارع الحياة ويعمل للت[illegible] عليها ..

والشباب بالتأكيد ليس يقوم على العمر في حال من الأحوال ، فقد شاهدنا شباباً يهرمون في شبابهم ، ورأينا شيوخاً كالشباب رجولة وصحة ورشاقة

وحركة ..

واذا كان الأمر كذلك فما هي الشيخوخة وما هي اسبابها ؟

واذا اسرعت الشيخوخـــة الى بعض الناس ، وتباطأت عند آخرين فمرد هـــذا الى ما قدمناه ، من احتفاظ المرء بصحته ونشاطه وحيويته ، فاقبال الشيب على المرء ليس دليلاً على الشيخوخة ، فقد رأينا شباباً قـــد دبّ الشيب في رؤوسهم ..

وليست خفـة البصر من علامات الشيخوخة ، فقـد شاهدنا كثيرين يضعف بصرهم منذ الصغر ..

وان كان هذا وذاك من اعراض الشيخوخة ، التي هي كثيرة وعديـــدة ، والتي منها ضعف الحيوية الجنسية ، والذاكرة ، واضطرابات الأوعية الدموية ، وتصلب الشرايين وهي اعراض لا بد ان يتعرّض لها من بلغ السبعين من العمر ، وقد تأتيه خفيفة هادئة لا إرهاق فيها ولا إزعاج اذا أحسن المحافظة على صحته ، وعنى بنفسه ، واحتفظ بشبابه ..

واما اذا دهمته حين يستوي كهلاً ..

فدليل حتمي على انه ضعيف الصحة ، وانه قد أسرف على نفسه ، وأفقد جسمه قوة الدفاع والمقاومة ، وعندئـــذ فهو بحاجة الى عناية صحية دائمة ليسترجع ما فقده ، ويعود الى شبابه ..

وقد أثبت العلم الحديث ان للوراثة أثراً في اطالة العمر ، وان بعض العائلات يعمرون ، وآخرون يموتون بين الأربعين والخمسين ..

وأعرف شخصاً لمـــا بلغ الخامسة والستـــين من عمره كان يردّد كلما اخذ مجلسه الى جانبي : بأنه لن يعمر الى اكثر من السبعين ..

سألته : ولماذا هذا التحديد ؟

فقال : لأن والدي مات في السبعين ، ولحقت به امي في مثل هـــذا العمر وكذلك كان حال جدي ! .. ولا بد ان يكون هذا مصيري ..

وفعلاً مات الرجل لما بلغ السبعين ..

ولكن هناك اسباباً للشيخوخة أكدها العلم وأقرّها، فتعرض الغدد للضعف وعدم قيامها بالإفرازات المفروضة بنسب محـــددة منتظمة يؤثر على الجسم ويضعف صاحبه ..

كما ان انهاك الجسم واستخدام طاقاته الى أبعد الحدود والغايات ، يستنفد حيويته ويعرّضه للمرض والشيخوخة في وقت مبكر ، وما مثل الجسم إلا مثـــل آلة من الآلات اذا اسرف الانسان في استخـــدامها تعرّضت للعطل والعطب ..

وأخيراً هناك تجاهل المرء للقوانين الصحية ، وعدم الأخذ بها ، فان كان شاباً أصبح شيخاً ،وان كان شيخاً ذهب لما به..وهذا أخطر أسباب الشيخوخة وأكثرها حتمية وشيوعاً ..



- ٢ -

عَالِج نَفسَكَ أولًا

•

قبل العلاج

علينا قبل المضي في طريق السعادة والنجاح والقيادة ان نبدأ بالعلاج النفسي ، نبحثه ونصف عوارضه ، ونحاول القضاء عليه ، فان فشلنا ، فلا خير في المضي قدماً في البحث المثير المفيد .

لن يفيدك طبيب ولا دواء ، ولا سبيل تسلكه في تغذيتك ورياضتك إلا اذا تمكنت من التغلب على الشعور بالنقص في نفسك ، ووضعت امامك هدفاً تعمل له ، وتسعى لبلوغه ..

ذلك ان اكثر مشاكل الناس شيوعاً وانتشاراً وأثراً في حياتهم .. شعورهم أو شعور اكثرهم بالضعف امام مشاكل الحياة ، او احساسهم في قرارة نفوسهم بالنقص امام الآخرين من زملائهم واقرانهم .. او ان يتملكهم إيمان جارف بعجزهم عن مواجهة واجباتهم اليومية ، على الوجه الأكمل والأفضل ..

وقد يذهب بنا الاعتقاد الى ان شباب الجامعات – عندما نشاهدهم في سهرهم ومرحهم وعبثهم ودروسهم – يشكلون طائفه مؤمنة بنفسها ، مطمئنة الى مستقبلها ، تفيض روحها عزيمة وإيماناً وثقة ..

ولكن الأبحاث النفسية التي أجريت على كثير من هؤلاء الشباب التلامذة ، أظهرت ان اكثر من تسعين بالمائة منهم ضعفاء النفوس خائري العزيمة ، يتهيبون مستقبلهم ، ويشكون بمقدرتهم على بلوغ ما يطلبون ..

هذا الشعور بالنقص له أثره في صحة المرء ومقدرته على المقاومة عندما يدهمه مرض أو يتولاه شر .. ولهذا كان همنا ازالته والقضاء عليه حتى اذا نجحنا في محاولتنا هــذه كان طريق السعادة والثروة والقيادة ممهـــداً امام الفائزين المؤمنين ..

الاستاذ (جوهن هومر ميللر) يردّ هذا النقص للمدنية الحاضرة ، والحياة الجديدة الآلية التي نحياها .. بل ويذهب الى ان هذه الحياة التي نحياها هى التي تولد هذا الشعور وتقويه .. فالمرء اليوم يقف على قدميه امام دنيا صاخبة ثائرة ، لا مكان فيها للضعيف العاجز ..

فمن أخفق او توقف في منتصف الطريق ، داسه السائرون خلفه ، دون ان يحاول احدهم مساعدته او سؤاله عن شأنه ..

واذاً فعلى المرء ان يعتمد على نفسه وان يقف على قدميه ، وان يبحث عن عمل له ، او ان يخلق لنفسه عملاً ، وان يحاول تقويته وتغذيته ، حتى يستطيع العيش منه ..

..

بعض هذه المحاولات تنجح ، وبعضها يفشل ، بعض هؤلاء الرواد المجاهدين يبلغون القمة ، وهم أبداً قليل جداً ، وبعضهم يحصلون على الثروة ، والبعض الآخر يصيبون كفافهم ،والأكثرية تظل في مكانها تعيش على أعصابها في زاوية من زوايا الحياة ، حياتها قاسية جاهمة ، ويومها متعب شاق ، ومواردهـــا قليلة ضعيفة ، ومتطلبات الحياة لديها اكثر مما تطيق ..

هذه الاكثرية يغلب عليها الشعور بالخيبة والعجز والارهاق ..

بعض هؤلاء يحاول تغطية هذا النقص في نفسه بالاحلام والاعمال ، وبواسطة الاشربة يحاول البعض الآخر نسيان نفسه ..

كما فعل ذلك الانكليزي الذي كان يعيش في (مانشستر) .. حين سئل لماذا يكثر من شرب الخمرة فأجاب :

– لأنها أقصر الطرق للخروج من (مانشستر) .. بواسطة الشراب هرب من المدينة ، او توهم انه غادرها حيث لا يجد العناء والارهاق واليأس القاتل لفشله في حياته ، وعدم وصوله لغاياته ، او عـــدم بلوغه ما بلغه سواه من نجاح .. او استقرار ..

بالشراب واحـــلام النهار قد يتمكن المرء من نسيان حاضره ولكن لفترة قصيرة من الزمن ، وهذه المحاولات شديدة الخطر على المرء نفسه ، فهي تؤكد فشله وتثبت عجزه ، وتجعل منه شخصيتين حين يشرب ، واخرى عندما يذهب عنه اثر الشراب ..

آخرون من امثال من ذكرنا يحاولون سبيلاً آخر ..

يفعلون ما فعله الذئب حين عجز عن الوصول الى العنب ، فوصفه بالحموضة ، فهؤلاء مثــلاً يقللون من قيمة كل شيء لم يتمكنوا من عمله ، او يهوّنون من شأن كل انسان سبقهم ونجح دونهم ..

انهم يحاولون تبرير فشلهم بالتقليل من نجاح الآخرين ..

هؤلاء الذين ينتقدون سواهم أبداً دون ان يأتوا بمثل ما أتى به غيرهم ، او يحاولوا البلوغ مبلغهم .. لا تحمل اقوالهم ونقدهم على محمل الجد ، ولا تلق بالاً لما يقولون ، ودعك منهم ومن المتواكلين ، واحزم أمرك على ان تحسن عملــك بصرف النظر عن قيمة هذا العمل ، لأنك اذا نجحت في العمل الصغير ، نجحت في الكبـــير .. وخير لــك ان تكون نجاراً بارعاً من ان تكون محامياً فاشلاً ..

وحين تسمع نقداً ظالمــاً من أحدهم ، فأذكر كلمة (سيبليوس) الموسيقار الفنلندي العظيم .. لأحد تلامذته ..

وقف التلميــذ يودع استاذه الكبير وهو يهم بالعودة لبلاده ، بعد ان أتم دراسته الموسيقية عنده ، ويشكو له ما يخشاه من الظلم من نقد النقاد في بلده ،

فقال له (سيبليوس) مهوّناً الخطب عليه :
— لا تدع هذا يقلقك .. واذكر ان امة من الأمم حتى الآن لم تقم تمثالاً لأحد النقاد ..

ولا ادري اذا كان سبب هذا، ان النقاد جماعة يهدمون اكثر مما يبنون ، أو انهم يظلمون في نقدهم اكثر مما يصلحون ..

لنواجه الحقيقة

واذاً فليكن من واجبنا ايها القاريء مواجهة الحقيقة ..

قبل ان تفكر بمداواة نفسك ، واصلاح الفاسد في جسمك ، اطرد فكرة النقص التي تساورك ، وإمْضِ في عملك بنشاط وحرارة ، وانا ضامن لك النجاح والفلاح ..

ولكن على شرط واحد .. وهو ان يكون هذا العمل مما يرضيك ويسرك ويلذك ، فان كان الأمر بالعكس فأنك لن تكون من الناجحين ابداً ..

النجاح مقرر ثابت في عمل يسرك ويرضيك ، وهذا يصدق في الأعمال الحرة كما يصدق في الوظائف ، وان كان في الأعمال الحرة اوسع مدى ، وأبعد اطرافاً وأوسع آمالاً ولغراضاً ..

فاذا طردت مخاوف النقص من نفسك ، وهذا مرض داخلي قد لا يفطن له الطبيب الذي يعالجك ، تفتحت الدنيا امامك ، واصبح بمقدورنا السير معاً في طريق النجاح والسعادة ..

ودعني أقول لك كلمة عن السعادة .. فهي لا تقوم بالمال قطعاً .. واعتقد ان اصحاب الملايين اكثر الناس متاعب ومشاكل .. السعادة في نظري هي القناعة .. القناعة بما يقدمه لك نشاطك في عملك ..

القناعة ببيتك وعنايتك بأولادك واهتمامك بمستقبلهم ، وان تخلق في بيتك جواً يجعله ربيعاً دائماً ، ويجعل الحياة فيه محببة عذبة ، حتى اذا انتهيت من

عملك كان كل همك بيتك ، حيث تقضي سهرتك مع اولادك وزوجك .. على مائدة الطعام المزينة ببعض الزهور ، والطعام الجيد المتواضع .. وفي الصالون امام الراديو او التليفزيون .. او ان تحاول مساعدة اولادك في دروسهم ، وان تجعل نفسك صديقاً لهم تشعر معهم وتحس باحساسهم ..

هذا الجو العائلي العذب المتواضع يجعل حياتك سعيدة ، بل ويمكنك من مواجهة متاعب الحياة بقوة الحديد وصلابة الفولاذ ..

جنّب نفسك هذا المرض الداخلي النفساني .. — مرض الخوف من الإخفاق والفشل — وانا ضامن لك السعادة وطول العمر ..

ولقد صدق الطبيب الشهير السر (ويليام اوسلر) حين قال :

— اننا لن نموت سريعاً من مرض نعرف بوجوده فينا ، ونحاول مداواته .. وانما نموت من مرض لا نعرف بوجوده ، فيضعف جسمنا ، ويشل حركتنا ، حتى اذا دهمنا مرض خارجي لم نستطع مقاومته .. ولا كنا على استعداد لمواجهته ..

عملية ناجحة

وقال الدكتور (دافيد هارولد فنك) :

«زارني في مكتبي ذات يوم رجل في الخامسة والأربعين. فلما استقر جالساً انطلق يقول : « انني مقضي عليّ بالفشل ، فما بدأت عملاً ومضيت فيه إلى خاتمة ناجحة قط . وانني لأعجب لماذا ينجح أشخاص أقلّ مني علماً ، ومعرفة ، واحساساً بالمسئولية ، وأفشل انا »

وسألت زائري : « تقول انك مقضي عليك بالفشل ؟ »

واطرق برأسه وهو يجيب :

— « هذا ما يبدو لي .. عندي احساس داخلي بأنني سأفشل في كلما أحاوله من اعمال ؟ » .

ومضينا في عملية التحليل النفسي ولم تنصرم أشهر قليلة ، حتى أدرك زائري انه لم يقض عليه بالفشل سوى نفسه ! حين تمثل نفسه في صورة الانسان الفاشل

واتجه هذا الاتجاه السلبي ، واطلق طاقة راحت تحقق له فكرته عن نفسه ، وتتجه به صوب الهزيمة !

وادرك زائري ان عقولنا غير الواعية مدفوعة دائماً الى تحقيق فكرتنا الذهنية عن انفسنا ، وان المرء منا اذا ما حوّل الصورة التي يحملها لنفسه الى صورة اخرى يتمثل فيها نفسه شخصاً ناجحاً ، كان أدنى الى النجاح وأقرب ..

ولم يمض وقت طويل ، حتى جاءني زائري ، مرحاً خفيفاً ، لينهي الي انه عين مديراً للمؤسسة التي يعمل فيها !

وقارنت بين هيئته هذه المرة ، وهيئته حين جاءني اول مرة ، فاذ الفارق واضح . لقد كان يبدو اصغر من سنه بسنوات ، كما ازدادت خطواته خفة ، وصوته حرارة ، ومصافحته قوة . ورأيت فيه مصداقاً لقول القائلين : « الحياة تبدأ في الأربعين » !

وفي وسع كل منا ان يتجنب الاخفاق ، والخيبة ، والشقاء ، وان يوجه دفة سفينته الى النجاح ، واصابة الهدف ، والسعادة ، اذا ما غيّر الصورة الذهنية التي يكنها لنفسه ..

هل سمع احد بمحام يكسب قضية ، او لاعب يكسب مباراة ، او جرّاح يجري عملية ناجحة وهو يضع الفشل نصب عينيه ؟

لقد سمعنا وعرفنا اشخاصاً ليس لهم من مزايا سوى ثقتهم بأنفسهم واعتدادهم بها ، ينجحون حيث اخفق من يفوقونهم خبرة ومعرفة ..

واذا نظرنا الى هؤلاء الناجحين نتساءل في عجب : « كيف تسنى لهم ان يبلغوا هذا النجاح ؟ » ونقارن بين ما وهبنا الله من صفات وميزات وما وهبهم ، فندهش إذ نرى اننا أوفر منهم حظاً في الصفات والميزات المؤهلة للنجاح !

فما هو السر ؟ أتراهم يتبعون « وصفة » سحرية تدنيهم من النجاح ؟

لو نفذنا الى عقولهم ، لرأينا ان « الوصفة » السحرية التي تدنيهم من النجاح ، هي الصورة التي يحملونها في اذهانهم لأنفسهم . لقد تمثلوا أنفسهم رجالا

ناجحين !

اما اولئك الذين توافرت لهم مؤهـــلات النجاح ومع ذلك فقد أخفقوا فالأغلب ان نفوسهم حافلة بالمخاوف والشكوك ، وربما بالكراهية لأنفسهم فهم لهذا عاجزون ان يتخيلوا أنفسهم رجالاً ناجحين .

ولقد زارني واحد من هؤلاء ، وكان أمله الأوحد ان يغـدو ممثلا سينمائيا. وفي كل مرة يعهد اليه بدور تمثيلي كان يتقن اداءه في البيت فاذا تقدم للتمثيل نولاه الخوف ، واخفق في الاداء !

نصحت لهذا الرجل ان يرسم على ورقة الصورة التي يحلم بأن يصل اليها ، ويضعها نصب عينيه بصفة مستمرة ، ولقد أصبح اسم هذا الشاب اليوم من بين الأسماء اللامعة في عالم السينما !

والرجل الذي يتوقع ان تمنحه الحياة بركاتها كلها ، يصيب فعلاً هذه البركات ، ذلك لأنه يتمثل نفسه شخصاً ناجحاً ، ولا يرضى بشيء اقل من النجاح .

والرجـــل الذي يقول : « لا ابتغي من الحياة سوى عمل يكفل لي القوت ويؤمنني شر الجوع » انما هو في الحقيقة يوقع على نفسه عقاباً نتيجة احساسات دفينة بالذنب لعلها غرست في نفسه منذ الطفولة . وصاحب هذا الرأي لا يحقق في الحياة اكـــثر من الصورة التي رسمها لنفسه رغم ما قـــد يتصف به من ميزات ومواهب .

وثمة شخص آخر ينأى بنفسه عن النجاح ، لأنه يهيم في احلام اليقظـــة . انه يتمنى النجـــاح ولكنه عاجز عن اصابته ، انه يتخيل نفسه في احلامه رجلاً عظيماً ، ولكنه في دنيا الحقيقة يعجز عن التعبير عن نفسه والانطلاق على سجيته .

ولو ان الاخفاق هو الذي تمثل للكتاب ، والفنانين ، والعلماء ، فكم كان يصبح عدد الكتب التي كتبت ، وعدد اللوحات الفنية التي أنتجت ، وعدد الكشوف والمقترحات التي أنجزت ؟

والحقيقة انه ليس من شأن هذا الكتاب ان يقـــدم للقارىء وصفة للسعادة والثروة ، والصحة والقيادة .

ويكتفي بهذا ويمضى ..

المهم عندنا تحسين صحة المرء نفسياً ، وتدريبه على مقاومة المرض بروحه لا بالأدوية فحسب ، وان نخلق حوله جواً من السعادة والكفاية والقناعة تزخر بمقومات المقاومة لكل متاعب الحياة ومتاعب الجسد ..

فاذا بلغنا هذه الغاية كانت العناية بالجسد اهون الحالتين ، واصبح بامكاننا الاطمئنان الى النجاح الصحي المطلوب ..

يجب ان نخلع من ذهن الانسان صورة الفشل في الحياة ، وان نحـــل محلها صورة النجاح ، فلو ظلت صورة الفشل مرتسمة في ذهنه وعقله لكان مصير كل النصائح التي نقدمها فشلاً وعبثاً ..

ولكي نستطيع تبديل الصورة الذهنية التي رسمها المرء لنفسه والتي أدت الى فشله علينا ان نساعده على تحديد هدفه وماذا يريد في حياته ..

كثيرون يحلمون باليوم الذي يصبحون فيه من الناجحين ..

فاذا سألتهم ما هو النجـاح الذي يطلبونه ، عجزوا عن وصفه ، ومن ثم تتبدد طاقات نشاطهم ، لأنهم لا يستهـــدفون شيئاً محدداً ، واذا فالخطوة الأولى هي تحديد الهدف ، كأن تحدد ما تريده من عمل لنفسك ..

تريد ان تكون طبيباً أم محامياً أم تاجراً أم موظفاً أم محاسباً .. أمصاحب عمل من الأعمال ، او صناعة من الصناعات ..

اختر لنفسك ، صناعات وتأكد اولاً انها تلذك وترضيك فاذا تبينت هدفك واضحاً فامض فيه نشطاً معتزاً واثقاً انـك ستكون من الناجحين ..

جميع الذين نجحوا في الحيـاة عرفوا ما يريدون ، اول ما بـــدأوا

معركة الحياة ..

ومن جعل هدفه نصب عينيه .. وركّز قواه في العمل لتحقيقه .. واطمأن الى انه سوف ينجح ، لن يفشل أبداً ..

هـذا هو المرض الأول الذي يجب ان يتجنبه كل شاب قبل كل شيء ..

مرض الشعور بالنقص والإخفاق والفشل في الحياة ، ومتى ظفر بهذا المرض ، واخرجه من حياته ، كان من السهل على الطبيب معالجته ، وعلى هذا الكتاب هدايته لما فيه سعادته وكمال صحته ونجاحه ..

ان هناك اموراً يجب ان يعرفها كل شاب منذ الصغر ، فالأشربة الروحية والتدخين ، خصوصاً الإكثار منها هي السبيل المستقيم السريع لتهديم صحة الشاب وجره الى الشيخوخة ..

انها تؤدي به الى تصلب الشرايين وآفات الكبد ، كما ان التدخين خصوصاً الإكثار منه يحرق الرئتين ويؤدي القلب ..

وعلى الشباب ان يعرف ايضاً .. اذا ما اراد المحافظة على صحته ، وان يسرع بمعالجة نفسه ، والذهاب للطبيب اذا ما أحسّ بأنه على غير ما يرام ، وان لا يتأخر عن الذهاب للطبيب في اول المرض ، وهذا القول طبعاً يصدق على كل انسان ، لأن اهمال المرض في بدايته ، يقويه ويغذيه ويمكنه من الجسم ، وقد تكون له نتائج خطيرة قد تؤدي الى الموت في بعض الحالات .. او الى معالجة طويلة ، ومصارفات كثيرة ، كان من الممكن تفاديها لو اسرع المريض بمعالجة نفسه قبل ان يستحكم به الداء ..

وهناك ظاهرة اخرى تساعد في اضعاف الانسان وتهريه ، وهي العمل المستمر المتتابع الذي لا تتبعه راحة مماثلة ، والسهر الطويل ، ونقص الأغذية ، والنظر الى الحياة من وجهها الأسود العابس فقط ، وحمل الهموم ومتاعب الحياة ، ويتبع مثل هذا عند المرأة الحمل المتتابع واعمال البيت اذا كانت كثيرة ، وطبعاً ستكون كذلك ما زاد عدد الأطفال ..

كما ستقل العناية بالأطفال في هذه الحالة ، واذا كان الزوج محدود المورد ، اصبحت الحياة شاقة تعسة ، واسرع الهرم الى الزوجين بالتأكيد .. ونقص غـــداء الجميع ، وهانت الحياة ، واصبحت السعـــادة آخر من يدخـــل البيت ..

والواقع ان اصحاب الموارد المحدودة الذين يكثرون من التناسل يجرمون نحو أنفسهم وأولادهم وزوجهم ، فلا هم يستطيعون تغذيتهم ، ولا بمقـدورهم تعليمهم .. وعندئذ يكون الوالد هو الذي فرض على نفسه حياة الشقاء ، وعلى اولاده الجهل والعمل اليدوي ، ولو عقل لأكتفى من الأولاد بمن يمكنه تغذيتهم وتعليمهم ..

ونحن الى هذا لسنا امام مرضى الأجسام فحسب، همنا معالجتهم وصلاحهم .. ولكننا امام مرضى الروح والنفس والأعصاب ، والعقول الصغيرة التي لا تفكر بالمستقبل ، ولا تحسب حساباً للطواريء ..

وبسبب هذا نحاول الجمع بين الأمرين ، ونقدم الوصفتين .. ونحاول خدمة هاتين الطبقتين من الانهيار العصبي الذي يؤدي الى الانهيار الجسماني والفشل في الحياة ..



- ٣ -

كُن شجاعاً في حياتك

مأساة

كنت ألعب يوماً – وانا صبي – مع بعض رفاقي في فناء منزل مهجور ، فسقط على يدي حجر هشّم احد اصابعي ، فذهب بي أبي الى الطبيب فقرر بترها ، وما كدت أسمع هذا القرار حتى ازداد صراخي وعويلي وبذلت جهدي لأقنع أبي بتأجيل البتر التي لا بد ان تودي بحياتي .

مع رقة شعور ابي وفرط حبه لي ، لم يزد على ان نظر اليّ نظرة صارمة وقال .

« هذ يا بني امر لا مفر منه .. وأحب ان تتعوّد مثلي ان ترضخ لحكم القدر ، وتحني رأسك للعواصف حتى تهدأ ، وإلا حطمتك او حطّمت أعصابك » .

وأجريت الجراحة ، وتحقق ما كنت أخشاه وفقدت اصبعي . ولكني لا اذكر ان هذا اهمني أو أقلقني في مقبلات أيامي ..

ومنذ بضع سنوات ، لقيت رجلاً قطعت يده اليسرى عند المعصم ، سألته : « هل يقلقك فقدها ؟

فقال : « يندر ان أفكر في ذلك ، فقد تعوّدته » .

والواقع انه ما من انسان يمكن ان تخلو حياته من المآسي والمتاعب ، وليس امامه في مثل هذه الحال إلا ان يسلك احد طريقين : طريق تلقي مصيبته

الرضا والإيمان والاقتناع بالواقع .. وذلك هو الطريق المستقيم السليم . وطريق التمرد والثورة على القدر ، وهو طريق كله عقبات وأشواك ولن تكون نتيجته غير زيادة المتاعب والأحزان .

وقد صدق « وليم جيمس » حين قال : ان تقبل المصائب بالشجاعة والتسليم للقدر هو الخطوة الأولى في سبيل النجاة من عواقبها »

وقريب من هذا ما قاله « شوبنهاور »: ان ترويض النفس على التسليم لأحكام القدر ، والشجاعة امام المصائب يعيننا على السير في رحلتنا في هذا العالم بسلام » .

مشيئة الله

وفي مقدمة الذكريات العزيزة التي احتفظ بها كتاب حكيم تلقيته من صديقتي « اليزابث كونلي » بعد ان فقدت ابن اخيها الذي كان عزاءها الوحيد بعد فقد ابيه وزوجها قبله ، وقد قالت في كتابها :

« في اليوم الذي احتفلت فيه امريكا بانتصار جيوشها في شمال افريقيا ، جاءتني برقية من ادارة الجيش بأن ابن أخي ، الضابط الشاب في تلك الجيوش يعدّ في حكم المفقودين . وبعد فترة وجيزة ، جاءتني برقية اخرى تنبئني بأنه مات ، وقد صعقت لهذا النبأ ، فقد كان ابن أخي هذا بمثابة ابني وأخي وزوجي في وقت واحد . وقد جعلني أحسّ بعد تخرجه في الجامعة ان الدنيا بدأت تبتسم لي وتقبل عليّ . وبدأت ارى فيه كل ما في هذه الدنيا من الجمال والخير . فلما فوجئت بنعيه الأليم انهارت آمالي وشعرت بأن الحياة لم يبق فيها شيء يستحق ان أعيش من أجله . فأهملت عملي وهجرت معارفي . واسترسلت في أحزاني وهواجسي . ورحت أتساءل في شبه ذهول :

(لماذا يختطف الموت هذا الشاب الحبيب الذي كان كل شيء لي في الحياة ، والذي ما زالت الحياة امامه فسيحة رحبة الآفاق ؟)

« وقررت ان استقيل من عملي ، وان أرحل الى مكان بعيد لا يعرفني فيه أحد ، أغتنم فيه الفرصة للانتحار والتخلص من نوبة الحزن الطاغي واليأس الشديد .

وحين شرعت أنظف مكتبي لتسليم اوراقي ، وجدت رسالة قـديمة من الفقيد العزيز قال فيها :

« لن انسى الحقائق الجميلة التي علمتنيها ، ومهما تبعد المسافة بيني وبينك .. فسأذكر دائماً نصيحتك لي بتقبـــل كل ما يجيء به القدر ، بوجه باسم ونفس راضية مطمئنة . »

أعدت تـــلاوة هذا الكتاب مرات ، فأحسست انه بجـــانبي وانه يقول لي :

– لماذا لا تعملين بما كنت توصينني بعمله ؟ أليس الأفضل ان تواصلي السير قدماً في طريق الحياة .. انها مشيئة الله ، ولا راد لمشيئته . ومهما يكن من شيء فسوف نلتقي عما قريب.

« وترك هـذا الخاطر في نفسي أثراً عميقاً . فعدت الى عملي وقد خفـَّت مرارة جزعي وأساي ، ورحت أركز كل تفكيري في عملي ، وفي خـــدمة شباب الجيش الذين كان الفقيد أحدهم، والتحقت بمدرسة ليلية ، كما رحت أبحث عن هوايات جديدة تـــلائمني ، وعن أصدقاء جدد اكثر اتفاقاً معي في الميول والعادات .. وانا أعيش الآن حياة أعمق وأوسع مما عرفت من قبل » .

ليست الظروف وحـدها هي التي تجعلنا سعداء او أشقياء ، فالواقع ان سلوكنا حيال هذه الظروف هو الذي يضع القواعد الأولى لسعادتنا او شقائنا . وفي أعماق كل منا قوى كامنة تجعل من السهل عليه ان يتحمل المصائب ويتغلب عليها .. وان خيـِّل اليه للمرء انه لن يستطيع ذلك .

كان « بوث تاركنغتون » يقول :

– « أستطيع ان أتقبل اي شيء تفرضه عليَّ الحياة إلا شيئاً واحـــداً هو العمى .

« ولما بلغ الستين من عمره ، نظر يوماً إلى السجادة التي تحت قدميه ، فلم يميز رسومها وألوانهـا . وعلم من الأخصائي الذي ذهب لأستشارته ان احـدى عينيه سوف تفقد نورها ، وان عينه الأخرى مهددة بمثل ذلك .

وعرف تاركنغتون كيف يواجه هذه الكارثة ، واستمع له إذ يقول في ذلك :

« لقد أجريت لي في علم واحد اثنتا عشرة عملية رجاء استعادة بصري ، ومع ان هذا الأمل لم يتحقق ، لم أثر او أتمرد إذ أحسست ان ذلك أمر لا سبيل الى الهرب منه ، ولا بد من الرضا به . وقد رفضت منذ الجراحة الأولى ان أنام في غرفة خاصة بالمستشفى ، مؤثراً ان اكون في جو كبير ضم كثيرين غيري ، حيث أخذت أحاول ان أشجعهم وأدخل الفرح إلى نفوسهم ، فكان ذلك يسعدني ويشجعني . ولما قضى الأمر ولم استعد بصري بعد كل تلك العمليات رحت أقول لنفسي ما قاله (ملتون) :

(ليس مؤلماً ان يكون المرء اعمى ، ولكن المؤلم ألا يكون قادراً على تحمل العمى) ..

الثبات امام المتاعب والمصائب

انها لحماقة كبرى تلك التي يقترفها من لا يتجملون بالصبر والإيمان حين تحل بهم الشدائد والنكبات . وأية حماقة اكبر من ان يثور المنكوب ويفقد رشده فيحاول في جنون ان يضرب الأرض بقدميه ، وان ينطح الجدران برأسه .. ان هذا المسكين لن يخفف بذلك من نكبته ، بل هو على عكس ذلك يضعف من قدرته على مواجهتها ، فيضاعفها من حيث لا يدري .

هل رأيت مرة جواداً ، أو ثوراً أو أي حيوان ، استسلم للحزن واليأس ، او حطّم أعصابه بالغضب والثورة ، لأن نكبة ما حلت بمرعاه ، او لأنه لم يكن موفقاً في عيشته مع انثاه .

ولست اعني بذلك ان ننحني بكل بساطة امام جميع المصائب والأزمات . فما دامت هناك فرصة لأن ينقذ المرء نفسه منها ، فمن واجبه ان ينتهزها ، وان يكافح في سبيلها . ولكن عندما يحكم العقل والمنطق بأن لا فائدة ترجى من

الصراع والكفاح فعلينا ان نكف عنها لنوفر على أنفسنا تحمل عناء جديد .
وقد سألت كثيرين من كبار رجال الأعمال عن مسلكهم ازاء الكوارث التي حلت بهم ، فقال لي هنري فورد :
« عندما لا استطيع ان اعالج الأزمات التي أصادفها ، فأنني أدعها تعالج نفسها بنفسها »
وقال لي « ك . كلر » مدير شركة كريزلر :
« عندما أواجه موقفاً حرجاً ، فأنني أفكر فيه وأبحثه من جميع نواحيه ، فان وجدت في استطاعتي ان أصنع شيئاً مجدياً للتخلص منه ، سارعت الى صنعه ، وإلا تعمدت نسيانه » .
ثم أضاف إلى ذلك قائلاً :
« انني لا أخاف من المستقبل ، ولا أعرف رجلاً في هذه الدنيا يمكن ان يعلم ما ستأتي به الأيام » .
وهذه « سارة برنار » الذائعة الصيت .. ظلت حوالي نصف قرن وهي أقدر الممثلات على المسرح ، وأحبهن الى قلوب الجماهير . وذات يوم بينما كانت تعبر المحيط الأطلسي على ظهر سفينة ، زلقت قدمها فجرحت ساقها ، واتفق ان أهملت الجرح فتقيح ، فلما عرضت نفسها على الطبيب ، قال بضرورة بتر الساق ، وخشي الطبيب في أول الأمر ان يواجهها بهذا القرار ، فقد كان يتوقع ان يسبب لها ذلك صدمة نفسية او نوعاً من الهستريا ، ولكنه عندما اعلن لها رأيه ، صمتت لحظة ، ثم قالت في هدوء :
« ما دام الأمر كذلك ، وما دامت هــذه مشيئة القدر .. فليكن إذن ما شاء » .
وعندما هم الممرضون بنقلها الى غرفة الجراحة ، انفجر ابنها باكياً ، فقالت له بلهجة الواثق المؤمن ، وهي تلوح له بيدها :
« لا تذهب بعيداً .. فسأعود سريعاً »
ثم راحت ترتــل احدى الأغنيات الحبيبة الى نفسها، فلما سئلت : أهي تغني

لتغالب الحزن وتدخل السرور الى نفسها ، قالت :

« لا .. بل لأدخل البهجة الى نفوس الأطباء والممرضات » .

ولقد غادرت المستشفى بعد ذلك لتقوم برحلة حول العالم ، وظلت تسحر ألباب الجماهير سبع سنوات اخرى ، وهي مبتورة الساق .

اننا إذ نكف عن صراع « ما لا بد منه » كما يقول « ماكورميك » نوفر على أنفسنا طاقة وحيوية وإيماناً ، تمكننا من ان نحيا حياة أهنأ وأسعد .

خوف

وقد روى احد الجنود الذين اشتركوا في الحرب الأخيرة ،انه ألتحق بالجيش وهو في الثالثة والعشرين ، فعمل بحاراً بضعة أشهر . وذات يوم ، اضطرت ادارة الفرقة التي يعمل بها الى نقل اطنان من المفرقعات الى جهة معلومة . ولم يكن ثمة هناك خبير للمفرقعات ليشرف على نقلها فندب هو للقيام بهذه المهمة ، فكادت نفسه تطير فرقاً وجزعاً ، ولم تزده المعلومات التي لقنوه اياها قبل شروعه في مهمته الخطيرة إلا رعباً وفزعاً من وجوده بين عشرات الأطنان من لمتفجرات في السفينة التي أعدت لنقلها ، وهو الذي لم يتعوّد قبل التحاقه ابالجيش إلا بيع البسكوت .

وكتب هذا الجندي يصف ما حدث له بعد ذلك فقال :

« لن انسى ما حييت يومي الأول .. فقد كان يوماً غائماً شديد البرد ، وقد أرسلوا معي خمسة رجال من حرس الشواطيء الأقوياء ، لم يكن بينهم من يعرف شيئاً عن طبيعة تلك المتفجرات ، فأخذوا ينقلون صناديقها من الشاطيء الى السفينة ، وكل صندوق منها يكفي لنسف السفينة .. ونقلنا معها جميعاً الى العالم الآخر .وظللت واقفاً ارتجف وقد جفّ حلقي واصطكت ركبتاي ، وركض قلبي في صدري .

« وخطر لي ان أهرب، ولكن ذلك لم يكن ميسوراً ، فضلاً عن ان فراري كان عاراً كبيراً يلحق بي وبأسرتي معي ، ولن يكون جزائي اذا قبض عليّ بعدئذ ، غير الاعدام .

« ولبثت في موضعي أرقب الرجال الخمسة وهم ينقلون الصناديق ، واستمر ذلك حوالي ساعة خلتها دهراً طويلاً ، وفي كل دقيقة منها كنت أتوقع ان تنسف السفينة .

« واخيراً ، رجعت الى نفسي ، وبدأت أحكّم عقلي فيما تملكني من الهواجس والمخاوف فأفترضت ان السفينة نسفت ، وانني نسفت معها ، ثم قلت لنفسي :

أليست هذه الطريقة السهلة للموت ، أيسر بكثير من الموت بالسرطان مثلاً »

وتذكرت انني لا أستطيع ان أرجو الخلود في هذه الحياه ، وان من الحزم ان أؤدي واجبي راضياً مطمئناً .

« وأحسست على أثر ذلك بالطمأنينة ، وتغلبت على قلقي ومخاوفي ، وكنت كلما شعرت بالقلق يعاودني على غير ارادتي أهزُّ كتفي ، وأرفع وجهي الى السماء ضارعاً الى الله ان يهبني حكمة تجعلني أتقبل بالرضا والسرور ما لا بد منه ، وان يعطني شجاعة تتيح لي ان أبدّل من أمري ما يستطاع تبديله » .

- ٤ -

قواعد النجاح

•

لا تؤجل عمل اليوم لغدٍ

اعتاد الكثيرون من الموظفين ورجال الأعمال ، ان يتركوا احياناً بعض المسائل معلقة دون أن يبتوا فيها حالاً .. فتتكدس الأوراق على مكاتبهم ويبدو لهم العمل مرهقاً مضنياً عندما يحاولون العودة لبحثها وتقريرها . وقد اخبرني مدير احدى دور النشر ان آلة كاتبة فقدت من حجرة مكتبه ، وظلت مفقودة اكثر من عامين . ثم اتفق بعد ذلك ان كان يبحث مع سكرتيره عن ورقة خاصة بين الأوراق المتراكمة على مكتبه ، فاذا هما يعثران بتلك الآلة المفقودة مطمورة بين تلك الأوراق .

لا شك ان رؤية المكتب زاخراً بالرسائل التي لم يرد عليها ، والتقارير والمذكرات التي لم تدرس ، مما يسبب الارتباك والسأم والضيق وتوتر الأعصاب. بل ان شعور المرء بأن وقته لا يتسع لحل ما لديه من مسائل كثيرة ، كثيراً ما يؤدي الى اصابته بارتفاع ضغط الدم ، او بعلة في القلب او قرحة في المعدة .

ولقد روى الدكتور « وليم سادلر » — احد كبار الأطباء النفسانيين — ان

مدير احــــدى المؤسسات الكبيرة بشيكاغو جاء الى عيادته يوماً يشكو التعب والاجهاد . وبينا هو يروي له قصته ، دق جرس التليفون واذا بمدير المستشفى الذي يعمل فيه الدكتور يطلب منه موافاته بتقرير عن مسألة معينة ، فسارع الى كتابة التقرير وارسله لساعته .

ثم عاد يستمع لقصـــة زائره ، ولكن جرس التليفون دق مرة اخرى ، وكان هناك طلب عاجل ايضاً ، فبادر الى تنفيذه . وما كاد يفعـل حتى جاء زميل له يستشيره في امر مريض في حاله خطرة ، فأدلى اليه بالمشورة المطلوبة ، ثم اقبل على زائره مدير الأعمال معتذراً عن تأخيره ، وشد ما كان عجبه حين رد عليه هذا قائلاً :

« لا داعي للاعتـــذار . ان الدقائق التي قضيتها الآن هنا ، جعلتني ألمس مصدر علتي ، وقـــد تعلمت منك عملياً كيف اعالجها بأن انجز مثلـــك كل ما استطيع انجازه من الأعمال ، دون ان أؤجله ساعة اخرى » .

كن حاسماً

يقول احـــد الاخصائيين : « ان الدعامة الأولى للنجاح في الأعمال ، هي تنظيمها ، والمبادرة الى تنفيذها حسب اهميتها »

والواقع ان اكثر الناجحين من رجال الأعمال يتبعون هذه القاعـدة . فهم يستيقظون من نومهم مبكرين ، ويعدون لأنفسهم — في هذا الوقت الذي يكون فيه الذهن أقدر على التفكير النيـّر السليم — برامج عملهم طوال اليوم بادئين بالأهم فالمهم منها .

ولولا ان « برنارد شو » اتبع هذه القاعدة في اعماله ، لكان من المحتمل ان يظـل حتى سن اعتزال العمل ، موظفاً بالبنك الذي كان يعمل فيه . ولكنه وضع لنفسه منذ مستهل شبابه برنامجاً يقضي بكتابة خمس صفحات كل ليلة في ساعة معينة . وحرص على تنفيذ هذا البرنامج تسع سنوات متواصلة ، رغم انه

لم يربح خـــلالها سوى ثلاثين دولاراً فكان من نجاح عمله بعـــد ذلك ما هو معروف ومشهور .

أخبرني احد تلامذتي السابقين أنه كان عضواً في مجلس ادارة احدى شركات الصلب ، فلاحظ ان المجلس يعقد اجتماعات كثيرة وتعرض عليه خلال كل منها مسائل عديدة ، لا يبت إلا في عدد قليل منها ، مما أدى الى تعطيـــل اعمال الشركة ، فأقنع زملاءه بألا يتركوا مسألة تعرض عليهم الا بعد الانتهاء من بحثها ومناقشتها واتخاذ قرار حاسم فيها ، او احالتها الى احد الأعضاء لكي يتفرغ لدرسها والبت فيها .

وقـــد أكّد محدثي ان اتباع هذا النظام أدى الى نتائج طيبة ، مما جعل المجلس يقرر الأخذ به في جميع ما يعرض عليه من أعمال .

تعاون مع معاونيك

كثيرون من كبار الموظفين ورجال الأعمـــال يلقون بأنفسهم الى التهلكة والمرض بل والموت ، لأنهم يصرون على تأدية جميع اعمالهم بأنفسهم ، وليس من السهل الاحسان والاختيار في توزيع العمل والمسؤولية ، كما ان اسناد عمل ما الى من ليس كفوءاً له للقيام به ليس من الحكمـــة في شيء . ولكن الواقع ان توزيع العمل — رغم ذلك — امر لا بد منه ، لأن تركيزه في يـــد فرد واحد مهما تكن كفايته — اشد خطراً على العمل ، عدا ما فيه من إضرار بصحة القائم به نتيجة تحمله فوق ما يطيق ويستطيع ..

- ٥ -

لاتحمِلْ همّاً

•

فكر بغيرك تنسى همك

سمعت عن طبيب يدعى الدكتور « فرانـك لوب » أصيب بروماتزم حاد أقعده عن الحركة ، فظل ملازماً فراشه ثلاثاً وعشرين سنة ، ولما زرته أخيراً لم أر رجلاً اكثر منه بشراً وطمأنينة وأبعد عن الأسى والهم .

لقد جمع اسماء وعناوين مرضى آخرين مثله قضى عليهم القدر ألا يغادروا اسرّتهم . وراح يكتب لهم رسائل تفيض إيماناً وتشجيعاً وتفاؤلاً ومرحاً . ولم يمض وقت طويـــل حتى تألفت منهم جماعة كبيرة في مختلف البلدان ، يكاتب الواحد منهم الآخر ويحدثه في الأدب والعلم والفلسفة والدين والفن .. بحيث أحسّ الدكتور لوب انه يحيا لغرض وان له في الحياة رسالة ، لم يعفـه منها مرضه ، لذلك لم يستسلم للضعف والأسى واليأس .

وقد حدثتني صديقة لي ، قالت :

« منذ خمس سنوات ، تملكني هم وحزن قبيل عيد الميلاد ، كادا ان يقتلاني..

وكان اول عيد أقضيه بعيدة عن زوجي الذي قضي فجأة ، بعد سنوات قضيتها في كنفه سعيدة هانئة ، وقد رفضت دعوات كثيرة لقضاء ليلة العيد مع أصدقائي وأقاربي لأنني أردت ان أخلو لأحزاني . وفي اليوم السابق للعيد ، تركت مكتبي في الساعة الثالثة بعد الظهر ورحت أتجوّل لغير ما هـــدف في الشوارع التي كانت تزخر بجموع مرحـــة مبتهجة فأعادت رؤيتها الى ذهني ذكرى السنوات السعيـدة الخوالي التي قضيتها مع زوجي ، فأنفجرت باكية . وبعد ان سرت نحو ساعة وجدتني امام محطة اوتوبيس للضواحي .. فركبت السيارة ، وانا في شبه غيبوبة لم أفق منها إلا حين صاح قارض التذاكر :

« هنا آخر محطة يا سيدتي » .

«نزلت وانا لا أعرف اسم الضاحية التي نزلت فيها . ولكنني وجـــدت مقعداً تحت شجرة فجلست عليه ، واخذتني سنة من نوم .. أفقت منها على صوت طفلتين تقولان :

« لا بد ان (سانتا كلاوس) قد أرسل هذه السيدة الينا ».. وفتحت عيني فوجدت طفلتين في ثياب رثة .. وفهمت من حديثهما معي انهما يتيمتان تقيمان في ملجأ قريب وقد انساني حديثهما همومي .

وبـــدأت أفكر في نعمة العطف الأبوي التي لم أحرم منها في طفولتي ، واخذت الطفلتين الى الملجأ حيث تبرعت بثمن وجبة عشاء ساهمت في اعدادها، وأكلت مع الأطفال أكلة ممتعة أعقبتها حفلة سمر صغيرة بددت كل أفـكاري القاتمة السوداء .. وقد دلتني هذه التجربة على اننا حين نعطي نأخذ ، واننا حين نساعد الغير ونهتم بهم نقهر الهمّ مهما كان شديداً .

ان ثلث مرضى النفس بل والجسم يعود سبب عللهم الى احساسهم بفراغ حياتهم ، وتفاهتها .. ولو انهم عنوا بالتفكير في مساعدة الغير وخـدمتهم ، لبرئوا من أمراضهم ، ومهما كانت حياتك وظروفك ، فانك ستقابل كثيرين

كل يوم في حاجة الى كلمة تشجيع ، او احساس بمشاركتك لهم في أفراحهم وأحزانهم .

فكر في ساعي البريد وبائع الجرائد وصبي بائع الخضر وماسح الأحذية .. إن لهم جميعاً متاعبهم واحلامهم ومطامعهم الخاصة ..

وهم جميعاً في حاجة الى من يتطوع لمشاركتهم فيها واشعارهم بأنهم اناس لهم قيمتهم ورسالتهم في الحياة . ولا داعي لأن تكون مصلحاً اجتماعياً كبيراً أو مليونيرا حتى تؤدي شيئاً نافعاً .. انك تستطيع في عالمك الخاص ان تفعل الكثير . ابدأ غداً صباحاً بالتفكير في اشعار من تلقاهم باهتمامك بهم بوسيلة او بأخرى .. فتجد متعة نفسية كبيرة ، فأنت حين تكرم الآخرين وتخدمهم .. تكون قد اكرمت نفسك وخدمتها .

افعل الخير تجده

حدثني أحد اساتذة الجامعة ، قال :

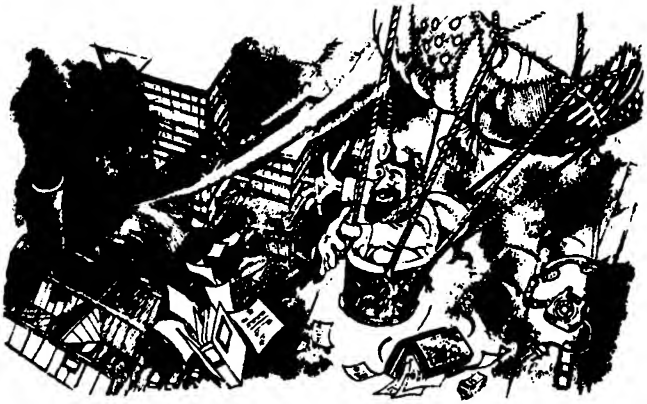
« انني لا أذهب الى فندق او دكان حلاق او متجر دون ان اقول شيئاً مناسباً لكل من ألقاه ، أشعره به انه انسان حي له كرامته وليس آلة صماء.. فأنا أحياناً أطري الفتاة التي تقوم بخدمتي ، او أسأل الحلاق عن بيته وعمله وأحياناً أصافح الحمال الذي حمل حقائبي . وحين القى الذي لا أعرفه ، في الطريق ومعه كلب جميل ، .. أثني على حسن اختياره للكلب ، وأظن انني بعد ان ابتعد عنه خطوات ، يربت الرجل ظهر الكلب اعجاباً به .. ان تقديري للكلب يجدّد تقديره له » .

صافح من استطعت من الناس ووزع بسماتك على من تلقاهم سواء أكنت تعرفهم أم لا تعرفهم .. ان المثل الصيني يقول :

« ان أريج الزهور يلتصق دائماً باليد التي تقدمها » .

واذا كانت هذه النصيحة لازمة للرجال ، فهي للنساء ألزم .. ان الفتاة التي تظهر اهتمامها بالغير فتصغي الى أحاديثهم بشوق ، وتغتنم الفرص لخدمتهم مادياً ومعنوياً تجتذب اليها القلوب ، ويتهافت عليها الرجال .. وان لم ترزق حظاً وافراً من الجمال .

بقي أن أقول : اذا كان علينا ان نجمّل الحياة في نظر الغير ، فعلينا إذن ان نسرع بهذا العمل .. فالحياة قصيرة والفرص التي تمر قد لا تعود . اسرع بفعل الخير الذي تريد ان تفعله الآن ، وتأدية الخدمة التي تريد ان تؤديها .. انس نفسك عن طريق الاهتمام بغيرك .. وافعل كل يوم صنيعاً طيباً يبعث الابتسامة على وجه اي امرىء تلقاه سواء أكنت تعرفه أو لا تعرفه .



- ٦ -

الشَّبابُ الدّائِم

•

سن الخمول

كثيرون يؤمنون بأن سن الخامسة والستين بـــداية مرحلة الخمول واعتزال العمل .. وقد رسخت هـــذه العقيدة في النفوس حتى أصبح معظم الذين تجاوزوا هذه السن يعتقدون انهم لم يعودوا يصلحون لشيء ، وان الحياة قد لفظتهم فأصبحوا « نفاية » تعمل الطبيعة على التخلص منها .

وقد طفت لسنوات خلت في معظم اوروبا ، فزرت طائفة من الشيوخ الذين جاوزوا السبعين فوجدتهم يفيضون نشاطاً وحيوية .. ففي ايطاليا مثلاً زرت « فيتوريو إيمانويل اورلاندو » وهو معمر بلغ الحادية والتسعين من عمره ، وقد كان احد رؤساء الوزارات الذين وقّعوا معاهدة « فرساي » .

كان لا يزال عضواً نشيطاً في مجلس الشيوخ الإيطالي ، يشرف على مكتب كبير للمحامـــاة ، ويقوم بالتـــدريس في جامعـــة روما . ويتمتـــع بصحة جيدة وينام كل يوم ثماني ساعات ، وقلما تعوقه وعكـــة عن عمله او رياضته المحببة اليه وهي السير مسافة طويلة .

وهناك ايطالي آخر في السابعة والثمانين من عمره ، وهو الدكتور « رافائيل باستيانلي » الجراح الشهير . انه لا يزال يجري ثلاث عمليات كل اسبوع ، ويقود بنفسه عربته ، ويقضي يومياً ساعات محددة في عيادته ، وحتى عشر سنوات مضت ، كان يقود طائرته ، ورغم انه ذو معدة ضعيفة حساسة منذ مستهل شبابه ، فهو ما يزال صحيح البدن سليم الأعصاب قوي النظر .

الشيوخ الشباب

وكان الفيلسوف « بندیتو کروس » يقيم وهو في الخامسة والثمانين من عمره – وسط مدينة نابلي بالقرب من المعهد الإيطالي للدراسات التاريخية الذي انشأه . والذي يضم مكتبة كبيرة حافلة يقضي فيها ساعات فراغه قارئاً باحثاً ، ويضم قاعة اخرى للمحاضرات يقوم فيها بالتدريس للطلبة المتخصصين . وهو يستيقظ في الساعة الثامنة صباحاً ويشتغل نحو عشر ساعات يومياً .. مقل في الأكل ، لا يتناول اللحم مطلقاً ومع ذلك لا تبدو عليه آثار الضعف أو نقص التغذية . وقد صدر له كتابان في عام ١٩٥٠ ، وأخذ يستعد لاعداد كتاب جديد يتناول بعض مسائل الفلسفة . وقد مات مؤخراً بعد عمر طويل ..

وهناك « برنارد برنسون » – احد كبار المشتغلين بتاريخ الفن – أصدر ، وهو في السادسة والثمانين ، كتاباً عن الفنان « كارافاجيو » وكان يقضي اكثر أوقاته باحثاً منقباً ، وكتب مقالاً في احدى الصحف جاء فيه : « لو كان الوقت كالمال يمكن استجداؤه ، لما وجدت ضيراً في الوقوف في أحد الميادين استجدي المارة اوقات فراغهم »

ولما أشرف « ادوار هريو » في فرنسا على الثمانين من عمره ، كان لا يزال يعمل يومياً اكثر من عشر ساعات ، ويرأس ثلاث اجتماعات هامة في الاسبوع ، ويستقبل عدداً لا يحصى من الزائرين . وفي صباح كل سبت يقود عربته بنفسه

الى مدينة « ليون » فيقضي فيها ايام السبت والأحد والأثنين حيث يشترك في اجتماعات مجلس المدينة البلدي ، وفي يوم الثلاثاء يعود لباريس . وكان يكتب مقالين في كل شهر ، ويعدّ مـذكراته ، وفي عام ١٩٤٩ اصدر كتاباً عن الفنان « رودان » . وقـد اعتاد ان يذهب مرتين في الشهر الى « الكوميدي فرانسيز » ، ومن الأشياء الحبيبة لنفسه شهود حفلات السيرك ومعه عـدد من الأطفال الصغار ، .. رغم انه يشكو من مرض في ساقـــه وألتهاب مزمن في الشعب ، وقد مات ايضاً بعد ان شبع من الحياة ..

وفي انكلترا ، عالم يدعى « فيكونت صامويل » كان يصـدر كل عام كتاباً يتناول موضوعاً جديداً . وقد قال في حديث له عن مؤلفاته : « انني ألاحظ اني كلما تقـــدمت في السن انقادت لي الأفـــكار ، وأسلس لي قيادتهـا » .

وقد بلغ « برتراند رسل» التسعين من عمره ، ويشكو الآن من انه يتعب بسرعة .. فلم يعد يستطيع ان يمشي كـثيراً .. ولما زرت لورد « هوردر » – أحد اطباء القصر الملكي في انكلترا – بعيادته بشارع هارلي ، كان يحتفل بعيد ميلادم الحادي والثمانين ، ومع ذلك فهو يشتغل اثنتي عشرة ساعة في اليوم ويقرض الشعر ، ويعنى بحديقته في اوقات فراغه .

ويبـدو انه ليس ثمة قاعـدة معينة للحياة الطويلة ، فبعض من رأيتهم من المعمرين النشيطين ، لم يمرضوا يوماً مرضاً خطيراً ، وبعضهم ظلوا مرضى طوال حياتهم ، وبعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ، ولكنهم جميعاً يستمتعون بالحياة اكثر مما يستمتع بها الرجل العادي ، ويتوقون الى الأخذ بالأساليب الجديدة والآراء الحـديثة ، ويعملون على زيادة معلوماتهم وتوسيع آفاق تفكيرهم باستمرار ، وشكواهم الوحيدة المشتركة سرعة نسيان الأسماء .

ولقد كتب الدكتور « كلارنس ليب » في هذا الموضوع يقول :

« ارتفع متوسط عمر الانسان في السنوات الأخيرة – بفضل تقدم الطب – ارتفاعاً ملموساً ، فزادت بذلك نسبةالشيوخ المسنين من الجنسين . وليس لأطالة العمر جدوى اذا لم تتهيأ للمسن الوسائل التي تكفل له السعادة والحيوية والقدرة على الاستمتاع بالحياة .

ان بعض الناس يقول : « لكي تعيش طويلاً ، ينبغي ان تختار أبوين شابين من اسرتين معروفتين بطول العمر » .

وفي هذا القول كثير من الصواب ، فالوراثة عامل هام في طول العمر ، غير ان البيئة تكاد تكون أهم من الوراثة في تحديد العمر ، ومن الحقائق المعروفة ان المتزوجين يعيشون اكثر مما يعيش العزاب .

وليس عسيراً تعليـل ذلك ، فان العزاب ينقصهم الشعور بالحب والزمالة للجنس الآخر ، عـدا انهم لا يعنون بغذائهم وصحتهم كما يعنى الآخرون .. وهم – الى ذلـك – عرضة لأدمان العادات السرية والافراط في الخمرة والاصابة بالاضطرابات الجنسية .

ومن هنا ، يتبين ان طول العمر لا يتوقف على الوراثة وحدها ، وانما تدخل فيه ظروف المرء التي تؤثر في حياته .

ومن أخطر آفات الشيخوخة الخوف الذي يتخذ صوراً عـدة ، اكثرها شيوعاً خوف المرض . ولعل مبعث ذلك اعتقاد كثير من المسنين خطأ بأن امراضهم لا شفاء منها . نعم ان الزمن يظهر الأمراض المزمنة التي أصابتنا في مرحلتي الشباب والرجولة .. ولكن الشيـخ لا يبقى له ما يبرر خوفه اذا رعاه

طبيب ماهر مطلع على أحدث ما اكتشف في امراض الشيخوخة وطرق علاجها، وله تجارب في ذلك الميدان .

ومن صور الخوف التي تتملك الشيوخ ، خوف الفقر ، وهو خوف لا ينتاب الفقراء واوساط الناس وحدهم ، بل يشمل معهم الأغنياء الذين يتشبثون بعادة التقتير التي مارسوها ايام شبابهم فيضنون على انفسهم بضرورات الحياة ويحيلون شيخوختهم الى ايام قاحلة بائسة ، ويضنون على معاونيهم وعارفيهم .. فينفرون منهم ، حتى توحش الحياة في أعينهم ونفوسهم . ونحن لا ندعو الى التبذير ، ولكننا نحس ان اولئك الذين اقتصدوا المال في أيام شبابهم للسنوات العجاف في شيخوختهم ، ينبغي ألا يجزعوا من انفاقها .

اما الخوف الذي يعسر على الطبيب او الواعظ او الفيلسوف علاجه فهو الخوف من الشيخوخة ذاتها رغم ان الكثير من الأعمال النافعة في هذه الدنيا يقوم بها رجال ونساء اوغلوا في العمر .. ونحن نرى كثيرين حولنا جاوزوا السبعين بل والثمانين ، يعيشون اصحاء سعداء راضين .

والخوف من الشيخوخة خوف مركب يتضمن الخوف من العجز البدني او الاضطراب الذهني او الاحساس بالوحدة . ولكن هذه المخاوف يمكن التغلب عليها بقوة الخلق والإيمان .

وكان فوق مكتب الجنرال ماك ارثر ، لافتة كتب عليها :

« ان الشباب ليس حقبة من العمر .. انه حالة من حالات العقل .. فأنت شاب بقدر إيمانك .. وشيخ بقدر شكك ، وشاب بقدر ثقتك بنفسك، وشيخ بقدر خوفك ، وشاب بقدر طموحك، وشيخ بقدر يأسك » .

وهذا صحيح الى حد كبير .

ومن مخاوف الشيخوخة المؤلمة الخوف من عجز الرجل عن اداء وظائفه الجنسية . وهذا اللون من الخوف لا يقدر خطره سوى الأطباء وعلماء النفس الذين يعالجون عدداً كبيراً من المسنين . ان الزوج يرى ان رابطته بزوجته

معرضة للتمزق وحياته الزوجية مهددة بالتزعزع بسبب عجزه الجنسى ، ولا يكفي انتقول لهذا الشيخ انه ينبغي ان يعوّض هذا العجز بالنواحي الروحية ، فليس كل الناس قادرين على ذلك . ولا ريب ان اللذة المستمدة من علاقة جنسية سليمة يستمتع بها الطرفان تعمل على تــدعيم الروابط الزوجية ، فاذا لم يحصل الزوجان على ما ينبغي ان يحصلا عليه من زواجهما ، استغرق الرجل في عمله والمرأة في شؤون بيتها ، واهمل كلاهما حياته ولباسه وطعامه .

وهــذا الخوف لا مبرّر له كما يتصور كثير من المتزوجين ، فان النشاط الجنسي يمكن ان يستمر قوياً حتى الشيخوخة ، لا يعروه إلا وهن قليل بالنسبة لقوته اثناء الشباب .

نظم حياتك في شيخوختك

ان العيش في الماضي من أهم اسباب الشيخوخة المبكرة .. واعياد الميلاد خطيرة من هــذه الناحية ، لأنها تعيــد ذكرى الأيام الخوالي الحافــلة المغامرات ..

وينبغي ان يكتب الشيخ في عيد ميلاده قائمة بما لا يزال يملك ، وبما يستطيع أن يفعل ، وقائمة اخرى بما لم يعد يملك وما لا يستطيع ان يفعــل ، وسوف يدهشه رصيده في مصرف الحياة ، ومن ثم ، يستطيع ان يضع برنامجاً لانفاق هــذا الرصيد . وليحرص دائماً ان يعيش في الحاضر غير قانــط من المستقبــل .

وقد يخفق الشيخ في احدى النواحي ، فيجزع لاخفاقه جزعاً يضر بصحته ، مع انه بحكم تجاربه في الماضي ينبغي ان يفكر فوراً في النهوض من كبوته متخذاً

من الفشل حافزاً للتقدم والتطلع الى اهداف أعلى .. وما دام على قيد الحياة ، فينبغي الا يجد اليأس الى قلبه سبيلا ..

وافضل ما يقاوم به السأم والقلق والخوف الذي يسبب الكثير من امراض الشيحوخة ،ان يعرف المرء كيف يصرف الأوقات التي يختلي فيها بنفسه وضميره . ان الرجل الذي يستقيل من عمله بعد ان يكون قد جمع اموالاً تسد حاجاته الجسمية دون تفكير في « دخله » النفسي الذي يحتاج اليه في هذه السن يخطيء في حق نفسه خطأ فاحشاً . وكذلك المرأة التي تنهمك في تربية الأولاد وادارة البيت وتخفق في اختزان كنوز عقلية ونفسية .

والشيخ الذي يجمع حوله اصدقاء من سنه ، يقاوم السأم والاحساس بالوحدة بعض الشيء ، ولكن الرجـــل الذي يعرف كيف يخلق من كتبه وافكاره اصدقاء له ، هو الذي لا يحس بالوحدة في اي مكان وفي اي سن . ولقد يحفز الاحساس بالوحدة الشيخ الى البحث عن المتعة والانغماس فيها حتى يؤدي به ذلك الى الموت او الجنون .

وكل ما يشعر الشيخ بالشيخوخة ضار بصحته ونفسيته . انني اعرف مسنين لا يحتفظون بنتائج او مرايا ، وهـــذه فكرة طيبة .. ومما لا شك فيه ان ثمة شيوخاً يبدون أجمل وأصح كلما تقدم بهم العمر ، بـــل ان آثار الشباب في وجوههم تتحدى الزمن وتأبى ان تخضع لسطوته لأنهم ينظمون حياتهم ويثقون بأنفسهم ولا يعيشون الا في حاضرهم ويركزون تفكيرهم في الجانب الـــذي لا يشيخ من اجسامهم وهو اذهانهم .. انهم يحتفظون بأذهانهم يقظـة تدرس فيما يصادفها شيئاً جديداً كل يوم .

والقناعة عنصر هام في سعادة الشيخوخة . ينبغي ان تستمتع بما تملك وتقتنع بأن المقتنيات الكثيرة تعقد الحياة ...

وروح الفكاهة مطلب هام للشيخوخة السعيدة .. فالضحك ترياق كثير من

علل الشيخوخة ، ولا أعني بالضحك ذلك النوع الممجوج الذي ينم على فراغ العقل ، وانما اعني الضحك النابع من النفس .

واخيراً ، كن طبيعياً في كل حركاتك وسكناتك ، ولا تحاول اخفاء سنك بالوسائل الصناعية السخيفة ، ان صوتك وسلوكك وأفكارك ستكشف أمرك ، وسوف تحس كأنك سارق يخفي شيئاً .

متّع نفسك بشروق الشمس وغروبها ورائحة الطعام ولون السماء ومناظر الطبيعة . فهذه كلها ثروة بين يديك تهيء لك السعادة والهناء مهما تقدمت بك الأيام .



-٧-

كيف تكسب الأصدقاء

●

العجوز

كان المطر ينهمر بشدة حين دخلت سيدة عجوز الى البهو الخارجي لأحد المكاتب التي تشرف على زخرفة المنازل وتصميم أثاثها، فتجاهلها جميع موظفي المكتب، ما عدا موظفاً شاباً خفّ اليها وسألها في أدب عما يستطيع ان يؤديه اليها من خدمات، فشكرته وقالت: انها تريد ان تنتظر قليلاً ريثما تخف حدة المطر في الخارج.

ولم يسع الشاب ان يتركها تنتظر وحدها، فوقف الى جوارها يرفه عنها بالحديث، حتى انقطع المطر، فودعها حتى ركبت سيارة انطلقت بها.

ومضى على ذلك اسبوع. ثم دعاه مدير المكتب وأبلغه ان السيدة كارنيجي المثرية المشهورة اتصلت به طالبة ان يرسله اليها لكي تستشيره في زخرفة قصر تمتلكه في اسكتلندا. وعجب الشاب من اختيار المليونيرة له لهذه المهمة على غير معرفة سابقة، ثم زال عجبه حين وقف على السبب عند مقابلته للسيدة كارنيجي، فقد كانت هي نفسها تلك السيدة العجوز.

وقد كسب الموظف الشاب من المهمة التي عهدت بها اليه مئات الجنيهات ، عدا ما اكتسبه المكتب الذي يعمل فيه من فوائد وشهرة .

وفي استطاعة كل انسان ان يكسب قلوب الناس ويترك أثراً طيباً في نفوسهم اذا راعى القواعد الآتية :

١ – الحرص على البشاشة والبساطة والاعتدال عند مقابلة الناس ، فالعابسون المتجهمون يندر ان يكون لهم اصدقاء ، وكذلك من يتكلفون عند مقابلة الناس .

٢ – مما يؤسف له ان كثيرين يعمدون الى الاكثار من الكلام وهم يحسبون انهم بذلك يقنعون الناس بقوة شخصياتهم ، او بأنهم على حظ عظيم من خفة الروح وحلاوة النكتة بينما يبغضهم هذا الى الناس ويجعلهم في عداد الثقلاء . ولعل أشد هؤلاء ثقلاً من يحاول ان يعرض علمه وثقافته كلما التقى بأحد الناس ، فيؤثر استعمال الألفاظ الغريبة والأساليب المعقدة .

٣ – من الحكمة ألا يكون المرء شديد الاعتداد بآرائه ، كثير النقد ، صريحاً الى حد الجفاء ، وألا يسرف في الحديث عن نفسه مبرزاً نواحي الخير او نواحي الشر والضعف ، فيسأم الناس الاختلاط به في الحالتين كما انه كلما كان المرء شديد الثقة بنفسه ناضج الآراء واسع الاطلاع ، كان اجدر بأن يترك اثراً طيباً في نفوس الآخرين ..

صداقة الآخرين

ان الرجل الذي يكسب صداقة الكثيرين لا يحيا حياة واحدة .. وانما يحيا الف حياة وحياة ..

اشتركت مع جماعة من اصدقائي في الصيف الماضي في رحلة الى سويسرا .. فلما كنا في « برن » اتفقنا ذات يوم على ان نذهب سوياً في الصباح التالي الى بلدة مجاورة شهيرة بمناظرها الطبيعية الخلابة ، فنقضي فيها يوماً في رياضة ونزهة ..

ولم نكن مرتبطين بنزولنا جميعاً في فندق واحد ، فحدث ان تأخرت في الفندق الذي كنت انزل فيه عن موعد السيارة التي كانت ستقلنا الى تلـك البلدة ، ولم يلاحظ رفاقي تخلفي عنهم ، فغادرت السيارة المدينة بهم وبقيت وحـدي .. وأحسست في أول الأمر بضيق شديد ، ولكنى عزمت على ان لا تنغص الوحدة عليّ بهجة اليوم وان أقضيه على خير وجه مستطاع ، فذهبت الى ضاحية قريبة مشهورة بصناعـــة ساعات الحائط الجميلة ، فتجولت فيها وقتاً طويلاً حتى أحسست بالجوع ، فسألت أحـد المارة اين يمكن ان أحصل على الطعام ، فلما ادرك الرجل انني غريب عن البلد ، قال :

« انني ذاهب الآن الى منزلي لأتغـــدى مع اسرتي ويسرني ان تسمح لنا بالترحيب بك » .

ولم أتردد طويلاً في قبول هذه الدعوة التي لم أكن أتوقعها ، وقد مني الرجل الى زوجته وولديه ، فسرعان ما أبدوا لي من كرم الوفادة ودماثة الخلق ما جعلني أحس بينهم بأنني بين أهلي في بيتي .. ولما فرغنا من الغداء ، أخـــذني الرجل الى مصنعه فجعل يشرح لي كيف تصنع اجزاء الساعات الدقيقة ، وهيأ لي الفرصة للحديث مع العمال .. فما اوشكنا على الافتراق حتى كنا قـد غدونا صديقين حميمين ، وتواعـــدنا على ان نتراسل وان نكون على اتصال دائم في المستقبل .. وهكذا عدت الى الفنـــدق في ذلك المساء ، وقد حل شعوري بالغبطة لاكتساب ذلك الصديق الجديد الكريم محل أسفي على تخلفي عن رفاقى في الصباح .

ولقد حملني هذا على التأمل فيما يجره الأنطواء على النفس من شلل وضيق في حياة الكثيرين الذين لو اتخذوا لأنفسهم أصدقاء من مهن وجنسيات وطبقات مختلفة ، وطرقوا الجوانب المختلفة المتشعبة من الحياة ، لأدركوا جمالها وتحققوا من رحابتها وتذوقوا متعتها .

ان الرجل الذي يتخذ لنفسه اصدقاء عديـــدين ، مختلفي التفكير والميول والمواهب لا يحيا حياة واحـدة وانما يحيا الف حياة وحياة .. ويـكاد يجمع

الفلاسفه – منذ عهد أرسطو – على ان كثرة الأصدقاء تأتي حتى قبل الصحة والنبوغ في ترتيب النعم والخيرات التي يرزق بها الانسان في الحياة .. وعلى الرغم من ان في وسعنا ان نظفر بهذه النعمة العظيمة اذا شئنا ، فقلما نجد من يحرص على تحقيقها والظفر بها .. وقليلون منا من يحاولون توسيع دائرة معارفهم بالحماسة التي جعلت « صموئيل جونسون » يقول :

« ان يوماً لا أتخذ فيه صديقاً جديداً ، لهو يوم ضائع من عمري » ..

وكان الدكتور جونسون هذا – مثل معظم الذين نجحوا وتفوقوا في مختلف ميادين الحياة ، واحتفظوا بنجاحهم وقتاً طويلاً – يتخذ اصدقاءه من مختلف الطبقات والمهن والأعمال :

واكتساب صداقة الناس أسهل كثيراً مما تظن ، وقد كان دأب السياسي الأميركي « دانيال وبستر » كلما دخل متجراً ، ان يتلطف بالحديث مع مستخدميه في شؤون اعمالهم فيفضون اليه بدخيلة انفسهم في مودة وألفة ، فأكثر الناس يميلون الى الحديث فيما يهمهم من اختصاصهم ..

قدّر الناس يقدرونك

ومما يجذب القلوب اليك ، ان تعبّر للناس بحرارة واخلاص عن تقديرك لهم كلما أدوا لك خدمة ، فهذا التقدير يحطم الحواجز بينك وبينهم ويحببهم بك، ويحملهم على مواصلة خدماتهم واخلاصهم لك .. وقد اكسبني حرصي على ذلك اصدقاء عديدين ، من بينهم ماسح احذية فيلسوف في لندن كان له الفضل في توجيه نظرتي الى بعض نواحي الحياة توجيهاً صحيحاً .

وليست هناك طريقة تكتسب بها قلوب الناس – اثناء المقابلات العابرة – افضل من ان تتحدث مع من تلقاه في موضوع تشتركان في معرفته ، فاذا كنت تقرأ نفس الصحيفة التي يقرؤها او تملك سيارة من طراز السيارة التي يستقلها فان ذلك يمكن ان يكون موضوعاً لحديث يمهد للصداقة بينكما ، وكذلك اذا

تحدثت معه عن هواية او ميل مشترك بينكما ..

وقد كانت هـــذه طريقة « سيدني سميث » – غريم نابليون العتيد وأمير البحر – في التودد الى الناس . كان – مثـــلاً – اذا حضر حفـــلاً فرأى شخصاً لا يشترك في الرقص ، قال له :

« لقد ظللت وقتاً أبحث عن شخص ، وها انا قـد وجدتك .. هات يدك في يدي ولنكن اصدقاء حتى الموت »

وليست الصداقة مقابلات واتصالات مستمرة فحسب ، ولكنها تجاوب عاطفي وفهم وثقة متبادلان .. لا يتأثران ببعد المسافة بين الأصدقاء او مضي الزمن على اللقاء .. وقد قضى الرحالة المشهور « دافيـــد ليفنغستون » شطراً كبيراً من حياته في مجاهل افريقيا بعيداً عن الناس ، ومع ذلك كان له عدد لا يحصى من الأصدقاء .. وتقول ابنته الصغرى في مذكراتها عنه :

« كان يرسل كل عام مئات الرسائل الى اصـدقائه المنبثين في جميـع انحاء العالم ، الذين عرف اكثرهم في لقاء عابر .. او على اثر كلمة تقدير وثناء »

وكان « وليم اوسلر » يقول ·

« ان الرجل يبدأ في الشيخوخة عندما يعجز عن اكتساب اصدقاء جدد ، لأن مداومة الأختـــلاط بالناس دليل على الاستعداد للتطور واستيعاب الأفكار الجديدة ، والحيوية وحب الحياة » . وهـــذا حق ، فانك اذا اكتفيت بصلتك باصدقائك القدامى وزملاء العمل الذين اطلعت على جميع افكارهم وآرائهم ، توقف تطورك الذهني .. وتحول بينك وبين نواحي التجديـــد التي تطرد السأم والملل .

وينبغي ألا يعوقنا عن الاختلاط بالناس الخجل من لقاء الغرباء او المشاهير .. اذكر انني اقترحت مرة على شاب مبتديء في الموسيقى ان يقدم نفسه لعازف البيانو المعروف « فلاديمير دي باشمان » اثناء حفل عام كان يشهده ، فأعتـذر الشاب بأن العازف لن يكـترث له ، وسوف يلقاه حتماً بفتور .. فلما انتهى الحفل ، قال لي عازف البيانو المعروف :

١

« لقد رأيتك – اثناء الحفل – تحدث شاباً ، كان يبدو لطيفاً ويداه تدلان على موهبة موسيقية ، وكنت أود ان أتحدث معه » .

ونحن – اذا حرصنا على توسيع آفاقنا الفكرية ، عن طريق الصداقة – فأننا نقوي شخصياتنا ونحصن نفوسنا من كثير من العقد والنقائص .. فالرجل الذي يعيش وحده ويحصر تفكيره في نفسه ، يجسم متاعبه ويضاعف آلامه ، ويحرم نفسه ممن يشجعه ويعزيه ويبعد عنه اوهامه .. ولذلك فهو كثيراً ما يعجز عن مواجهة مشاكل الحياة جاعلاً نفسه موطناً للحقد والضغينة والحسد والكراهية ..

ان لكل امرىء موهبة خاصة يمكن ان يفيد منها من يتصلون به ، وقد تكون هذه الموهبة صفة خلقية او نظرة فلسفية او قدرة على رواية القصص او النوادر .. وهذه الموهبة – مهما كانت تافهة – قد تؤثر في حياتنا وأفكارنا ونفسياتنا ، ونحن إذ نأخذ من معارفنا ، نعطيهم ايضاً من أنفسنا .. وفي هذا التجاوب متعة واحساس بالحيوية ومصدر للثقة بالنفس وحافز على حب الحياة وحب البشرية .

ان كل يوم يمر علينا ، يحمل معه عشرات الفرص لاتخاذ اصدقاء جدد ، وكلما اغتنمنا هذه الفرص وعشنا في حياة الآخرين ، وجدنا حياتنا تطرّد في النمو والثروة .. وتزداد بهجتها ويتضاعف استمتاعنا بها .



-٨-

الحيـاة قصيرة فلنسعد بها

●

الموقف الرهيب

حدثني صديق لي ، قال :

« تلقيت اعظم درس في حياتي من حادث صادفته خـــلال الحرب الماضية. فقد كنت اعمل في غواصة حربيه بالقرب من جزائر الهند الصينيه ، مع فرقة مؤلفة من ثمانية وثمانين جندياً . وفوجئنا يوماً بقوة بحرية كبيرة تهجم علينا وبدا انها اكبر عدداً منا . وكانت طائرة يابانية قد كشفت موقعنا ، ونحن على عمق ٦٧ قدماً من سطـــح البحر . فأبلغت أمرنا الى رؤسائها ، وسرعان ما خفت الينا هــــذه القوة الكبيرة للقضاء علينا . فأضطررنا ان نغوص الى عمق ١٥٠ قدماً وأطفأنا الأنوار ، وعطلنا المراوح واجهزة التبريـــد مبالغة في الاستخفاء والوقاية ، ولم تمض دقـــائق حتى كانت الالغام تنفجر حولنا من من كل الجهات .

لم يكن في وسعنا ان نصنع شيئاً لصد هـــذا الانقضاض الخاطف المهول ، فأخذنا نترقب الموت بين لحظة واخرى .. مع ان الحرارة داخل الغواصة كانت

قد ارتفعت حتى قاربت المائة درجة نتيجة لتعطيل المراوح وأجهزة التبريد ، وكانت اسناننا تصطك واطرافنا ترتعد وكأننا في درجة من الحرارة تحت الصفر .

واستمر الهجوم خمس عشرة ساعة ، مضت علينا كأنها خمسة عشر مليون عام .

كانت صور الماضي خلال هذه الساعات تتتابع على اختلاف انواعها وألوانها امام عيني ، وهي تسرع تارة وتبطيء اخرى . وقد رأيت بينها صور جميع ما اقترفته من المساويء والشرور والآثام ، وصور الأشياء السخيفة التافهة التي أقلقتني شهوراً من قبل .

كنت محاسباً بأحد البنوك قبول ان ألتحق بالجيش. وطالما ضقت ذرعاً بطول الساعات التي كنت أقضيها في عملي .. وبضآلة الأجر الذي كنت أتقاضاه، دون ان يكون لي أمل في تحسين حالتي . وشدّ ما كان يؤلمني حينئذاك شعوري بالعجز عن شراء « فيللا » او اقتناء عربة ، او هدية أقدمها لزوجتي في احد أعياد ميلادها .

وشدّ ما كنت اكره رئيسي في البنك، الذي كان يؤنبني لغير ما سبب ظاهر ، ويتهمني بالتقصير لمناسبة وغير مناسبة . فكنت أعود الى المنزل في اكثر الأمسيات حاقداً غاضباً ناقماً ، فأتشاجر مع زوجتي المسكينة لأتفه الأمور ..

كل هذه الصور السخيفة التافهة من حياتي الماضية مرت على ذهني وانا انتظر الموت مع رفاقي بالغواصة ، بل لقد تمثلت لعيني صورة مكبرة لما هو أسخف وأتفه ، فتذكرت مثلاً اصابتي بمرض جلدي ضايقني بضعة ايام ، وتذكرت جرحاً بسيطاً أصبت به في حادث سيارة .

وبقدر ما كانت هذه الحوادث تبدو لي مزعجة منذ سنوات كنت أراها الآن على حقيقتها تافهة سخيفة .. والمتفجرات تهدد غواصتنا بالنسف وتنذرنا بالتأهب للانتقال الى العالم الآخر .

وعاهـدت نفسي إن كتبت لي النجاة ورؤية نور الشمس مرة اخرى ، ألا اهتم لشيء من هذه التوافه التي تعرض لكل امرىء في حياته اليومية . فلما نجونا بعد يأس ، لم انس ذلك العهـــد ، واخذت به نفسي فأفدت من ذلك الى حد كبير . والحق انني تعلمت من دروس الحياة في تلـك الساعات الرهيبة اكثر مما تعلمته من دراساتي الجامعية ، ومن كل مطالعاتي .

والواقع اننا كثيراً ما نواجه المصائب الكبيرة في الحياة بشجاعة وصمود ، ولكننا ندع التوافه والصغائر تحطم اعصابنا وتنغص عيشتنا .

وقد روى « صمويـل بيبس » انه شهد مرة احد المحكوم عليهم بالاعدام يصعـــد الى المشنقـــة في هدوء وثبات . ولما سئل عن شعوره حينــــذاك أجاب قائلاً :

« انني لا أعبأ بالموت بل أرحب به » . على انه ما كاد يشعر بحبل المشنقة يلتف حول عنقه حتى أخذ في البكاء والتوسل الى المشرفين على التنفيذ ان يأمروا الجـــلاد بالترفق في لف الحبـــل ، حتى لا يؤلمـــه الخراج الصغير الذي في قفاه .

وقد ذكر « بيرد » ان اتباعه الذين رافقوه في رحلته الاستكشافية للمناطق القطبية كانوا يظهرون من الجلد والصبر وتحمل الجوع والبرد ما كان يثير دهشته . ولكنهم كانوا كثيراً ما يختلفون ويتشاجرون لأن أحدهم جلس بالمكان المخصص لزميله ، او لأنه طلب منه شيئاً بلهجة جافة ، او أخذ قطعة اكبر من الخبز . وعلق « بيرد » على هذا قائلاً :

« انني لم اكن اخشى الاخفاق بسبب الشدائد والعقبات ، بقدر ما خشيته بسبب تلك التوافه والصغائر . »

• • •

للاخفاق اسباب

وليس من شك في ان الاخفاق في كثير من الأعمال والمشروعات التي يتطلب نجاحها التعاون والتضامن انما يرجع الى امور حقيرة تافهة ، قد يضحك المرء على موقفه منها بعد حين .

قرأت لأحد القضاة انه خلال اربعين عاماً ، عرض عليه فيها ما لا يقل عن الف قضية من قضايا الخلافات الزوجية ، لاحظ ان الاهتمام بالتوافه هو سر اكثر تلك الخلافات .

وقرأت لقاض آخر ان نصف القضايا الجنائية التي عرضت عليه كانت نتيجة أشياء تافهة ، كمناقشة في حانة ، او خلاف على مبلغ تافه ، او اشارة أسيء فهمها او عبارة جافة .

ولو ان هذه التوافه عولجت بحكمة وروية وبعد نظر ، لمرت بسلام وكأنها لم تكن . ولكن ما جبل عليه اكثر الناس في الغرور والأنانية والتسرع يأبى إلا ان يخلق من تلك الحبة قبة ، وإلا ان يحيل تلك الشرارة التافهة الى بركان او جحيم .

ولقد كتبت « مسز روزفلت » في ذلك فقالت :

« في الأشهر الأولى من حياتي الزوجية ، كنت اظل ساعات ثائرة غاضبة حزينة ، لأن الطاهي لم يحسن طهي الطعام ، او لأنه قدّم لوناً منه قبل آخر ، اما الآن فاذا حدث شيء من هذا فأنني أهزّ كتفي ، وأقول لنفسي التي تحضني على الثورة والغضب : كلا .. لن أثور ولن أغضب ، فمن الحمق ان أرهق اعصابي وأنغص حياتي بسبب شيء تافه . وكل ما أفعله أنني انبه الطاهي او الخادم الى خطئه في هدوء . »

وقد دعيت وزوجتي مرة الى تناول العشاء عند صديق لنا . وحدث ان

أخطأ الطاهي وهو يساعد في ترتيب المائدة ، ولم ألاحظ انا ذلك الخطأ وما كنت لأعبأ به لو انني لاحظته . ولكن ربة البيت ثارت ثائرتها ، وانفجرت تسب الطاهي وتلعنه بطريقة أثارت اشمئزازنا ، والحق انني كنت أفضل ان آكل خبزاً بلا أدام في جو من الهدوء والصفاء ، عن ان اتناول أشهى المأكولات وسط هذا الجو الصاخب المثير .

وحدث ان دعونا بعض اصدقائنا الى العشاء . وقبل ان نجلس الى مائدة الطعام ، لاحظت زوجتي ان بين المناشف ثلاثاً لا يتفق لونها مع لون غطاء المائدة . فسارعت الى الطاهي ، وسألته في ذلك ، فأخبرها بأن المناشف الثلاث الناقصة ارسلت خطأ الى الكواء ، وليس هناك وقت لاحضارها .

ولم اعلم انا بشيء من ذلك ولا لاحظته حتى انتهى العشاء على ما يرام وانصرف الضيوف فقالت لي زوجتي :

– لقد اغرورقت عيناي حينذاك بالدموع ، وكدت ان استسلم لنوبة طاغية من الحزن والثورة على الطاهي . لولا انني رجعت لنفسي فرأيت ان الخير في ان ادع هذه الغلطة التافهة تمضي بسلام ، وان أعود الى الضيوف باسمة الوجه منشرحة الصدر ، ولأن يتهمونني بالإهمال او التقتير خير من ان يتهمونني بالحمق وسوء الخلق .

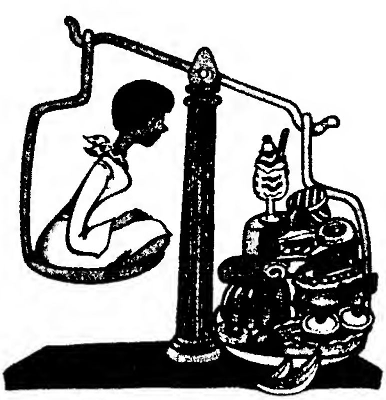
ومن اقوال دزرائيلي المأثورة : « ان الحياة أقصر من ان يعنى المرء فيها بالتوافه » .

وقد كتب « اندريه موروا » يقول : « ان عبارة دزرائيلي أعانتني على ان اجتاز ظروفاً كثيرة مؤلمة . فنحن غالباً ما نسمح لأنفسنا بأن نتضايق ونثور لأسباب تافهة كان ينبغي ان ننساها ولا نعلق عليها أية أهمية . ان العمر مهما طال مداه .. قصير . ومع ذلك فأننا نقضي ساعات لا تعوض في التفكير والأسى والأسف على أشياء تافهة ، لا شك في اننا مع غيرنا من الناس ، سننساها مع الوقت . أليس من الخير ان نكرس اوقاتنا القصيرة لاداء اعمال جليلة ،

وانتـــاج آثار خالدة ، والتفكير بأشياء مفيدة مسلية ، وخدمات لغيرنا خالصة ؟ »

هناك على منحدر جبل عال في أميركا ، توجد بقايا شجرة ضخمة ، يقول علماء النبات انها عاشت نحو اربعمائة عام ، تعرضت فيها للصواعق والزوابـــع والأعاصير ، فلم تتأثر بها ، وقاومتها جميعاً . وحدث في السنوات الأخيرة ، ان هجم على هذه الشجرة حشد من الخنافس ، وراح يشق طريقه الى قلبها ، فما لبثت قليـــلاً حتى انهارت امام الهجمات المتوالية لتلك الخنافس الصغيرة ، التي يستطيع طفل صغير ان يسحقها تحت قدميه .

ألسنا جميعاً مثـــل هذه الشجرة الضخمة ؟ .. ألسنا في كثير من الأحوال نقاوم الزوابع الشديدة ، والأعاصير الثائرة ، ثم ندع قلوبنا « لخنافس » الهموم تأكلها وتحطمها ؟ فلكي تحطم الهم قبل ان يحطمك ، احرص على ألا تتضايق من التوافه وتعلق عليها أهمية كبيرة . واذكر دائماً ان الحياة أقصر من ان يعنى المرء فيها بالتوافه .



- ٩ -

لاتفكر بالحسّاد والمنافسين

●

دعك منهم

قلما تخلو حياة امريء من حساد ومنافسين واعداء ، ولا شك في ان الشعور ببغض هؤلاء ، والرغبة في الانتقام منهم ، مما لا مناص منه ولا معدي عنه بحكم الطبيعة ، على ان هذه الرغبة وذلك الشعور كثيراً ما يشتـــدان ويستبدان بصاحبهما الى حد يجعل حياته كلها جحيماً من العذاب والشقاء ، فيفقد شهيته الى الطعام ، ويجافيه النوم ، ويضطرب تفكيره ، وتسوء عـــلاقاته بأقاربه واصدقائه ، وبكل من له اتصال بهم ، خصوصاً اذا لم يستطـــع ان ينفس عن نفسه ، ويبعد عن مخيلته صور اولئك الأعداء وما يعتقده من انهم خدشوا كرامته او اغتصبوا حقاً ثابتاً له ، او نسبوا اليه من التهم ما هو براء منه .

ولو ان هذا الحاقد الغاضب علم ان قلقه وأرقه وتمزق اعصابه مما يفرح خصومه ويزيد في شماتتهم به ، لجاهد نفسه جهاد الأبطال ، ولتركهم وشأنهم ليموتوا بغيظهم بدلاً من ان يموت هو بغيظه .

وقد أحسن مكتب البوليس في احدى الولايات الأميركية ، حين وزع على

اهلها نشرة من نشرات الأرشاد والدعاية للأمن والنظام ، قال فيها :

« اذا أهانك احد صغار النفوس ، او اذا اراد أناني حقود ان يستغلك ، فأكتف بأن تمحو اسمه من قائمة اصدقائك وعملائك ، ولكن حذار ان تكنّ له في نفسك شيئاً من الحقد او العداوة والبغضاء ، فان ذلك يضرّك ويؤذيك اكثر مما يضره هو ويؤذيه . »

وقام احد الاخصائيين ببحث حالات مئات من المصابين بارتفاع في ضغط الدم ، ومئات آخرين من المصابين بأمراض القلب ، فوجد ان حوالي ٩٩ ٪ من هؤلاء وهؤلاء قد جنوا على أنفسهم وألقوا بها بين براثن هذه الأمراض الفتاكة بالاندفاع في طرق الحقد والانتقام . كما تبيّن ان عدداً غير قليل من مرضى الحقد هؤلاء قد انتهى بهم الأمر الى أن خروا صرعى على اثر نوبة غضب شديدة ، او بالسكتة القلبية .

ولعل في هذا ما يوضح لنا ان آية « أحبوا اعداءكم » التي وردت في الأنجيل ، لم يقصد بها ان تكون دستوراً للدين والخلق الحسن فقط ، بل هي الى ذلك دستور صحي لا بد من اتباعه بدقة لكل من شاء ان يتفادى امراض القلب وارتفاع ضغط الدم وقرح المعدة وما اليها من علل جسمية ونفسية يحار في علاجها الاطباء .

ولا شك - انك صادفت في حياتك سيدات كثيرات ، لم يجاوزن سن الشباب ، ولكن وجوههن غاضت نضارتها وحيويتها وعلتها الكآبة والتجاعيد ، وعيونهن فقدت سحر نظراتها وبدت مخيفة مرعبة كأنما ترسل شواظاً من نار . ولعلك عجبت من هذه الظاهرة ، واستعصاء علاجها على الطب .. وشتى وسائل التجميل . ويزول عجبك حين تدرك السبب .. وهو ان هؤلاء الشابات الشيخات قد طويت قلوبهن على حقد وغل وعداء ، ازاء آخرين أو اخريات ، ولو انهن احببن اعداءهن ، او - على الأقل - امسكن عن الغضب والبغضاء ، لما جنين على أنفسهن تلك الجناية الشنعاء ، ولحاذرن ان يحترقن بالنار التي أشعلنها لحرق الأعداء ، كما قال شكسبير .

صحتك قبل حسادك

ان الصفح والتسامح من أهم عوامل النجاح في الحياة العملية . وقد حدثني صديق نمساوي بأنه اصطر خلال الحرب الأخيرة للهجرة الى السويد. ولم ير هناك بدأ من البحث عن عمل يعيش منه ، ولما كان يتكلم ويكتب اكثر من لغة ، فقد كتب الى مديري بعض المؤسسات الصناعية والتجارية المشهورة يطلب عملا ..

أجابه اكثرهم بذلك الجواب التقليدي المعروف .. « اي بابداء أسفهم لعدم وجود وظائف خالية ، والوعد بالاتصال به في المستقبل عندما تحين فرصة لتعيينه في الوظيفة المطلوبة » ولكن احد هؤلاء المديرين ابى مع رفض طلبه .. إلا ان يشذ عن هذه القاعدة ، فرد على كتابه قائلا :

« انني لم أر في حياتي اكذب منك . فأنت تزعم انك تجيد عدة لغات منها السويدية ، بينما كتابك مليء بالأخطاء . ولسنا الآن في حاجة الى موظفين جدد ، ولكننا اذا احتجنا الى موظف فيما بعد ، فلن نختار كاذباً مغروراً مثلك . »

وقرأ صديقي هذا الكتاب ، فثارت ثائرته ، وعزّ عليه ان يرد عليه المدير الأحمق هذا الرد الجاف ، وان يتهمه بالكذب والغرور ، ويزعم انه اخطأ في كتابه اليه باللغة السويدية ، بينما الرد الذي تلقاه منه هو المليء بالاخطاء ، وسرعان ما امسك القلم وراح يرد على كتاب المدير بكتاب آخر اودع فيه كل ما عرفه بالسويدية من عبارات اللعن والسباب .

وما ان أتم الصديق كتابة هذا الرد ، حتى كانت اعصابه قد هدأت ، فعاد الى نفسه قائلا :

« ان اللغة السويدية ليست لغتي الأصلية ، وقد بعد عهدي بدراستها ، فلماذا

لا اكون حقاً قد اخطأت في كتابتها ؟ . ولمـــاذا لا استأنف دراستها حتى اجيدها اذا شئت ان احصل على وظيفة ؟ . »

« وكان ان مزق الخطاب الذي ملأه باللعن والسباب وكتب خطاباً آخر الى ذلك المدير قال فيه :

« انني عاجز عن شكرك يا سيدي لأضاعة وقتك الثمين في الكتابة اليّ ، — مع انك في غير حاجة الى ذلك — ولكنك اردت ان تنبهني الى اخطائي ، وتدلني على غروري الذي سوّل لي الادعاء انني اجيـــد اللغة السويدية ، وقد قررت ان استمع لنصيحتــــك الثمينة ، فأعاود الدرس والتحصيل حتى لا تتكرر اخطائي » .

ولم تمض ايام حتى تلقى صـــديقي رداً آخر من المدير على خطابه الجديد يطلب اليه فيه التوجه لمقابلته، ثم اسند اليه وظيفة في المؤسسة اكبر من الوظيفة التي طلبها .

يقول « كونفوشيوس » : « ليس امراً غريباً ان يخطيء الناس في حقك ، ولا ان يختطفوا لقمتك من فمك ، ولن يضرك هذا او ذاك شيئاً ، ما لم تواصل التفكير فيها ، ملقياً بنفسك فيما كان احراك ان تبتعـــد عنه من الهموم والحسرات . »

وقد كانت « اديث كافـل » ممرضة كآلاف الممرضات في الحرب العالمية الأولى ، فحدث ان اخفت في بيتها ببلجيكا بعض الجنود الجرحى من الفرنسيين والانكليز ، وراحت تطعمهم وتمرضهم ثم عاونتهم على الهرب الى هولنـدا ، فقدمت للمحاكمة وقضي باعدامها .

وفي صباح اليوم المحدود لاعدامها ، زارها القسيس كما جرت العادة . فكانت آخر كلماتها ان قالت :

« اني أومن ان الوطنية وحدها لا تكفني ، ينبغي ألا أكنّ كراهية او بغضاً لأحد . »

وبعد اربع سنوات نقلت جثتها الى انكلترا ، وأقيمت لها صلوات تذكارية

في كَنيسة وستمنستر ، ونقشت هذه العبارة على قبرها .

« من العوامل التي تمكن المرء من الصفح عن اعدائه ونسيان اخطائهم ، ان يكون له هدف واضح في الحياة ، يركز تفكيره كله في بلوغه . »

وقد سئل العالم الاجتماعي لورنس جونس ، عن رأيه في اعدائه الذين حاربوا دعوته الى تعليم الفقراء وخدمتهم ، وهموا بشنقه ، فأجاب بقوله :

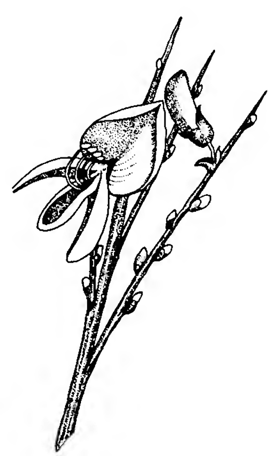
« لم يترك لي اهتمامي بهدفي وتحقيق رسالتي وقتاً للكراهية او الحقد »

وكان « لنكولن » يقول :

« لا تلوموا احداً او تحقدوا عليه مهما تكن خطيئته كبيرة ، فانما نحن جميعاً ابناء الظروف والبيئة ودرجه التعليم والوراثة . ولو انكم ورثتم الصفات العقلية والبدنية والميول العاطفية التي ورثها اعداؤكم ، ولو انكم كنتم في مثل ظروفهم ، لصنعتم مثل ما صنعوا » .

فلندع اذن بغض اعدائنا ، ولنعف أنفسنا من التفكير في الانتقام ، وإلا آذينا انفسنا اكثر مما آذونا ، خصوصاً وعمر المرء محدود ، فلماذا نضيعه في تعكير صفونا بالتفكير فيمن لا نحبهم ؟ .

دعك ممن لا تحبهم .. لا تفكر بهم .. واترك حسادك وشأنهم يلحسون حسدهم وكرههم لك .. وامض في طريقك ليشربوا البحر ويموتوا غيظاً ..



- ١٠ -

الاعتراف بالجميل جميل

نكران الجميل

زرت مرة صديقاً لي من كبار رجال الأعمال ، وتطرق بنا الحديث الى ذكر الموظفين والعمال ، فاذا به قد تغيّرت هيئته من الوداعة والرقة الى الغضب والغيظ ، وقال والشرر يكاد يتطاير من عينيه :

« لم ار في حياتي موظفين جشعين نا كرين للجميل كموظفي هذه الأيام »

وسألته : « كيف ذلك ؟ » فقال : « في عيد الميلاد الماضي منحت العاملين معي في مكتبي – وعددهم ٣٤ موظفاً – عشرة آلاف دولار ، اي نحو ثلاثمائة دولار لكل منهم .. وحتى الآن .. لم يحاول احدهم .. ان يوجه اليّ كلمة او نظرة شكر وتقدير على هذه الهبة ؟ . لقد مضى على ذلك عشرة أشهر ، واصارحك بأنني كلما تذكرت ذلك ثارت أعصابي ، واضطرب تفكيري ، وتملكني الندم لعطفي وكرمي على من لا يقدرون الصنيع ولا يعترفون بالجميل .

ثم انطلق صديقي رجل الاعمال في الحديث ، ومضى يعدّد الحسنات التي اسداها الى عماله لمناسبة وغير مناسبة . ويذكر بجانب كل حسنة من حسناته هذه عشر سيئات نالته بسببها . وخيّل اليّ انه لن يتم حديثه حتى يأمر بفصل جميع من لديه من الموظفين والعمال .

وعبثاً حاولت ان اخفف من حدة غضب صاحبي او ان أهوّن عليه الأمر ، فتركته إرثياً لحاله .

لقد كان في الستين من عمره ومع انه نجح الى حد كبير في اعماله فأنه لم يستطع الافادة من تجارب الحياة . ولم يدرك ان الاقرار بالجميل من اندر ما يحدث بين الناس .

ولعل نكران المرؤوس جميل رئيسه أهون على النفس وأخف من انكار الأبناء والبنات جميل الآباء والأمهات ، او انكار الأخ جميل أخيه ، وكل من الزوجين جميل صاحبه .

ولو ان صاحبي ادرك هذا .. ما قضى عشرة اشهر فريسة للغضب والأسف والحزن وكل ما يعكر عليه صفو الحياة . كان عليه ان يسأل نفسه لماذا لم يقدّر جميله اولئك العاملون عنده ، فلعلهم يرون انه ضنين عليهم بالاجور الطيبة ، او انه يرهقهم بالعمل اكثر من الساعات المقررة . ولعلهم لهذا او لغيره لم يروا فيما اعطاهم من المال هبة تستوجب الشكر ، بل رأوه حقاً مكتسباً لهم وقسطاً من اجورهم .. او لعله مستبد شديد النقد فأحجموا عن شكره نفوراً من الاتصال به . ولعلهم حسبوا انه لم يمنحهم تلك الهبة كرماً منه وتشجيعاً ، وانما خشية تسربها الى مصلحة الضرائب .

ومهما يكن من شيء فقد كان عليه ان يدرك ان « الاعتراف بالجميل » ثمرة تربية وتهذيب وتكوين ، وهو ما لا يمكن ان يوجد إلا مصادفة بين عامة الناس .

انقذهم من الموت فلم يشكروه

هب انك انقذت حياة انسان ، ألا تتوقع منه ان يشكرك ؟ .. قد يكون ذلك . ولكن « صموئيل ليبوفتز » المحامي المعروف ، اخبرني انه انقــد ، في الفترة التي اشتغل فيها بالمحاماة ، اكثر من ثمانين رجلاً من الاعـدام ، ولكن واحداً منهم لم يفكر بشكره ،ولا حتى بارسال بطاقة معايدة له .

وفي التوراة ان السيد المسيح شفى عشرة من المصابين بالبرص في يوم واحد ، فلم يشكره منهم على صنيعه سوى واحد فقط .

هذه الطبيعة البشرية .. لا تقرّ بالجميل بعد ادائه . واذن تكون مخطئاً أشد الخطأ اذا توقعت شكراً ممن تؤدي لهم بعض الخــدمات او تسدي لهم معروفاً .

في المسائل المالية ، قــد يكون الاعتراف بالجميل ممن تعينهم او تساعدهم ضرباً من المستحيل في اكثر الأحيان .

اخبرني احد المخرجين السينمائيين المعروفين ان صرافاً بأحد البنوك ضارب مرة في البورصة فخسر مبلغاً كبيراً من اموال البنك الذي يعمل فيه ، ورقّ له قلب المخرج وكان يعلم انه يعول اسرة كبيرة ، فدفع له المبلغ الذي خسره ، ولولا ذلك لخسر وظيفته وزجّ به في السجن . فهل اعترف هــذا الصراف بالجميل ؟ .. نعم ، ولكن هذا لم يدم الا بضعة اشهر فقط ، ثم اذا به يتنكر لمنقذه ويناصبه العداء بغير سبب ، كما راح يثير ضده اشاعات السوء .

واذا قدمت لأحد اقربائك معونة مالية ، الا تتوقع منه ان يشكرك ؟ . ولكن « اندروكارنيجي » ترك لقريب له بُعيــد مليون دولار فكان جزاؤه من هذا القريب ان صبّ عليه اللعنات ولما تمض على ذلك ساعات .. أتدري لماذا ؟ . لأن كارنيجي الذي ترك له المليون دولار ، أوصى ببقية ثروته للأعمال

والمشروعات الخيرية .

نعم ، هذه هي الطبيعة البشرية ، واكبر الظن انها لن تتغيّر ، واذن لماذا لا نتقبلها كما هي ؟

لماذا لا تكون واقعياً كما كان « ماركوس اورليوس » الحاكم الروماني الذي كتب مرة في يومياته : « قابلت اليوم اناساً كثيرين ، هم صورة مجسمة للأنانية والاثرة وحب الذات ونكران الجميل . ولكنني لم ادهش لرؤيتهم ولا انزعجت لمفاجآتهم .. فأنا لا أستطيع ان أتخيّل الدنيا بغير امثال هؤلاء الناس . »

واذ كنت انا وانت وجيراننا واصدقاؤنا لا نكف عن التذمر والشكوى من نكران الجميل ، فمن المسؤول ؟ وعلى من يقـــع اللوم ؟ .. أهو الطبيعة البشرية ؟ ام هو جهلنا بها ؟

وقد يبدو ان ترويض النفس على تقبل نكران الجميل سياسة مثالية يصعب تحقيقها . ولكن لا .. انها وسيلة عملية الى الظفر بالسعادة التي نتوق اليها . لقد كان أبيَ وأمي فقيرين ، ومرت بهما فترات كانا فيها غارقين في الديون ، ومـــع ذلك ، لم يكفا عن ارسال اعانة مالية ، كانا قد تعوّدا ارسالها كل عام الى ملجأ من ملاجيء الفقراء ، ومن عجب انهما لم يزورا ذلك الملجأ قط ، وكنت أراهما بعد إرسالهما تلك الاعانة سعيدين كأنهما تخلصا من دين عليهما ، او كأنهما تلقيا هـــدية لطيفة . ولم ألاحظ عليهما مرة انهما توقعا على تلك الاعانة وأمثالها اي جزاء او شكر .

وقد حرصت حين اصبحت موظفاً ان ارسل اليهما كلما أقبـــل عام جديد مبلغاً من المـــال ليشتريا به بعض الكماليات ، ولكني علمت فيما بعد انهما كانا يبتاعان به ملابس وأغذية .. ويرسلانها الى جارة فقيرة مات عائلها وخلف لها اولاداً كثيرين .

الرجل المثالي

يقول ارسطو : « ان الرجل المثالي يجـــد متعة في تقديم المعروف وخدمة

الآخرين ، ولكنه يخجل ان يتلقى عوناً من احد ، ويرى من النبل والرفعة ان يصنع المعروف للناس لوجه الله ، ومن مظاهر النقص والخسة ان ينتظر منهم المعروف » .

فاذا اردنا ان نسعد في معاملاتنا مع الناس ، فلنكف عن التفكير في امر الاقرار بالجميل او انكاره ، وليكن ما نقدمه من خير خالصاً لوجه الله واسعاد نفوسنا باسعاد الآخرين .

منذ آلاف السنين ، والآباء يضجون بالشكوى من نكران ابنائهم وبناتهم للجميل .. ولكن كيف يقرّ الأطفال بالجميل ، اذا لم ندرّبهم على ذلك منذ طفولتهم ؟ ..

ان نكران الجميل شيء طبيعي كالأعشاب التي تنبت في التربة ، والاعتراف بالجميل كالورود التي لا بد من تعهدها بالري والعناية والحماية حتى تترعرع وتزدهر .

ان العاقل لا ينتظر ابداً ان يعترف احد بجميله ، او ان يقابل احسانه بمثله . فان حدث هذا على غير انتظار فلا شك انه يكون مفاجأة سارة ، اما اذا لم يحدث فانه لن يكون مدعاة للغضب والندم والهموم .

اعرف امرأة في نيويورك تشكو من نكران الجميل وخاصه من افراد اسرتها . واذا زرتها مرة حدثتك بضع ساعات عما صنعت لأولاد اخيها حينما كانوا أطفالاً .. كانت تمرضهم بنفسها ، وتسهر الليالي الى جوارهم ، اذا أصيبو بالحصبة او السعال الديكي او غيرهما من الأمراض . وقد آوتهم بعد وفاة ابيهم وانفقت على تعليمهم الكثير حتى تخرجوا من الجامعة وتزوجوا فتياناً وفتيات ، ولكنهم لا يزورونها الا نادراً جداً .

والواقع انهم لم ينسوا جميلها عليهم ، ولكنهم احجموا عن زيارتها .. لأنهم سيرغمون على البقاء ساعات يستمعون لها وهي تؤنبهم وتمنّ عليهم في وصف ما صنعت لهم ، ثم تنفجر باكية راثية سوء حظها وخيبة آمالها فيهم .

هذه السيدة التي لا تفتأ تشكو من جحود اولاد اخيها ، لن تظفر بحبهم

واعترافهم بفضلها ، ما دامت تطلب ذلك ، وتعتقد انه من حقها .

وهناك الوف مثلها من النساء ، يلقين بأنفسهن الى الشقــاء مختارات ، باطالتهن التفكير في عـدم اعتراف الناس بجميلهن . ولو انهن راجعن عقولهن لآثرن صنع الخير والجميل لذات الخير والجميل ، فتفادين بذلك ما هن فيه من هموم واحزان .

اعرف رجلاً في شيكاغو ، تزوج من ارملة لها ولدان ، كانا قد أتما دراستهما الثانوية .. ورغم فقره استدان مالاً وارسل ولديها الى الجامعة . وظل يضيق على نفسه اربع سنوات لينفق على تعليم هذين الولدين حتى أتما تعليمهما ، فهــل شكراه على صنيعه ؟ .. لا ، لقــد عدا ذلك امراً واجباً ، وكــذلك عدته زوجته .

فاذا اردنا ان يكون ابناؤنا مقرين بالجميــل معترفين بأفضالنا عليهم .. فينبغي ان نكون نحن كذلك مع الآخرين . ان للطفل منذ يحبو — ان لم يكن قبل ذلك — آذاناً واعية واستعداداً للنقل والتقليد ، فهو يلاحظ كل كلمة تتفوه بها وكل صنيع تصنعه. ولذلك ينبغي ان نعني بتوجيه الشكر — على الأقــل امامهم — لكل شيء يقدم لنا ، وألا نتحدث بالسوء عن شخص عاملنا معاملة طيبــة . وبذلك نغرس في نفوسهم الوفاء ونعودهم على مقابلة الاحسان بالاحسان .

- ١١ -

إنتقادُ العظماء الناجحين

●

ثمن العظمة

منذ سنوات خلت حدثت ضجة كبرى في الدوائر العلمية **بأميريكا** ، امتد الجدل والنقاش فيها الى صفحات الصحف ..

وذلك حينما عيّن شاب في الثلاثين من عمره يدعى « روبرت هاتشنسون » مديراً لجامعة شيكاغو ، وهي من اكبر الجامعات في اميركا ، فهب كثيرون من كبار العلماء يستنكرون هذا التعيين ، ويوجهون الى المدير الشاب أعنف النقد والتجريح ، لم يكفهم ان اتهموه بأن افكاره صبيانية تافهة لحداثة سنه وقلة تجاربه ، بل أضافوا الى ذلك كثيراً من السخرية بنشأته المتواضعة إذ كان قبل ذلك بعشر سنوات فقط خادماً في جامعة « ييل » ..

وحدث في الاحتفال الذي أقيم لمناسبة تعيين هاتشنسون مديراً لجامعة شيكاغو ، ان كان ابوه جالساً مع احد اصدقائه بين الحاضرين ، فهمس اليه صديقه هذا قائلاً :

« مسكين ابنك . ان صحف اليوم تضمنت مقالات وأحاديث كلها سب

واهانة له وتعريض بماضيه »

فقال الأب في هدوء : « لقد قرأتها ، ولا شك انها تضمنت نقداً لاذعاً ، واتهامات قاسية ولكن هذا كله لا يهم ، لأنه ثمن العظمة يا سيدي ، وكلما غدا المرء اكبر شأناً زادت رغبة الناس في نقده ، وفي ترويج الشائعات الباطلة عنه » .

ويحكى ان دوق وندسور – الملك ادوارد الثامن سابقاً – رآه عميد الكلية الحربية (بديفونشير)يوماً يبكي وحده عقب التحاقه بها ، وهو في الرابعة عشرة من عمره ، فلما سأله عن سر بكائه ، علم منه بعد الالحاح ، ان ثلاثة من زملائه في الكلية ، قابلوه متفرقين منذ قليل ، وركله كل منهم بقدمه لغير ما سبب .

ودعا العميد اولئك الطلبة الثلاثة المعتدين ، وما زال بهم حتى صارحوه بسر اعتدائهم الذي لا مبرر له على الأمير ، وهو انهم اتفقوا فيما بينهم على ذلك ، لكي يستطيعوا فيما بعد وحين يصير الأمير ملكاً وامبراطوراً.. ان يقولوا صادقين : انهم ركلوه بأقدامهم .

والواقع ان اكثر من يعتمدون النقد والايذاء لغير ما سبب ظاهر ، انما يفعلون على ذلك مدفوعين بشعورهم الباطن بأن هذا يرفع من شأنهم ، لأعتقادهم ان المعتدي عليه انسان ناجح جدير بلفت الأنظار اليه .

المتعة في السب والشتم

وكثيرون هم الذين يجدون لذة ومتعة طبيعيتين في قيامهم بسب من يفوقونهم في العلم او المال او المركز ، وفي ترويج الشائعات المختلفة عنهم . وقد تلقيت اخيراً من سيدة معروفة كتاباً وجهت فيه أفحش السباب الى احد رؤساء الجمعيات الخيرية ، واتهمته بأنه سرق ثمانية ملايين دولار من التبرعات التي جمعها ليساعد بها الفقراء .

ولم اشك في بطلان هذه التهمة وسخافتها ، إذ كنت على معرفة تامة برئيس الجمعية المذكورة ، وبالوجوه التي ينفق فيها تلك التبرعات ، ولكن السيدة كاتبة الرسالة لم يكن يعنيها ان تبحث عن الحقيقة في هذا الشأن ، بل كان همها ان تشبع رغبة نفسها الأمارة بالسوء ، وتستمتع بالنيل من انسان تعتقد انه أقوى شخصية منها او من زوجها .

وفي ذلك يقول « شوبنهاور » :

« ان الرجل الخسيس يجد متعة في تلفيق الأخطاء وافتراء الأكاذيب لينال بها من العظماء وذوي الخلق العظيم » .

على ان هذه العادة السيئة ليست وقفاً على طبقة من الناس . ولعل احداً لم يكن ليتصور ان مديراً سابقاً لجامعة ييل الكبيرة يجد لذة كبيرة في تشويه سمعة رجل فاضل هو « توماس جيفرسون » رئيس الولايات المتحدة الأميركية السابق الذي اشتهر بانتصاره للديمقراطية والاخلاق الفاضلة طوال حياته.

فحينما كان جيفرسون مرشحاً للرياسة لم يتورع مدير الجامعة المذكور على ان يقول عنه :

« اذا قدّر لهذا الرجل ان يكون رئيساً لبلادنا فسنرى في عهده زوجاتنا وبناتنا يرتكبن الدعارة علناً ، وستنهار اركان الفضائل ويعم الالحاد » .

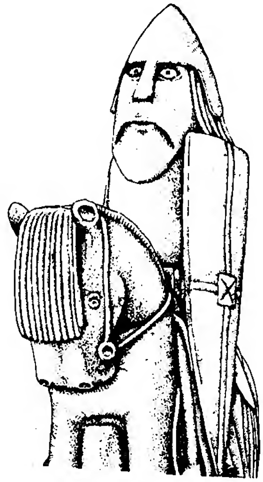
ومن كان يتصور ان « جورج واشنطون » العظيم يقال عنه انه مجرم محتال ، وان يصل الأمر بحساده والحاقدين عليه .. الى ان يصوّروه في احدى صحفهم المأجورة في صورة مجرم محكوم عليه بالاعدام ، في انتظار حزّ عنقه ، وان يكتبوا تحت هذه الصورة : « هكذا ينبغي ان يكون مصيره » .

وهناك الأميرال بيري – احد مكتشفى القطب الشمالي – فأنه حين ادهش العالم برحلته الموفقة التي حققت احلام الوف من العلماء الذين سبقوه ، وبعد ان أشرف في سبيل ذلك على الموت جوعاً ، وتجمدت أصابع قدميه من شدة البرد فأضطر الأطباء الى بتر ثمانية منها ، وكاد ان يفقد عقله لفرط ما عاناه من المتاعب خلال رحلته ، ما كاد يعود منها ظافراً ، حتي حسده رؤساؤه في الجيش

فأتهموه بتبديد المال الذي جمعه للقيام ببعثات علمية وبأنه أنفقه بغير حساب على نفسه وأعوانه . وكان من نتائج هذه الحملات المغرضة والاتهامات الباطلة ان أنفض من حوله كثيرون من مشجعيه ، وتعذر عليه مواصلة رحلاته العلمية المفيدة . ولو انه قنع بالجلوس الى مكتبه مثل اولئك الرؤساء ، ما بلغ هذه العظمة التي اثارت ضده حسد الحاسدين وحقد الحاقدين .

وحدث مثل هذا ، واكثر منه ، للجنرال « غرانت » اثناء حرب التحرير بالولايات المتحدة .. فقد ظفر بنصر عظيم في احدى المواقع أثار دهشة جميع القواد .. ومع ذلك لم تمض ستة أسابيع حتى قبض عليه ، لتهمة باطلة وجهها اليه حاسدوه من الرؤساء والزملاء ، فلم يسعه إلا ان يبكي حزناً وأسفاً على مقابلة احسانه بالاساءة والجحود .

واخيراً ، هل يقلقك ان يكثر الناس من نقدك وذمك بالباطل : اذا كان الأمر كذلك فأذكر ان هذا النقد ، ليس إلا تهنئة متنكرة .. واذكر المثل السائر الذي يقول : « ان الكلب الميت لا يرفسه احد » .



- ١٢ -

إنك ناجح إذا أردت

•

كفاح المال

يقول الدكتور « يوستاس تشسر » الطبيب والعالم النفساني الشهير في كتابه « الحياة الناجحة » :

« لعل الكفاح والصراع في سبيل المال لم يسبق ان بلغ من الحدة والشدة في اي عصر من العصور ما بلغه في عصرنا ..

ان غريزة الاقتنـــاء وحب الاثراء شيء فطري في الانسان ، ولكن القيم الخلقية والعقائد والتقاليد في ماضيات الأيام كانت حافظة لجلالها وقدسيتها ، وكان اكثر الناس يضعونها في مرتبة اسمى من مرتبة المال ، فلا يضحون بها او يخرجون عليها مهما قويت عوامل الاغراء او بلغت بهم الحاجة ..

وكان فلاسفة الشرق ينزعون دائماً الى المغالاة في تقديس النواحي الروحية وعدم الاهتمام بالماديات الدنيوية ، حتى جاءت حضارة الغرب تتغلغل وتنتشر في جميع البلاد حاملة معها التبشير بتقديس المادة ووضعها فوق كل اعتبار .

وكما ان فلسفة الزهد وعدم المبالاة بمطالب الحياة أضرّت بالفرد والمجتمع ، وأدت الى شلّ الانتاج عند بعض الشعوب ، بل جعلتهم يموتون موتاً بطيئاً وهم مستكينون راضون لا يفكرون في اصلاح حالهم او تحسين بيتهم وظروفهم ورفع مستوى معيشتهم .

فلا ريب ايضاً ان الاسراف في تقديس المطامع المادية وعبادة المال ، من أهم عوامل الشقاء للفرد والاسرة والمجتمع ، بل هو مبعث اغلب المشاكل الخطيرة التي يعانيها العالم اليوم ، والتي قد تؤدي به الى حرب ضروس تقضي على المدنية الغربية التي انجبت هذه الفلسفة المادية وهبطت بالانسان الى درك قريب من الحيوانية ..

الطريق الوسط

ان الاندفاع في احد هذين الاتجاهين لا يمكن ان يؤدي الى ما نهدف اليه من الحياة ، فطريق النجاح الحق هو طريق وسط يقع بينهما ..

ان الفقر لعنة تدبل البدن وتبلّد العقل وتذل النفس ، والمال لا يفيد في التحرر من نير القلق فحسب ، ولكنه يتيح الفرصة امام المرء للنضوج والسمو والاستمتاع بالمساهمة في الخدمات الاجتماعية ، ولكنا نرى من جهة اخرى ، ان من يولد وفي فمه ملعقة من ذهب وحوله اكداس الذهب ، فلا يطلب منه ان يبذل ادنى جهد لكي يعيش ، يلقي عناء كبيراً في سبيل نمو شخصيته ونضوج عواطفه ، فكما ان نمو العضلات يستلزم المران والحركة وبذل الجهد ، وسلامة الأسنان تستلزم طحن الأشياء الصلبة الجافة ، كذلك نمو الشخصية يستلزم مواجهة الصعاب والتمرس بالمسئوليات ..

وهذا النمو ،االذي يتضمن تهذيب الغرائز وسهولة التحكم فيها وتنمية حاسة الحكم الصحيح على الأشياء لازم للمرء ، لا للقيام بواجباته ومسئولياته في البيت

العمل فحسب ، وانما ليواجه الطوارىء والمفاجآت والأزمات التي لا بد له من لقائها من حين لآخر ، ما بقي على وجه الأرض .

لذلك كان من اوجب الواجبات ان نعد انفسنا اعداداً كاملاً ، لا لمواجهة المطالب الحاضرة فحسب .. وانما لما هو ابعد من ذلك .

مقاييس النجاح

ان مقياس النجاح الحقيقي للمرء ، ليس فيما يبلغه دخله من عمله او مقدار رصيده في المصارف ، وما يملك من اطيان وعمارات ، لأن عنصر الحظ يلعب دوراً هاماً في كسب المـــال ، كما انه قد يكون على حساب الشرف والكرامة والاخلاق ، ولكن مقاييس النجاح تتوقف على مدى استغـــلال المرء لمواهبه ومدى افادته من الفرص وتغلبه على ما يصادفه من متاعب وعقبات ..

ان كثيرين من رجال الأعمال الذين تحسدهم وتعجب لما احرزوه من تقـدم ونجاح في اعمالهم ، اشقياء فعلاً وابعد ما يكونون عن السعادة وسلامة النفس لأنهم ركزوا كل جهودهم واختصوا بكل اوقاتهم ناحية واحدة .. وتركوا النواحي الأخرى .

ومثل هؤلاء كمثل دينامو تشابكت الأسلاك المتصلة به ، فلم يعـــد انتاجه الوافر من الكهرباء يضيء سوى مصباح واحد ، فهم يحسون بمرارة الحرمان والخيبة في نواحي الحياة الهامة الأخرى ..

وعلى النقيض من ذلك ، ينـدر ان تجد شخصاً نجح نجاحاً كبيراً في حياته كزوج او والد او مواطن او انسان ، قـــد فشل فشلاً ذريعاً في جميع ميادين الحياة الأخرى . والسبب في ذلك ، ان النجاح في هذه النواحي يستلزم كثيراً من الصفات التي تعزّز النجاح في ميادين العمل ، فالشخص الذي ينجح في حياته الزوجية ، لا بـــد انه قد نجح في تنمية شخصيته وفهم نفسه وعرف كيف

يتحكم فيها ، وهو حري ان ينجح كوالد ، وما لم تعاكسه الظروف يغلب ان ينجح كأنسان ..

ولكي نعيش كما ينبغي ، لا يكفي ان نعيش لأنفسنا ، وانما يجب ان نعيش في انسجام مع البشرية التي نحن منها . فلو ان الانسان كان جسماً فحسب ، لكفانا من الحياة الناجحة المحافظة على ذلك الجسم وامتاعه بغض النظر عمن يعيشون معنا وحولنا . ولو كان جسماً وعقلاً فحسب ، لكانت الحياة الناجحة هي العناية بهما ومراعاة الانسجام بينهما بغض النظر عن جميع الاعتبارات الأخرى. ولو كان جسماً وعقلاً وروحاً فحسب، لما استلزمت منا الحياة الناجحة سوي المحافظة على سلامة الجسم والعقل والروح .. ولكن الانسان شيء اكبر من هذا ، فهو جسم وعقل وروح داخل الجسم الأعظم ،وهو كذلك العقل الأعظم والروح الأعظم للجنس البشري كله ، لا الأحياء منهم فحسب .. ولكن للذين عاشوا قبلاً والذين سيعيشون ..

الانسجام بين الملكات

وأولّ ما نفعله في هذا الصدد ان نوفر الانسجام بين الجسم والعقل والروح ونوزع اهتمامنا بها ورعايتنا لها بالعدل والقسطاس ، فان اهمال احدى هذه القوى الثلاث او كبتها سيؤدي الى صراع نفسي يظهر بصور شتى . فالذين يهملون الجانب الروحي كي يوزعوا كل جهودهم على الناحيتين الجسمية والذهنية ، يحسون بشقاء داخلي ونوبات من عدم الرضا يعجزون عن فهم اسبابها .

والذين يهملون تغذية عقولهم تنحرف طاقتهم الذهنية الى سبل الشر ، واذا اهملوا حق أبدانهم عليهم انتقمت منهم أبدانهم بمئات الصور المرضية المعروفة ..

ونوجز ما ينبغي ان يراعيه المرء لتقوية حانبه الروحي فيما يلي :

– يجب ان نواجه الحقائق التي تتصل بعاداتنا وسلوكنا وتصرفاتنا بصراحة وحزم .

– يجب تجنب الحكم على الآخرين ونقدهم ، ما دمنا لا نستطيع ان نعرف ظروفهم الداخلية .

– ينبغي ان نقدس العقيدة التي نؤمن بها ، ولنحرص دوماً على اتباع ما تمليه علينا وتوحي به تعاليمها الينا في جميع سلوكنا وتصرفاتنا ، على ان لا نحاول ان نفرضها فرضاً على الآخرين .

– لنذكر دائماً انه ينبغي ان لا نحيد عن مثلنا العليا في الأعمال الصغيرة التي نؤديها كل يوم ، كما ينبغي ان تمتزج نواحي الاحسان والعطف بحياتنا ، فلا نقصرها على ناحية واحدة او مواسم معينة .

– يجب ان نبتعد عن الزهو والغرور فانه لا يشل الجانب الذهني في الانسان ويوقف نموه اكثر من زهوه وغروره . فاذا كنت تحس بأنك أرقى تفكيراً واكثر ذكاء من رفاقك ومعاشريك ، فيحسن ان تذكر نفسك دائماً بأن أذكى بني البشر ما يزالون يقفون حتى اليوم حيارى يجهلون كيف يفسرون الكثير من حقائق الكون .

– ثق بنفسك على الدوام ، واذا كنت أضعف ذكاء من مخالطيك . وجب ان تفتش في داخلك عن صفات حسنة تبعثك على التشجيع وستجد عندك ما يوازن هذا النقص ويعيد اليك الثقة . فمن نعم الله على الانسان ، انه حيث يوجد عجز من ناحية ، توجد عوامل اخرى تعوّض هذا العجز من نواحي اخرى ..

– حدد اهدافك .. فالحياة الناجحة تستلزم تحديد الأهداف التي تشبع مطالب الطبيعة البشرية ذات الشعب الثلاث : الجسم والعقل والروح ، على ان يطبقها كل حسب ظروفه وامكانياته ، وهذه الأهداف لا تخرج عما يلي :

١ – السعي الى الظفر بالنجاح في الحياة العملية بدرجة جيد ، ولا ضرورة لدرجة جيد جداً او ممتاز .. والنجاح هنا يستلزم الاستغلال الكامل لطاقة المرء

الطبيعية وعدم الحيلولة دون تطوّرها ونموها الطبيعي .

٢ – التهيؤ للحياة الزوجية وانجاب الأولاد .

٣ – محاولة فهم العالم الذي تعيش فيه ، وادراك الرسالة الملقاة على عاتقنا .

فبتحقيق هذه الأهداف الثلاثة نرضي الجسد والعقل والروح ، اذا اتخذنا لبلوغها الطرق الصحيحة والوسائل المناسبة . ومن سوء الحظ ، ان كثيرين يتجاهلون المحافظة على التوازن بين هذه المطالب ، فتغادرهم السعادة ويحل محلها الشقاء ..

حياتك العملية

ولكي نظفر بالنجاح المرغوب في حياتنا العملية ، علينا ان نسعى اولاً للتمكن من جميع نواحي العمل الذي نقوم به . وما لم نعرف كيف نعامل الناس ، فان المهارة الفنية وحدها لن تحقق ما نصبو اليه ، إلا في نواحي العمل الروتيني ، فسواء كنا نشغل وظيفة كبيرة ام صغيرة ، فاننا نقضي اكثر اوقات عملنا في الاتصال بالناس ، وكلما أرضيناهم ونجحنا في اكتساب قلوب اكبر عدد منهم ، زاد احتمال نجاحنا في عملنا وحبنا له .

ومن المتعذر وضع قواعد ثابتة تصلح لأن تكون دستوراً للتعامل مع جميع الناس في مختلف الظروف والمناسبات ، ولكنك تستطيع ان تطمئن الى نجاحك في التعامل معهم اذا تذكرت دائماً انهم بشر مثلك لهم نفس الغرائز والدوافع التي تكمن وراء الكثير من تصرفاتك وميولك .

نعم ان الحياة تعلمنا الكثير عن وسائل التعامل مع الناس ، ولكن مدرسة الحياة قاسية ، ولو اعتمدنا على تجاربنا وحدها فاننا قد نصل الى نتيجة في النهاية ، ولكن بعد ان نكون قد فقدنا الكثير من الفرص والكثير من الأصدقاء ودفعنا الثمن غالياً من سلامنا الداخلي .

ولو اننا عرفنا انفسنا جيداً ، وحرصنا على ان نتصوّر انفسنا دائماً في موضع الذين نتعامل معهم ، وقدّرنا ظروفهم ، لكسبنا قلوب الكثيرين وذللنا كثيراً من المشاكل ، ولما بقيت انفعالات الناس النفسية كتاباً مغلقاً علينا .

والكفاية في العمل اذا اقترنت بالقدرة على التعامل مع الناس ومسايرتهم تحقق لك حتماً النجاح المرغوب في عملك ..

حياتك الشخصية

ولا يستطيع الانسان العادي ان يستمتع بالحياة دون ان يشبع ميله الطبيعي في ان يحب ويحبه الناس ، نعم ان هناك من أضرّت بهم ظروف طفولتهم فأعجزتهم عن الحب او حوّلت رغباتهم الجنسية الى نواح غير طبيعية ، وهناك الوف ممن نراهم عاديين في كل شيء ، يحملون في نفوسهم آثار احداث وتجارب خاطئة منذ الطفولة تحول دون استمتاعهم بالسعادة في الحب والزواج .

افحص نفسك جيدا ، وحلل هذه الرواسب النفسية ، وحاول ان تطهر نفسك منها قبل ان تقدم على الزواج حتى تستمتع بحياة زوجية هانئة ، فتوفيقك في الحياة كزوج من أهم دعائم الحياة الناجحة .

وينبغي ايضاً ان تعرف نفسية الطفل وان تعرف ان اخلاق اطفالك وسلوكهم في المستقبل رهن بسلوكك معهم وبالصورة التي تبدو بها امامهم في ساعات سرورك وضيقك وألمك .

ان اخفاق المرء كأب من أشد المنغصات التي يعانيها كثير من الآباء في مرحلة الشيخوخة ، إذ يرون ابناءهم قد حادوا عن طريق الفضيلة والنجاح بسبب اهمالهم لشؤونهم في مرحلة الطفولة او الخطأ في تربيتهم ، فيحسون انهم ارتكبوا جرماً كبيراً لا يغتفر .

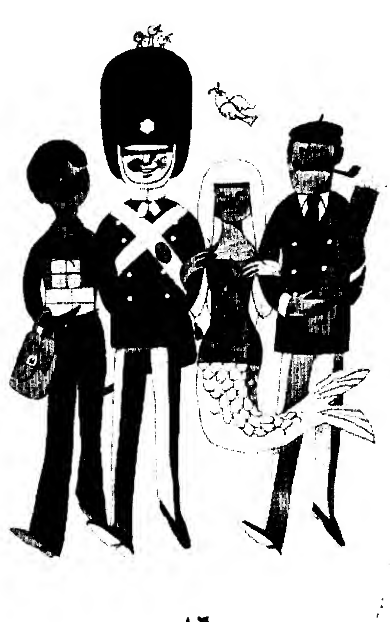
ان الشخص الذي ينطوي على نفسه ويعيش في عزلة عن المجتمع أشبه بخلية مريضة لا تؤدي وظيفتها فتلحق الاضطراب بتوازن الجسم لأنها تأخذ نصيبها

من الغذاء – وربما أضعاف نصيبها – دون ان تعطي الجسم شيئاً مقابل ذلك .

ان حالة المجتمع تعكس دائماً حالة الأفراد الذين يتكون منهم هذا المجتمع ، فان كان الأفراد انانيين لا يفكرون الا في أنفسهم ، كان المجتمع جدباً لا حياة فيه ، وان كان التعاون معدوماً بين الأفراد ظل المجتمع مضطرباً منقسماً يسوده الشقاء .

ان هناك طرقاً عملية عديدة يستطيع بها الرجال والنساء ان ينفعوا المجتمع الذي يعيشون فيه بالخدمة العامة والتزام الخلق الفاضل وتنشئة الجيل الجديد تنشئة طيبة فاضلة .

اننا لسنا في حاجة الى خلق جيل من الملائكة ، ولكننا في أشد الحاجة لتنشئة جيل من الرجال والنساء ليسوا أرقاء لغرائزهم البهيمية ، تسيّرهم وتوجّههم في سلوكهم مع الناس ..



- ١٣ -

إفتحي طريق النجاح لزوجك

•

شكوك

حدثتنا السيدة دايل كارنيجي زوجة المؤلف فقالت :

زارنا يوماً صـــديق من رجال الأعمال ، وكانت امارات الألم والضيق واضطراب الأعصاب واضحة في وجهه ، فلما سألناه عما به ، أجاب قائلاً :

« منذ ستة أسابيع وانا مضطر الى البقاء في مكتبي حتى ساعة متأخرة من الليل لإعداد الترتيبات اللازمة لإفتتاح فرع جديد لمؤسستنا . وقـــد حاولت كثيراً اقناع زوجتي بقبول هذا العذر الطاريء ، متعهـــداً بالعودة للبيت في المواعيد المعتادة بعد افتتاح الفرع الجديد ، ولكنها ترفض الاقتناع ، ولا تفتأ تثيرني وتثور في وجهي كلما التقينا .. حتى صرت أجد صعوبة كبيرة في تركيز ذهني في عملي . »

شكوى صديقنا هذه ، هي شكوى كثيرين ممن يكافحون ويناضلون في

سبيـــل بلوغ اعلى مراتب النجاح ، ولست أنكر اننا نحن الزوجات تساورنا الهواجس والشكوك ونشعر بكثير من الضيق خلال الفترات التي تزدحم فيها اعمال الأزواج وتستغرق بعض الوقت المخصص لزوجـاتهم واولادهم . ولكن الزوجة الحكيمة ينبغي ان تتحمل هذا الألم في صمت وان تقاوم تلك الهواجس والشكوك لكي تمضي في اداء رسالتها الأولى في السهر على رعاية زوجها وتقوية روحه المعنوية ، وان تهيىء له جو العمل وبواعث الصحـــة والسعادة لتشجعه وتعاونه على شق طريقه الشائك في الحياة بنجاح ، وعلى تأدية رسالته نحو نفسه واسرته ووطنه كاملة غير منقوصة .

اننا كثيراً ما نعجز عن ان نشارك ازواجنا نشوة الربح والسبق التي تحفزهم الى العمل ، وتجعلهم يصمون آذانهم ويغمضون عيونهم عن كل ما عداهم . ومن هنا ينبغي لنا – اذا اردنا ألا نعوق ازواجنا عن التقدم – ان نشغل انفسنا بأعمال وهوايات تبدّد وحشتنا وتحول بيننا وبين الأسى والاستسلام للشكوك . وفي استطاعتنا – مثلاً – ان نساهم في جمعية خيرية ، او عمل نافع ، وان نزور المكتبات ودور الكتب والمعارض الفنية والمتاحف ، وان نلتحق بدراسات مسائية تزيـــد في معلوماتنا وتصقل مواهبنا ، وتوجه هواياتنا وجهـــة صحيحة مفيدة .

كذلك ينبغي ان نذكر دائماً ان نجاح ازواجنا لا يعود بالخير عليهم وحدهم، ولكنه كذلك يعود علينا وعلى اولادنا ، كما ان فترات اشتغالهم عنا بأعمالهم الاضافية ، نستطيع تقصيرها اذا وقفنا الى جانبهم نناصرهم ونشجعهم ونظهر لهم ثقتنا بهم وإيماننا بكفاياتهم .

انني اؤمن بأن كل فتاة يجب ان تهيىء نفسها لعمل تستطيع التكسب منه اذا اضطرتها الظروف في مستقبـل حياتها الى ذلك ، كما ارى ان تضحي الزوجة بوظيفتها او عملها عند الزواج ، لكي تتفرّغ لاداء رسالتها الأولى وهي تهيئة الجو المناسب لنجاح زوجها في عمله .

ومهما يكن عمل الزوج ، فان في استطاعة زوجته ان تزيد من فرص تقدمه

ونجاحه فيه ، بلباقتها ، وقدرتها على مسايرة الناس ، وحسن معاملتها لهم ، وحرصها على مجاملتهم ، والمساهمة في اوجه النشاط الاجتماعي والثقافي ، وليس من الصعب ان تروّض الزوجة نفسها على ذلك .

ساعدي زوجك

وقد يكون الزوج في عمله من الشبان المغمورين ، لكنه لن يلبث بعد سنوات ان يصبح من كبار اساطين العلم والصناعة والمال ، فهؤلاء جميعاً لم يبدأوا حياتهم من القمة بل وصلوا اليها تدريجاً بالمثابرة والنشاط .

وإذن ... يجب ان تعمل زوجة الشاب المغمور على ان تكون جديرة بما تصل اليه ،اذا بلغزوجها ذروةالنجاح والشهرة،بعد عشر سنوات او عشرين او ثلاثين ، واذا كانت لا تراعي الذوق وقواعد اللياقة في معاملاتها ، فلتروّض نفسها على ان تحترم كل من تلقاه ، وعلى ان تجد متعة في عشرة الآخرين وخدمتهم ومجاملتهم . واذا كانت الظروف قد حالت دون حصولها على ثقافة عالية ، ففي وسعها ان تعوّض هذا النقص بالقراءة والاطلاع والاختلاط بالمثقفات المهذبات .

وقد يكون الزوج جاف الطبع ، لا يعرف كيف يعامل الناس ، ولكن هذا النقص فيه من الممكن تداركه برقة زوجته في الحديث ولطفها في المعاملة . وعلى عكس ذلك قد يكون الزوج دبلوماسياً رقيقاً في معاملته للأخرين ولكن خشونة زوجته تشوّه هذه الصورة الجميلة التي يبدو بها امامهم .

وكثير من الزوجات يعمدن الى المشاكسة والاثارة واستغلال نقط الضعف في الرجال للسيطرة عليهم وتحقيق مطالبهن . والواقع ان هذا المسلك اذا كان قد نجح في الأجيال الماضية احياناً ، فان عاقبته وخيمة في الظروف الراهنة .

أخبرني صديق لنا ، انه كاد يخفق في عمله ، لا لشيء إلا لأن زوجته كانت تحتقر عمله ، وهو توزيع السلع التي تنتجها احدى المؤسسات ، وكانت لا تفتأ تسخر من حبه لهـذا العمل ونشاطه فيه ، فلا تكاد تستقبله في المساء حتى تسأله :

« ماذا صنعت اليوم ايها العبقري ، ألا تذكر ان ايجار المسكن مستحق في الاسبوع المقبل ؟ »

وقد استمرت في مسلكها هذا سنوات ، وعبثاً حاولت اقناعها بالعدول عن هذا المسلك ، فلم يسعه إلا ان طلقها وتزوج اخرى منحته من الحب والتشجيع ما جعله اليوم مديراً لقسم التوزيع في احدى المؤسسات الكبيرة .

ان المشاكسة مرض عاطفي هدام ، ولكن عـلاجه ممكن ميسور ، بأن تروّض الزوجة نفسها على ألا تكرر طلب شيء من زوجها ، فاذا اضطرت الى ذلك فليكن الطلب مرة اخرى بلباقة وكياسة ، لأن الالحاح قد يأتي بعكس النتيجـة المطلوبة . وعلى الزوجة في الوقت نفسه ان تظهر امام زوجها دائماً بالابتسام والبشاشة ، وان يكون حديثها معه فكهاً مرحاً . ويحسن ان تسجل في مفكرتها كل شيء ترى انه يضايقه ، حتى اذا لم تجد هي فيه وجهاً للمضايقة . ثم لا بأس بعد ان تهدأ أعصابه ، واعصابها ايضاً ، من ان تراجع معه ما سجلت من تلك الأشياء .

لا تتدخلي

شهدت مرة حفـلاً عاماً ، واتفق ان جلست بجانب احد الأخصائيين الاجتماعيين فسألته :

– كيف تستطيع المرأة ان تساعد زوجها على النجاح في عمله ؟

فقال : « انها تستطيع ذلك بسهولة منى أحبته ، ثم تركته وحده لا تتدخل في عمله » .

والواقع ان كثيرات يحلن دون نجاح ازواجهن بتدخلهن المستمر في صميم اعمالهم ، واثارتهم ضد زملائهم ورؤسائهم ، او بالشكوى المستمرة من ضآلة اجورهم وكثرة اوقات عملهم وما الى ذلك من مثبطات الهمم .

وعندي ان أهم عامل للنجاح — في أغلب ميادين العمل — هو الاستمرار في الدرس وطلب العلم . ومن هنا يجب على الزوجة ان تشجع زوجها على ذلك وتهيىء الجو المناسب له ، كما يجب عليها ألا تعوقه عن الانصراف لعمل يحبه ولو كان فيه شيء من المغامرة ، او كان ينطوي على متاعب لها .

وفي حديث للسيدة قرينة الرئيس ايزنهاور : انها تعتقد ان الوظيفة الأولى للزوجة هي ان تراعي الأشياء الصغيرة التي تبعث السرور في نفس زوجها ونفوس الآخرين ، وان تتذكر دائماً ان المشاركة في اي شيء — ولو كان لقمة خبز او فكرة بسيطة — من أهم الأشياء التي تربط الناس بعضهم ببعض ، وعلى هذا تحرص ان تشارك زوجها هواياته واتجاهاته وميوله ، حتى اذا اقتضى ذلك بعض التضحية من جانبها .

فلتحرص الزوجة دائماً على ان تهيىء لزوجها في البيت جواً يساعده على تجديد نشاطه واستئناف عمله كل صباح بسرور وبهجة وأمل . وهي أهم النواحي التي ينبغي ان تراعيها الزوجة .

مهما يكن الزوج محباً لعمله ، فان اعصابه لا بد ان يصيبها شيء من التوتر والارهاق من العمل . ووظيفة البيت ان يبدّد هذا التوتر . ولا شك في ان الزوجة تريد ان يكون بيتها نظيفاً مرتباً ، ولكن الزوج المرهق الأعصاب قد يضايقه التزام النظام الذي تفرضه الزوجة . فلا بأس أن تدعه يلقي سيغارته حيث يريد ، وان يأكل حيث يشاء ، فالبيت هو المكان الوحيد الذي يستطيع ان يسترخي فيه وان يأخذ حريته ..

ينبغي ان تراعي المرأة تقديم وجبات الطعام في مواعيدها ، وان تعرف ما يحب منه وما لا يحب ، وتحاول ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ان توفر له ما يحبه .

معظم الرجال يأكلون اكثر مما ينبغي – وخاصة في أواسط العمر – فعلى الزوجة ان تضع نظاماً حكيماً من شأنه ألا يزيد وزن زوجها ويعرضه للمرض . ولتحرص على ان يأكل في جو بعيد عن العجلة والتوتر العصبي .

على الزوجة ان تجعل زوجها يعرض نفسه على طبيب باطني مرة كل عام ، وكذلك على طبيب الاسنان .. فكثير من الأمراض يسهل علاجها وتوقيها اذا كشف امرها في مرحلة مبكرة .

لتحرص الزوجة على ان يأخذ زوجها فترات راحة كافية ، وان يقضي يوم عطلته في نزهات خلوية يشيع فيها جو المرح والبهجة .

انها ان فعلت ما نصحنا به في هذا الفصل ساعدت زوجها في عمله، واسرعت في نجاحه ، وملأت بيتها سعادة وهناء وربيعاً دائماً ..



- ١٤ -

عيّن أهدافك

•

الهدف

الهدف غاية وأمـــل .. انه اكثر من حلم .. انه حلم يراد تحقيقه .. حلم محسوس يراد تحقيقه والوصول اليه ..

ولا يمكن عمل شيء قبل ان يعيّن المرء هـــدفاً يسعى اليه ويعمل له .. وبدون هدف او اهداف ، يظل المرء ضالاً لا يدري ما يريد وما يبغي ..

والأهداف ضرورية للنجاح .. كالهواء للحياة .. ولا يمكن ان يبلغ احـد غاياته وينجح في حياته إذا لم تكن له اهداف معلومة ، مقررة ..

والمهم في الحياة ليس مكانك الحاضر .. ولا اين انت الآن ؟
المهم في الحياة المكان الذي تريد الوصول اليه ..

والشركات الكبرى الناجحة لها أبداً اهداف ترمي اليها وتسعى لبلوغها ، بعضها يقدّر الوصول الى اهدافه بعد سنوات ، وبعضها في شهور ..

المهم ان هناك هدفاً لكل عمل يراد نجاحه ، والمهم بعد هذا السعي للوصول الى هذا الهدف ..

ذلك ان اية شركة محترمة لا تترك مصايرها للظروف .. انها تنظم امورها ، وترتب اهدافها لعشر سنوات الى الامام ..

وكما تفعل الشركة على المرء ان يفعل ..

يجب عليه ان يرتب مستقبله لمدى سنوات وسنوات ..

فاذا كان يريد العمل موظفاً حكومياً فليختر وظيفة يلذ له العمل فيها لينجح ويظفر بالترقية ..

واذا كان يريــد العمل في التجارة فليختر شركة قريبة الى قلبه ، حتى اذا انضم اليها عمل من قلبه واحسن في عمله ، فلفت الأنظار اليه ، وقــدره المسئولون ..

والواقع ان جميع الناس يريــدون العمل بنجاح ويرغبون في ان يتقدموا رفاقهم ، او ان يقودوا زملاءهم في العمل وخارج العمل ..

واذا كان من اهداف المرء ان يصل الى الرئاسة .. رئاسة زملائه او رئاسة عشيرته ، او رئاسة قومه في الحي الذي يسكنه مثلاً ، فما هو السبيل الذي عليه ان يسلكه ؟

الزعامة والرئاسة

لقــد عرّف الناس في ماضيات الأيام الرئيس بالرجل الذي يتولى الأحكام ويقود الجيوش ، ويحكم الأمم ، ثم توسعوا في القرن العشرين وفي حاضرات الأيام الى اطلاق هذه الصفة على كل من يملك زمام الأمر في صناعته سواء أكان شاعراً أم كاتباً أم مخترعاً أم تاجراً كبيراً ..

وكما كان نابليون زعيماً كبيراً وقائداً عظيماً في عصره ، ولمائة وخمسين سنة خلت ، كان فورد زعيماً للصناعة الأميركية لسنوات مضت ، وكان مورغان اميراً لبيوت المال ، وكان اينشتين قائداً من قواد الفكر ..

وليس سبيلنا هنا بحث الزعامة من حيث هي نوع من قيادة الجيوش ، وحكم

الأمم ، ولكنا نريدها زعامة تفرضها الرجولة ويدفعها الاقدام ولا تعدو سيطرة الفرد على جماعة من قومه سواء أكان ذلك في السياسة ام الأدب أم الصناعة ..

ونريد ان نبحث هذه الزعامة والرئاسة التي يوفق اليها الكثيرون من شبابنا ان أحسنوا تفهم اسبابها ، ودرسوا مسالكها ، وبحثوا اصولها وطرائقها ، بحيث يستطيع واحدهم ان يشعر بالأثر السريع الذي يحدثه عمله او قوله او اي حركة من حركاته عند قومه ، وفي محيطه وبين جيرانه ..

ويخيل لنا ان الزعامة العلمية والثقافية ليست من الزعامات العملية الشعبية في شيء ، فقد تذهب الى الطبيب تعرض عليه نفسك ، وتأخذ رأيه في مرضك ، ومثل ذلك تفعله مع المحامي فيما اذا دهمك مشكل او وقعت في اختلاف مع احد الناس ، وانت حين تذهب الى الطبيب ، وتزور المحامي ، تكون مؤمناً كل الإيمان بسعة علمهما فيما تسألهما عنه ، وتدعوهما لمساعدتك فيما أشكل عليك امره وخبره ، ولكنك فيما عدا هـذا لا تجد لهما من التأثير في نفسك وفي سياستك وفي أغراضك الاجتماعية اكثر من تأثير اي شخص آخر ، ومعنى هذا ان الاختصاص في فرع من فروع المعرفـة ، خصوصاً اذا كان الاختصاص متواضعاً عادياً لا تأثير له على الاطلاق في قيادة الجماعات وتسيير الشعوب .. إلا ان يكون الشخص العالم عبقرياً في فنه ، وعندئذ قد يكون له من التأثير عنـد امته اكثر من اي شخص آخر ، ولكني لا اؤمن انهم يسلمونه مقاليد الحكم عنـدهم ، ولا يطلقون يده في امورهم ومشاكلهم وليس يعدو اهتمامهم به مبادلته الاحترام ، وتطويقه بآيات المدح والثناء والاكبار ، وانتظار موته ليقام له مأتم عظيم ، وينصب له نصب كبير ..

وإذاً فالتأثير على الجماعات وتزعم الشعوب لا يحتاج الى العلم الوافر ، والتخصص الواسع ، فقد كان هتلر جاهلاً ، لا يحمل شهادة ابتدائية ، وكان موسوليني اكثر منه علماً بعض الشيء ، ولا تعد معارف ستالين شيئاً مذكوراً اذا قيست بمعارف استاذ في مدرسة ابتدائية ، ومع ذلك فقد حكم هؤلاء أمما وشعوباً

تعد بالملايين وكان بين افرادها من هو اكثر منهم علماً وثقافة ، ثم تولتهم شعوبهم بالطاعة والإكبار ، وكانت كل كلمة تصدر عنهم قانوناً ودستوراً ، لا تردها الف جمعة ، ولا تستطيع الوقوف امامها اكبر هيئة علمية مجتمعة في البلاد ..

ومعنى هذا ان الزعامة الشعبية لا تتطلب من صاحبها علماً واسعاً ولا معرفة عريضة ، ذلك ان النفس البشرية ارغب ما تكون في الطاعة وقبول ما يعرض عليها ، او يفرض من الاحكام ، وليست الأحزاب التي تتألف من جماعات مختلفة إلا صورة مصغرة لما قدمنا ، فقد يكون الحزب مؤلفاً من مئات الأشخاص ، ثم تراه يختار من بينهم شخصاً او اكثر لأدارة اموره وتسيير أغراضه وتدبير شؤونه ، وقد يكون اختيار الحزب لرئيسه او زعيمه صادقاً حراً ، وقد يفرض عليه اختيار شخص قسراً وسياسة ، ومتى وقع الاختيار نجد ان الشخص المختار ليس افضل رجالات الحزب علماً ولا ثقافة ، واذا فما هي الأسباب التي تمكن جماعة دون اخرى بصرف النظر عن علمها وثقافتها من السيطرة والاستعلاء ، على سواها من الناس ممن هم افضل منها واكثر معرفة وعلماً ؟ ؟

الجيش والحكم

وشيء آخر ايضاً وهو ان هناك شعوباً تستسيغ الطاعة ، وترضيها قسوة الحكم والسلطان ، وقد اثبتت احداث التاريخ ان الشعب الالماني من الشعوب التي تستسيغ الطاعة وتقبل الحكم الفردي وان هذه الصفة قد اصبحت غريزة فيه ، بينما يعتبر الشعب الانكليزي من الشعوب التي لا تنام على ظلم يصدر من قادتها وحكامها ..

ومن المؤكد ان الاسباب التي دعت لسيطرة الجيش في كثير من الشعوب والأمم ، هي كون الجيش الموكل بالدفاع عن الأمة ضد كل عدو خارجي ، ومن

المنتظر انه متى تمكن الجيش من الغلبة على عدوه الخارجي ، عاد الى وطنه وقد لعبت الخيـــلاء والأطماع بقادته ، فلا يكتفي واحدهم بالسلطان الذي كان له سابقاً ويوم كان قائد الجيش فحسب ، وانما تراه يريد السلطان على الأمة كلها ، وما دام السلاح والقوة بيد الجيش الذي هو قائده فقد اصبح من السهل عليه ان يفرض سلطانه ويشق طريقه الى الحكم والسلطان ، وكان من المفروض بعد هذا ان يصبح قواد الجيش حكام الأمم ، وقادة الشعوب ، وفي التاريخ من الأمثلة على هذا ما لا مجال لتعداده وذكره ، وان كانت هذه الظاهرة قد ضعف شأنها عند بعض الأمم دون الأخرى ، فما زعيم اسبانيا اليوم الا قائد جيش الثورة على الشيوعية ، فلما ظفر بالشيوعية حكم البلاد وما يزال ..

ومثل هذا يقال في جماعة القواد الذين يحكمون بعض الأمم في اميركا الجنوبية وفي آسيا ..

الزعامة المعاصرة

واما اليوم فقد حل محل قواد الجيوش في تزعم الأمم اصحاب المصانـــع ، ورؤساء الشركات الكبيرة ، فهم بما يبـــذلونه من أموال المكلف في مختلف المشروعات الاقتصادية التي يحاولونها في بلادهم وفي غير بلادهم ، يفرضون على ساستهم سياسة المحافظة على اموال الأمة التي وزعوا ثروتها هنا وهناك ، ولا أدل على هـــذا من السياسة البترولية التي فرضت على انكلترا واميركا سياستها الشرقية العربية الحاضرة باسم المحافظة على أموال الشركات البترولية الانكليزية الأميركية المختلفة ..

ولست انكر الى هذا ان الزعامة من مواليد القدر والصدفة ، فلو لم يوفق كولومبوس مثلاً الى اكتشاف اميركا لأكتشفها غيره ، ولذهب بهذا الفخر سواه ، ومن المؤكد عندي ان الزعيم الذي يستطيع ان يكون زعيماً في اي مكان

وضعته وفي اي زمن كان ، قليل جداً ، او نادر جداً ، وكثير من الزعماء الذين اشتهروا في التاريخ كانوا زعماء محليين ، لم تتعدى شهرتهم الزمن الذي عاشوا فيه ، والأمة التي نشأوا فيها .. واما الزعماء العالميون فتستطيع ان تعدهم على اصابع اليد الواحدة ، وهم دون ما شك من فلتات الطبيعة وعجائب الزمن ..

والواقع ان بحث العظماء والتمثل بهم ، والتشبه بكبار الناس ، وتأثر خطواتهم ، من اعظم احلام الشباب وأجلها قدراً واعظمها نفعاً ..

ونحن فيما نحاوله من هذا البحث ، نعرض لهذه الناحية ونتناول اعراضها ومقوماتها ، بحيث يتفهم شبابنا اصولها ، فتستقيم عندهم طرقها ، ويكون لها من التأثير في حياتهم ، مثل ما كان لها من الأثر في حياة شباب سلفوا ، وجماعات مضوا ..

الضعف البشري

كلنا يطلب ان يكون شيئاً في الحياة ، وبعضنا يطلب من الحياة كل شيء .. والقناعة وان كانت من الكنوز التي لا تفنى ، إلا انها خفيفة الأثر عند الكثيرين منا ، ومن تقبلها في بعض الحالات تقبلها مكرهاً ، ولو خيّر لاختار غيرها ، والضعف البشري نفسه ، ورغبة الناس في السكوت عن حرياتهم وحقوقهم ، من الأسباب التي تدفع غيرهم لأغتصابها واستثمارها ، وما عدا هذا فكلام فارغ لا وزن له ..

كلنا يطلب الغنى والمجد ولو كان ذلك على حساب غيره وحتى لو اضطر الى اغتصابه اغتصاباً ، ولولا القانون القائم ، وقوات الأمن ، لأصبح العالم عبارة عن ادغال ، الحياة فيها للقوى النشيط والموت للضعيف الفاتر المستكين ..

ولست انكر ان هناك افراداً ينعمون بصفات خلقية ممتازة تميّزهم عن

سواهم ، كما ان التاريخ قد اثبت ضرورة الزعامة ، وضرورة القوة الشخصية في حياة الجماعات سواء أكانت صغيرة ام كبيرة ، فالى امثال هؤلاء الأشخاص المميّزين بصفات خلقية ممتازة يتجه نظر الناس ، ليحكموا بينهم بالعدل ويدفعوا عنهم الأذى ، ويقيموا فيهم نظاماً يحفظ لكل ذي حق حقه ، فتستقيم عندئذ امور الدولة ، وتتوزع الأعمال على اصحابها ، ويطمأن الناس الى مصالحهم وحياتهم ..

ومن المؤسف اننا لا نظفر دائماً بالممتازين من البشر يتولون مقاليد الحكم والأمر ، وقد رأينا بأم أعيننا كيف ان كثيراً من المغامرين قد وفقوا لتقلد الاحكام ، فنهبوا وسلبوا وابلوا اسوأ البلاء في مصاير اممهم وشعوبهم ..

الزعماء البلهاء

ومما قرأته لكاتب اميركي قوله :

« ان الذين يتولون الأحكام في اميركا يكونون في اكثر الأحايين من البسطاء العاديين اذا قيسوا بسواهم من العلماء والأذكياء الأفذاذ ، وسبب ذلك ان طلاب الوظائف ليسوا ابداً من الصفوة المختارة في الشعب ، وانما هم قوم سُدّت في وجوههم أبواب الرزق الحر ، فسلكوا سبل التوظيف ، وتقبلوا الراتب المقطوع ،وهذه حياة لا ترضي المغامر الذكي الذي يعرف ان الثروة لا تكون في الوظيفة وانما هي في الأعمال الحرة والمشاريع المثمرة .. واما الذين يجمعون ثروتهم من التوظيف ،فهؤلاء ليسوا من الموظفين حقاً، وانما هم من المغامرين الذين اتخذوا الوظيفة حرفة وصناعة لجر مغنم ، واغتصاب مال .. »

ومن المسلم به اليوم ان حكم الشعب كلام فارغ مستحيل ، فليس هناك في الواقع شعب يحكم نفسه في الوقت الحاضر ، والشعوب التي تظن انها تحكم نفسها ، وهي الشعوب الديموقراطية ، قد فقدت حرياتها باختيارها حزباً من

الاحزاب ليتكلم باسمها ويدافع عن حقوقها .. واذاً فالحكم اليوم ، وفي أرقى أمم العالم ديموقراطية وحرية ، موجود بأيدي جماعة محدودة من الناس ، قـد تحسن الادارة وقد تسيء فيها ، وليس هناك من يعترض عليها او يحاسبها ، إلا قوات المعارضة التي قـــد تؤلف أقلية لا تستطيع ان تفرض سلطانها ، وتؤيد أغراضها .. إلا نادراً ..

وليس الزعماء أبداً من رجال السياسة و قادة الجيوش ، فالزعيم قد يكون صحفياً اذا كان من الذين يخلصون القول ، ويصدقون في الكتابة ، ومتى فشا بين الناس صدقه واخلاصه كان لمقالاته من شأن في سياسة الدولة ، مثل ما لأي سياسي آخر او قائد كبير .. ومثل هذا يصدق في الخطباء والمؤلفين ورجال الأعمال .. ومن الغريب ان بعض الناس يعتقــدون ان احسان شخص من الأشخاص في صناعة من الصناعات معناه احسانه في سواها وغيرها ، وهـــذا الرأي اكثر ما يكون شيوعاً في البلاد الديموقراطية ، فترى صاحب مصرف أو مصنع ناجح مشهور ، تأخذ الناس أقواله في السياسة بعين الاعتبار والاجلال ، وهـذا غاية في الخطأ والاسفاف ، لأن نجاح صاحب المصنع في عمله ليس يعني نجاحه في السياسة وادارة الحكم .. وقد شاهدنا في بلادنا كثيراً من هؤلاء الأشخاص الذين أحسنوا بعض الإحسان في صناعاتهم المختلفـــة ، فلما تولوا الأحكام باءوا بالفشل المريع والإنهيار التام ..

استثمر مواهبك

هذه الظاهرة تدعوني الى القول بأن كل انسان موجَّه لما خلق له ، وان من يضع نفسه في غير محلها يفشل لا محالة ، وان من يريد تزعم الناس في بلده عليه قبل كل شيء ان يستثمر مواهبه ، في الصناعة التي يحترفها ، فالنجار البارع في عمله أقوى وأعظم وأبعد أثراً وأكثر زعامة من السياسي الفاشل ، والتاجر

الموفق أقوى تأثيراً من الموظف الكبير الـــذي لا يحسن من امور الادارة لا كثيراً ولا قليلاً ..

ليجرّب كـل منا ان لا يعيش على هامش الحياة ، فالفوز غاية كل انسان ولا يفوز إلا المغامر البارع الـذكي العارف لمصلحته ، والنجاح الموقت لبعض المغامرين في امور لا يحسنونها ليس إلا مزاحاً موقتاً ، يجرّب به القدر حظوظ بعض الناس ..

الناس شخصان ، شخص يريد ان يكون شيئاً في الحياة ، وآخر يريد ان يموت حياً ، ولست انكر ان لكل من الشخصين منافعه واغراضه ، فالأول يريد ان يحيا حياة الهدوء والراحة ، لا يعكرُ عليه صفوَ ايامه أحد ، والآخر يريـــد ان يفرض سلطانه على غيره ، ويريد ان يكون في الطليعـــة بين قومه ..

واعتقد ان اكثر الناس – وان كان اكثرهم لا يوفق – هم من طلاب القسم الثاني ، فإلى هؤلاء اوجه فصلي هذا ،واعرض عليهم افضل الآراء وأحسن السبل للوصول الى الزعامة والمجد والسلطان ..

ويهمني ان أصرح ان الوصول الى الزعامة شيء شاق وعمـل ناصب ، وانه ليس يصل الى المنزلة الأولى في الحياة كل الناس ، لأن الزعامة كما قدمت صناعة من الصناعات تحتاج لمواهب خاصة ، ليست توجـــد إلا عند الأقل من بني الانسان .. ولكن السعي لها دائمـاً وأبداً من الامور المحمودة ، ومن لم يصل إلى المرتبة الأولى بين قومه فلا أقل من وصوله الى المرتبة الثانية او الثالثة ، فذلك خير من حياة لا غاية لها ، ولا امل فيها ..

واعتراف الناس لشخص منهم بالتفوق والزعامة يفرض في هـــذا الشخص مواهب خاصة كأن يكون رائع الحديث ، كريم النفس حسن المعشر ، صادق الوعد، عالماً جريئاًمخلصاً فيما ندب نفسه له من خدمة جماعته او حزبه او امته.. وليس من المفروض ان يكون الشخص غنياً ، فالزعماء في اكثر الأحايين من

الفقراء ، وقد تتعلق زعامة شخص احياناً في روعة حديثه وحسن رأيه ، فيأتيه اصحابه يأخذون رأيه فيما يعرض لهم من مشاكل وخلافات لحلها والتوسط فيها ..

وقد يكون الرجل احياناً من الكرم بالمكان الأرفع فيقصده الناس يسألونه مساعدتهم ، فتفشو له بينهم زعامة وشهرة وخلق كريم يستطيع استخدامها والاعتماد عليها في الوقت المناسب ..

وقد يكون الرجل من الذين سبقت لهم شهرة في الامانة فيعطيه الناس اموالهم لحفظها ، واستثمارها ، ولست افشي سراً اذا قلت ان مئات من تجارنا يعيشون ويعملون بأموال سواهم ، وان امانتهم ، او ما اشتهر عنهم من الامانة هو الذي حمل زملاءهم في التجارة على تجميد اموالهم عندهم ، يتصرفون بها فيربحون وينفعون ..

وقد يكون الزعيم رجلاً اشتهر بين قومه باخلاصه في الخدمة الوطنية ، والتضحية في سبيل عقيدته وآرائه ومصلحة قومه ، فإذا جدَّ الجد وجدت الناس يزعمونه امرهم وينزلون عند رأيه وخبرته فيما شجر بينهم وبين الدولة القائمة ، سواء أكانت وطنية ام اجنبية من اختلافات ..

وقد يكون الزعيم رجلاً شقَّ طريقه في عالم التجارة ، فاذا حاولت جماعة مثلاً انشاء شركة قلدوه رئاستها ، واعتمدوا على اسمه وشهرته في بيع اسهم الشركة الجديدة ..

وكذلك نرى ان الزعامة مختلفة الألوان والأشكال ، ولكن اشهرها طبعاً هي تزعم الشعوب ، وتولي الأحكام ، والسيطرة على امة ..

الزعيم والزعامة

ومن المفروض ان الذين يتبعون زعيماً ما ، يؤمنون باخلاصه واستعداده لخدمتهم ، وانه الأوحد لمثل هذه الغاية ، ومن الخطأ الظن ان كل الزعماء

يفضلون مصالحهم الخاصة على المصالح العامة دائماً وأبداً ، فان هناك كثيراً من الزعماء كانوا يخدمون الناس غصباً عنهم ولعلمهم بأن مثــل هذه الخدمة من ضروريات الدعاية ومن لوازم بقائهم ، وقبول الناس لزعامتهم .. ولولا هذا لأنفضّ القوم عنهم ، وتولوا سواهم بالعناية والاهتمام .

والزعماء في اكثر الأحايين جماعة يستطيعون التعبير عن اغراض الرأي العام اكثر من سواهم ، ويعملون لتوجيه هذه الأغراض بحيث تضم الى لوائهم اكبر عدد ممكن من الناس ، فان كان الزعيم يعيش في بلد يحكمه الاستعمار كان همه محاربة الاستعمار فيكسب بهذا تأييد كل من يؤيد فكرته من الوطنيين ، واذا كان في حكومة وطنية ، وجب عليه ان يخلق من اخطاء الحكومة القائمة حججاً وابواباً للانتقاد فيجمـــع حوله كل ناقم غاضب على النظام القائم ، والزعيم في اكثر الأحايين من المظاهر المدمرة في الأمـــة ، لأن بقاءه في سلطانه معلق على انتقاد كل ما يمس المصلحـــة الشعبية ، او ما ينظر اليه الشعب نظر المقت والانكار .. ومن المفروض في الزعيم ان يكون مغامراً ثائراً ، لان الهدوء يضعف الزعامة ، والجمود يقتلها .. كما ان من صفاته البارزة ان يكون عظيم التأثير على الجماعة التي يعمل فيها ..

ومما تجب الاشارة اليه هو ان لكل امة وجماعة زعماؤها ، فقد ينجح زعيم عند امة من الامم ، او جماعـــة من الجماعات ، ثم لا يوفق عند جماعة اخرى ، واصدق مثال على ذلك تقبـــل بعض الأمم لسلطان الفرد ، وانكار غيرها هذا السلطان ، وقد رأينا كيف نجح حكم الفرد عند الالمان والروس والاسبان والايطاليين ولم ينجح عند الاميركان والانكليز الا في ظروف خاصة ، وعند الحرب والشدة ..

والقول بأن تأثير روزفلت عند الاميركيين كان يماثل تأثير هتلر عند الالمان كلام لا قيمة له ، فقد كان روزفلت ينعم بامتيازات اعطاه اياها القانون والشعب الاميركي نفسه . ولو شاء الشعب لسحبها منه ، بينما لم يكن يستطيع احد من

الالمان ان يسحب من هتلر امتيازاته ولا كان هناك صوت غير صوته ، نفعل ويأمر ما يشاء ، واما روزفلت فكان عرضة للانتقاد من صحف بلاده واحزاب المعارضة التي كانت تنتقد مشروعاته انتقاداً مراً لاذعاً ..

ولو نشأ هتلر في اميركا لما لمع نجمه ، ولا كان له شأنه الا بين جماعة الاميركيين الذين هم من اصل الماني والذين ناصروه وهو بعيد عنهم ، ولو ظهر ستالين في انكلترا لما ظفر منها بالشهرة وذيوع الصيت اللذين كان ينعم بهما في روسيا ، وهذا يدل دلالة قاطعة على ان الزعيم في امة لا يوفق في التأثير على امة سواها لو عاش بينها، وان الاستعداد الشخصي لأمة من الأمم في تقبل الزعامة هو من اؤكد الاسباب في ظهور الزعيم وبروزه ..

الدعاية

واريد ان أشير هنا مرة ثانية الى ان الشعوب بأكثريتها تقع تحت التأثير الشخصي دائماً ، فالاعلان عن مادة من المواد يذيعها وينشرها ، ويدعو الناس الى شرائها .. وحسن الدعاية من اعظم اسباب النجاح في الصناعة والتجارة ، كما ان براعة الخطيب وحسن اختياره لموضوعه وتقسيمه وتفهم نفسية المستمعين وما يريدون ، ومداورته لأغراضهم ، يضمن له النجاح عندهم ويؤكد له التأثير في نفوسهم ..

والتكرار من العوامل الفعالة في التأثير على الجماهير ، فتكرار الاعلان أفيد له ، وأدعى لانتشار البضاعة التي يدعو لها ، وترديد خطيب من الخطب لظاهرة من الظواهر ، او تكراره لخطأ من اخطاء الحكومة قمين بأن يجلب له انتباه السامعين

والتاريخ يؤكد ما كان لتأثير البيانات التي كان يصدرها نابليون لجنوده قبل المعركة من إثارة لعواطفهم ودفعهم الى القيام بجهود مضاعف مزدوج

لإحراز النصر المطلوب ..

والجماعات شيء غريب حقاً ، والرجل الذي يستطيع ان يظفر باهتمامها واحترامها يبلغ ما يريد منها ، خصوصاً اذا انست منه رغبة صادقة .. صادقة في خدمتها واسعادها ، وفي هذه الظاهرة ومن هذه الظاهرة وحدها ، كان نشوء الزعماء قديماً وحديثاً ..

ومهما كان الرجل عظيماً ، فمن المفروض عليه ان يعمل مع الجماعة ، مع جماعة تؤمن به ، وتعمل لتنفيذ ارادته ، واما العمل الفردي فلن يكون سبيله إلا الفشل المحتوم ، والتاريخ يحدثنا ان احداً من عظماء العالم لم يظهر بين الناس وحده ، ولم يشق طريقه بنفسه ، فقد كان لكل عظيم جماعة تناصره وتؤيده ، فللقائد ضباطه واركان حربه ، وللسياسي انصاره واعوانه ، وللكاتب قراؤه يؤيدونه ويروّجون آراءه ..

ومن المفروض في العظيم طبعاً الاحسان فيما ندب نفسه له من عمل ، وهنا نعود لتأكيد ما اثبته العلم ، وأيدته التجارب ، وهو ان احداً لن ينجح في عمل من الأعمال إلا اذا كان قد خلق لهذا العمل .. وله فيه لذة شخصية ، واكثر الناس اليوم لا يوفقون في اعمالهم لأن احداً منهم لا يعمل فيما خلقه الله له ، فالمزارع يترك زراعته الى الوظيفة ، والتاجر يفضل العمل في مكتب من المكاتب عن ركوب المغامرات ، وصاحب المال يوظف امواله بفائدة معتدلة او يستثمرها في بناء او وكالة ، ولو انصرف كل منهم الى ما هيئته مواهبه له ، لأفاد واستفاد ، وهذا سبب ما نراه اليوم عندنا من كثرة الأطباء والمحامين والموظفين ، وقلة المهندسين واصحاب المواهب العلمية الحرة .. ولو أردت احصاء الأطباء لوجدت ان عشرة بالمائة منهم يوفقون كأطباء ويفشوا أمرهم بين الناس ، ويحيون حياة مليئة بالراحة والسعادة ، ومثل هذا يقال في المحامين ، واما الأكثرية الكبرى من هؤلاء فانها لا توفق الى معاشها الا بشق النفس ، وسبب هذا انهم لم يخلقوا ليكونوا اطباء ومحامين ماهرين ، ولو انصرفو الى ما

خلقوا له لنجحوا وأفادوا ..

واما الموظف الذي يفرض على نفسه حياة واحدة ، وراتباً محدوداً ، فانه يقتـل نفسه ، ويمزق همته ونشاطه ، ولو كان من اصحاب الهمم لذهب يشق نفسه في سبيل الحياة الأخرى ، سواء أكان هذا في بلده او في بلد آخر ، فذلك في رأيي خير من الاستكانة لحياة واحدة ، وراتب محدود ..

الخجل

واني في الواقع من الذين يؤمنون بأن الحياة جهاد ، وانها صراع و كفاح في سبيل العيش والزعامة ، وان من يعمل لمأكله ومشربه فقط ، يكون قد قصر بحق نفسه ، ورضي من الحياة بأقلهـا وأضعفها ، ذلك اننا نعتقـد ان السعي للحصول على المـأكل والمشرب ، امر هيّن اذا نزع الانسان عن نفسه الخور والخنوع والحياء، فكل الأعمال في نظرنا الناس ، و كل عمل مهما كان تافهاً صغيراً خير من الاستجـداء .. ولكن كثـيرين من الناس يخجلون من القيام ببعض الاعمال العادية خوفاً من شماتة سواهم بهم فيفضلون الاستجداء عليها ، الاستجداء من الاهل والاصلاقاء ، أو يعملون جاهدين للحصول على وظيفة من الوظائف ، ينكمشون فيها كل حياتهم للحصول على مأكلهم ، ولو انهم نزعوا هذا الحياء الذي لا مكان له ، ونزلوا الى الشارع وقاموا بأعمال تجارية صغيرة في اول الأمر لكان لهم مع الايام — اذا احسنوا العمل واجتهدوا وناضلوا — مركز تجاري حسن بارع ..

والبرهان على هذا ان كثيراً من الارمن الذين نزلوا لبنان وسورية بعد الحرب العالمية الاولى كانوا من الفاقة والقلة بالمكان الارفع ، فأشتغلوا عملة ، وبائعين متجولين ، او استأجروا جزءاً من دكان او مخزن ، فأصبحوا بعد سنوات اصحاب مخازن كبيرة وتجارة واسعة ، وقصور واموال وفيرة ..

وشيء آخر ايضاً وهو ان كثيراً من شبابنا اذا نزحوا الى بلد آخر تـكلفوا

من المشاق والعناء والفاقـة والحرمان والاعمال اليدوية ما لا يتكلفون مثله في بلدهم وبين اهلهم ، بحجـة انهم في بلد غريب لا يعرفهم فيه احد ، بينما هم بين اهلهم لا يحسنون من هذا لا قليلاً ولا كثيراً .. ولو انهم صرفوا من نشاطهم في بلدهم بعض مـا يصرفونه في البلد الآخر ، لحصلوا على ما يريـدونه من الثراء والسعادة ..

واكثر من ذهب من شبابنا عاشوا فيها وفي اول هجرتهم وقبل ان يستقيم امرهم ، كما عاش الأرمن عندنا لما نزلوا بلادنا فقراء لا يملكون شيئاً .. ولكن العقلية عندنا لا تزال بحاجة الى كثير من التهذيب والتعديل ..

وشبابنا تهمهم المظاهر اكثر من كـل شيء آخر ، ولو عرفوا ان شرف العمل ما بعده شرف ، وان اي عمل من الاعمال مهما كان وضيعاً هو عمل نبيل ، وان من يبـدأ عمله وضيعاً حتى يشق طريقه الى كبير الأعمال وعظيمها هو العصامي المحترم ، وهو الشخص المكرم ..

فن الزعامـة

كل منا يستطيع ان يكون زعيماً على قدر ، شرط ان يخلص في عمله ، ويصدق في خدمة امته وجماعته وشركته ، ويعمل جاهداً ليكون احسن من سواه ، واظن اننا نحسن صنعاً اذا تبسطنا في ألوان الزعامة واشكالها واحوالها بما نقدمه من النصائح الآتية :

— اعتبر نفسك رجلاً تستطيع ان تشق طريقك في الحياة وان توفق كما وفق غيرك وسواك ، ولا تدع ما سبق لك من فشل وفقر وحرمان يؤثر عليك او يضعف من نشاطك ..

— لا تفقد نشاطك ، ولا تدع الابتسامة تغرب عن وجهك ، واعلم ان الفشل كلمة قبيحة خلقها الأشخاص الذين خذلوا أنفسهم وأضاعوا شخصيتهم ..

— يجب ان تكون مؤمناً بنفسك ، ويجب ان تقوى المصاعب عزمك على متابعة

العراك ، فالحياة اللينــــة السهلة مملة لا قيمة لها ، واما الحياة الثائرة القوية فهي البحر الزاخر ، والثورة الجارفة .

اعرف شخصاً أضاع ثلث حياته في اعمال تجارية فاشلة ، لم يوفق في واحد منها ، عرف الذل ، والعمل اليــــدوي والجوع والفاقة والحرمان . ولكنه لم ييأس ، ولا فقد إيمانه بنفسه ، واخيراً وفي الخمسين من عمره ذهب الى بلد بعيد غريب عن الشرق العربي فوصله لا يحمل في جيبه إلا ما يكفيه للعيش أياماً على الأقل من المأكل والمشرب ، وراح يؤسس عمله من جديـــــد في هذا البلد النائي البعيد ، وبعـــــد سنوات من عمل جاهم شاق جمع ثروة طائلة لا تقدر بعشرات الالوف ولكن بالملايين .. وهو اليوم ينعم بهذه الثروة الطائلة غير بعيد عنا وفي عاصمة من عواصم الشرق العربي ؟ ..

– الإيمان بالنفس هو كل النجاح ، فإذا فقدت إيمانك بنفسك فقـــدت كل شيء . .

– ابحث عن العمل الذي يلذك ويرضيك ، فأشتغل فيه ، فانه لا يفلح التاجر الموظف ، ولا التاجر الكاتب ، ولا المغامر الطبيب ، لقد خلق الله لكل انسان منا وجهة في الحياة ، وهيأه للعمل في لون من ألوانها المختلفة ، فأختر اللون الذي خلقه لك الله ، ولا تخجــــل من العمل ولو كان حقيراً ، فليس وجودك فيه إلا لمدة قصيرة ، ولكن أحسن عملك كل الإحسان ، فإذا كلفوك تنظيف المكتب فنظفه على احسن الوجود واكملها ، ان احسانك في عملك الحقير ، هو مقدمة لإحسانك في أعمالك الكبيرة المقبلة ..

– افتح عينيك دائماً لكل مغامرة او اي عمل تعلم في قرارة قلبك انك تحسنه ، حتى اذا سنحت الفرصة تقدمت اليه وانت واثق من نفسك مؤمن بإحسانك فيه ، ولكن لا تقل لنفسك : « لن اقبل إلا العمل الذي يرضيني ويعجبني » لأن الغرور يعرضك للفشل والسقوط ..

اقبل بالموجود وتأهب لأحسن منه ، فذلك أفضل لك ولمستقبلك .

– اكثر من المطالعة والبحث عن المعرفة ، فاذا كنت تعمل عند احد التجار ،

فافتح عينك لمشاكل التجارة وألوانها وأشكالها ومتفرعاتها ، واذا كلفوك للعمل بفرع من الفروع ، فبعد ان تحسنه ، وتتعرف على كل نواحيه ادرس بقية الفروع التي يعمل فيها غيرك ، فقد يحدث ان يمرض رفيق لك ، فإذا ظهر لصاحب المحل انك تحسن القيام مكانه ، وضعت قدميك على اول درجات سلم الفلاح والنجاح ..

وإذا كنت تعمل في التجارة موظفاً فقرر في قرارة نفسك انه يجب ان تكون تاجراً مستقلاً وعلى هذا الأساس تعلم اصول التجارة ، حتى اذا حان الوقت كنت مستعداً لكل شيء ..

ـ الاقتصاد مهما كان الراتب ضروري جداً ، اقتصد في كل شهر مبلغاً زهيداً وضعه عند التاجر صاحب المحل ، او في البنك ، مهما كان المبلغ ، فسوف يأتي الوقت الذي تجد فيه ان ما اقتصدته من المال كان له اعظم الأثر في نجاحك ..

ـ لست أمنعك عن ارتياد بعض الملاهي البريئة ولكني أنصح بعدم الإكثار من ارتيادها في أول شبابك ، لأنها في اكثر الأحايين تضر ولا تنفع .

ـ نجاح السياسي يقوم على كثرة كلامه ، واما في التجارة فنجاح المرء يتوقف على بعد نظره ..

في الاجتماعات الشعسة يصفق الناس للخطيب الذي يستعمل الكلمات الوطنية المرصعة بالاستعارات والوعود وغيرها ، ولذلك كان السياسيون ينجحون في الحصول على أصوات الناخبين وفاقاً لمقدرتهم الخطابية وقوتهم في اقناع النظارة .

واما في الشركات التجارية فإن براعة الخطب لا شأن لها ، ان قيمة الخطيب في مثل هذه الحالات هي في نجاحه في عمله ، وبما يقدمه للشركة من خدمات مادية تؤيدها الأرقام ، ولذلك كان نجاح الشركات اكثر من نجاح الحكومات في ادارة مرافق الحياة العامة ..

لتكون زعيماً او رئيساً او كبيراً في جماعتك يجب ان تؤمن بالأمر الذي تدعو له وتنادي به، ويجب انتكون مخلصاً مضحياً في دعوتك، ان اخلاص الفرد في دعوة ما، يحمل غيره على اعتناقها والإيمان بها، وهذا هو بنفسه ما يسمونه تأثير الشخصية الفردية في الجماعة الكبيرة ..

اختر اصدقائك

الحظ كلمة فارغة، فليس هناك حظ في الحياة، وليس للانسان إلا ما سعى، الحياة عبارة عن فرص عديدة، يقتنصها من كان مستعداً لها، وينام عنها من لم يكن كذلك، هذا هو الحظ ..

الناس رجلان، رجل يريد ان يكون شيئاً في الحياة، ورجل يريد ان يموت حياً وان يرضى بحصته المقررة له منها، لا يريد عنها بديلاً، ولا يطالب بأحسن منها إلا بالكلام دون العمل .. والرجل الذي يندب حظه، ولا يسعى بيده لتحسين هذا الحظ، يظل مكانه ولا ينال شيئاً.

قد تكون الحياة جاهمة في بعض الأحايين، وقد تكون موارد العيش ضيقة في بلد من البلاد، ولكن الحياة لن تظل جاهمة الى الأبد، ولن تظل موارد العيش ضيقة مدى الحياة، فلا تدع شدة اليوم تقتل فيك الإقدام والنشاط والمغامرة، هذه الأسلحة القوية الشديدة التي تمكنك في المستقبل من تعديل حالك واصلاح حياتك ..

اضحك كلما تعقدت الامور، وتلبدت غيوم العيش، لأنك ان حزنت وفقدت نشاطك وشخصيتك أضعت نفسك وتغلب عليك خوف الفشل، ووهم الشقاء فقضيت على نفسك وولدك ..

لا تحمل همومك الى بيتك ابداً، اترك همومك في الشارع ومكان عملك،

واذهب الى بيتك ضاحكاً باسماً ، وطمن الجميع من زوجك الى أصغر أولادك بأن المستقبل القريب سيكون أشرق وأيسر وأفضل .. وان الضائقة الحاضرة ليست إلا شيئاً موقتاً ..

لست أنكر فوائد الصداقة في نجاح المرء ومنافع الأصدقاء في تدبير بعض الأعمال ، واؤكد ان كثيراً من الصداقات قد اتت بأحسن الأثمار وأفيدها ولكني أقول بضرورة اختيار الأصحاب والاصدقاء ، وان يختار المرء اصدقاءه من بين المغامرين المحبين للعمل ، الذين يطلبون النجاح في الحياة ، وليجرّب ان يكونوا من المتعلمين البارزين الذين اذا جلست اليهم استفدت منهم علماً وخبرة وخيراً ..

واما اختيار الصديق لثروته او لثروة أبيه ، فمغامرة فاشلة تعود على صاحبها بالخذلان في اكثر الأحيان .. ذلك ان اولاد الاغنياء أحد رجلين ، اما شاب أماته المال فهو يعيش ليأكل ويشرب ويلعب ، واما رجل رزح تحت أموال أبيه فمات في حياته ، فهو لا يكاد يعمل عملا ، ولا يأتي خيراً ، وصداقة احد هذين أقرب الى الاشغال الشاقة منها الى الصداقة المفيدة ..

وأزيد فأقول ، انه قلّ من نجح من اولاد الاغنياء عندنا ، واكثر من عرفتهم حتى الآن من المغفلين ، او المارقين من الإحسان والنشاط ، ومثل هؤلاء كما قدمت مصيبة على المجتمع بلية على الناس ، يحتكرون ثروة كبيرة لا يصرفون شيئاً منها في اعمال الخير ، ولا في الإنتاج ، ومن تعلق بهم او تقرّب منهم ، أماتوا فيه كل فكرة وثابة ، وكل رغبة في الإصلاح والعمل ..

احكم على الناس بأعمالهم ، لا بأحسابهم ولا بأموالهم ، فمن أحسن كان محسناً مفيداً ، يستحق منك التقدير والإعجاب ومن أساء فأنبذه ، ولا

تحترمه ، وكن جريئاً في معتقدك ، ولا توارب في الصداقة ولا تحترم من لا يستحق الإحترام .

الكذب من الجبن فلا تكـــذب وكن صريحاً ، فان أخطأت فاعترف بخطأك ، وعاهـد نفسك على اصلاح ما أفسدت ، واعمل للاصـــلاح بكل قوتك ونشاطك ..

ان تكن تريد الحياة ، فجاهد لتحيا ، واعمل لتكون أفضل من غيرك في عملك ، ولا ترضى ان تكون تابعاً أو عاملاً لغيرك الى الأبد ، ولا تحاول الوصول الى أعلى القمة من السنة الاولى ، فان الوصول الى القمم العالية يحتاج الى جهود واعمال ونشاط وسنوات ، ولكن اجعل عرضك وأملك الوصول الى أعلى القمة ، وانت واصل اليها مهما بعدت عنك وطال عليك الزمن ، ما دمت تؤمن بنفسك ، وتؤمن بأنك ناجح ما احسنت واجتهدت ..

الخـــلاصـــة

وخلاصة ما أريد ان أقوله ان الحياة ليست لعباً ولا عبثاً ... انها عبارة عن جهاد متواصل ، وهذا الجهاد المتواصل هو الذي يمد الانسانية بهذه المواد الأولية التي تمكنها من التبسط في الحضارة والعمران ، وخليق بكل منا ان يقوم بنصيبه في هذا العمل العالمي ، فيقوم بواجبه في مختلف الأعمال التي يكلف بها ، على احسن الوجوه وأفضلها ، ويسعى جاهـــداً ليكون في الطليعة ، فان وفق فهو بهذا التوفيق خليق ، وان فشل بعض الشيء ، فقـد قام بواجبه ما استطاع الى ذلك سبيـلاً ، وعمله مهما كان صغيراً او حقيراً ، له اثره في بنـاء الانسانية ، وسعادة المجموع ..

اني من الذين يؤمنون بالنجاح ما توفر الواحد منا على الاحتيال للأسباب التي توطد النجاح وتجعله امراً واقعاً مقرراً ، وهذه الأسباب لا تعدو في نظرنا

الجهاد المتواصل والإحسان في العمل ، والتفكير في المستقبل ، وبحث أحسن السبل وأوثقها لبلوغ الآمال العظام ، والإكثار من المطالعة ، والتعرّف الى صفوة الناس من محبي العمل وطلاب المعرفة ، ورجال الإختصاص ، وخدمة المجموع ، ما قدر واستطاع ، والإخلاص والأمانة والثقة بالنفس ، فان هذه الامور كلها مجتمعة خليقة ان تجعل من صاحبها زعيماً في عمله ، مبرزاً على غيره في حياته ، وان تمكن له في السعادة والحياة والثراء ..

الحياة جهاد ، وكل من احسن الجهاد نجح وبلغ ما اراده وللنجاح أسباب ، اوثقها وأبعدها أثراً الثبات ، واستقبال المصاعب والمشاق بقلب هادىء وصدر رحب .. فجاهد في عملك وثق بنفسك ، تصل الى ما تريده من عظيم الغايات وكبير الآمال ..



- ١٤ -

النجاح بعد الفشل

•

الاجتماع

كتبت جون بول جونس تقول :

« في عام ١٩٢٣ ، كنت اعمل محررة في قسم مراجعة القصص ، بشركة « بارامونت » السينمائية . وذات يوم دعاني « أدولف زوكر » — رئيس القسم — الى مكتبه ، وقدّم لي ظرفاً قال انه مرسل من أحد افراد عائلة روزفلت المعروفه ، وانه يحوى قصة يريد ان يبيعها للشركة .

ونظرت الى الظرف ، فقرأت في ركن منه : « فرانكلين . د . روزفلت ، بشركة الاستيراد بماريلاند » .

فسألت الرئيس : « هل أعجبتك القصة ؟ »

فهز كتفيه قائلاً : « لا .. ان موضوعها لا يصلح لفيلم ناجح » .

فقلت له : « إذن ماذا تريدني ان أفعل ؟ »

فقال « زوكر » : « ان عائلة روزفلت من العائلات التي يهمني أمرهــــا .. ولذا ينبغي ان يكون رفضنا للقصة بلباقة » .

وفي ذلك المساء ، اتصلت بروزفلت تليفونياً ، وبعد ان عرّفته بشخصيتي قلت :

— « أحب ان أتحدث اليك عن قصتك .. جون بول جونس » .

فأجاب بحماس : « حسناً .. ولكن ليس بالتليفون . هل يمكنك انتحضري لتناول الشاي معنا غداً » .

واعطاني عنوان البيت .

وبعد ظهر اليوم التالي ، ذهبت الى منزل روزفلت .. فسحرني الجو العائلي الجميل الذي شهدته فيه . ودار بيننا حديث استنتجت منه ان روزفلت يعلق على القصة أهمية كبيرة وانه يطمع في ان يتخذ الكتابة حرفة يتكسب منها ، وبعد ان شربنا الشاي ، سألني :

— « وما رأي « زوكر » في قصتي . ؟

واتجهت انظار جميع افراد العائلة نحوي .. ورأيت في عيونهم شعور الثقة والاعتداد بعائلهم ، فأحجمت عن التصريح بالحقيقة ، وقلت : « انه لم يتخذ بعد قراراً نهائياً .. ان عند الشركة قصصاً كثيرة نعمل على اعدادها .. ولسنا ندري متى نستطيع ان نضمن برامجنا قصتك » .

وفي الأشهر الثلاثة التالية ، دعتني العائلة مراراً .. وكانت أواصر الصداقة قد توثقت بيننا . وازددت إدراكاً لعزم روزفلت على رغبته في اتخاذ الأدب حرفة ، حتى أصبحت أشعر بحرج وألم شديدين في التصريح له بأن محاولته الأولى كان نصيبها الفشل .

ولكنني اضطررت اخيراً — بعد ان فرغت جعبتي من الأكاذيب والاختلاقات — ان أقول ان قصته قد رفضت . وصدمه الخبر صدمة قوية ، ولم تفلح اعذاري و دبلوماسيتي في تخفيف وقع الصدمة .. وانقطعت بعدها علاقتي بالعائلة .

ومضت خمس عشرة سنة .. واثناء تولى روزفلت رئاسة الولايات المتحدة المرة الثانية ، دعى زوجي الكابتن « دونكان والتر » وانا – بوصفي زوجته – الى احتفال بالبيت الأبيض كان قد أقيم لضباط الجيش والبحرية وزوجاتهم . وحينما قدمنا للرئيس .. نظر إليّ روزفلت فاحصاً ، ثم قال :

– انت جان وست .

فقلت : نعم .. يا سيدي الرئيس .

وافتر ثغره عن ابتسامة عريضة ، وقال : « هل تذكرين قصتي التي قدمتها لشركة بارامونت .. لقد كانت أظلم لحظة في حياتي تلك التي اخبرتني فيها بأن الشركة رفضتها » .

فقلت : « انني واثقة من ان الشركة نادمة الآن على رفضها » .

قال : « ربما .. ولكن هذا الرفض علمني شيئاً هاماً .. علمني ان الإخفاق مهما جعـل المستقبل – في عيني المرء – أسود حالكا ، فأنه لا يعني قط نهاية الرجل ، وان خير وسيلة للتغلب على الفشل هي ان ننساه وننسى ملابساته وكل ما يذكرنا به .. ونستأنف الجهاد ، مصرين على النجاح بثقة وعزم » .

فقلت : ونجاحك السياسي برهان على صحة هذه النظرية ..

فأبتسم الرئيس مرة اخرى وقال : « أتظنين ذلك .. ولكن الذي لا شك فيه انه لو قبلت شركة بارامونت قصتي .. لما كنت انا وانت نتحدث الآن في البيت الأبيض » .

- ١٦ -

الكياسة طريق النجاح

•

الكيـــاسة

يقول الدكتور وليم راملي :

الجميع يريـدون النجاح والظفر في الحياة .. البعض ينجحون ، والأكثرية تفشل ، فلماذا ينجح هؤلاء ، ويفشل اولئك ؟

منذ أقـدم العصور والإنسان مشغول بالبحث عن مقياس دقيق يقيس به الناس ، بل ويقيس به نفسه ، حتى يكون على بيّنة من اختيار صحبه ، او شريكـة حياته ، او دائرة عمله . ولو رجعنا الى علماء النفس المعاصرين ، لما وجـدنا عندهم مقياساً لتلك الأعراض أدق من مقياس الكياسة ، او « السلوك الذكي » . وتعريفها لديهم من اليسر والوضوح بمكان .

– الشخص الكيّس هو الذي يستطيع بسلوكه في بيئة معينة .. ان يحل المشاكل التي تعترضه في تلك البيئة .

وقـد اشتركت في لجنة من اكبر اللجان لدراسة مشاكل البيئات واسباب

فشل الناس في حلها ، وخرجت من دراستي الطويلة بأن الكياسة تقوم على ثلاث دعائم اساسية :

-- الدعامة الأولى هي رغبة الشخص في حل المشكلة .

– والدعامة الثانية هي قابليته لحلها . .

– والدعامة الثالثة هي كفاءته لعلاج العـــلاقات الانسانية المتصلة بتلك المشكلة على تشابك تلك العلاقات وتعقدها .

ولعل أهم العوامل هو حسن فهمك للناس عامة ، حتى يتسنى لك ان تفهم من حولك منهم في بيئة معينة ، وكل انسان منذ طفولته الى مماته مولع بمقارنة نفسه بسواه من البشر ، وبالحكم على سواه من البشر .

وطريقة فهمنا للناس هي التي تعين وتقرر مدى نجاحنا في عملنا مثلاً ، وهل نحسن اختيار الرئيس الذي يدفعنا الى الأمام ، أم نظل خاضعين لرئاسة رجل يكبت مرؤوسيه ويميت مواهبهم ويخمد جذوة الفلاح فيهم ويدّعي لنفسه كل ما يؤدونه من خير ، ويفزعهم من العزل عند أقل هفوة .

وطريقة فهمنا للناس هي التي تعيّن وتقرر مدى توفيقنا في اختيار شريك الحياة ، وتمتعنا بحياة عائلية سعيدة ، ام نحن من وقود محاكم الأحوال الشخصية الذين لا يرجى لهم وفاق زوجي مهما بدلوا من ازواج . .

وطريقة فهمنا للناس هي التي تعيّن وتقرر مدى فلاحنا في تخيّر الصديق الذي يعيننا على التقدم والتوفيق في بلوغ غاياتنا من الحياة . أم نحن لا نختار إلا اصدقاء السراء ، الذين تختفي آثارهم عند اول نكبة نبتلي بها ؟

وإذا نظرنا الى الدعائم الثلاث للكياسة ، وجدنا انها تقسم الناس الى سبعة ضروب واضحة :

١ – الضرب الأول من الناس تتوافر لديه القدرة على حل مشاكل بيئة ما ، ولكنه يفتقر الى الرغبة في ذلك الحل ، والكفاءة في معاملة الناس الذين يتصل بهم ذلك الحل .. واكثر من نعرفهم من الفاشلين ينتمون الى هذا الضرب . وانا شخصياً اعرف رساماً من ابرع الرسامين . وهو استاذ لامع في رسم الاعلانات .

وكلما ذهب اليه عميل لا يرفع نظره اليه ، جاعلاً البرود والتجاهل يسودان اللقاء .وقد اخبرني هذا الرسام انه يحتقر رسم الاعلانات،ويرى انه غبن في تقرير مهنته ، لأنه خلق للفن الرفيع ، ولذا لا يجد رغبة في عمله ولا ميلاً لحسن استقبال عملائه ، ففشل في الرسم التجاري ، ولم يستطع تحقيق امنيته في الرسم الرفيع ، لأنه غير راغب فيه الرغبة الكافية وعليه احتمال بؤس الفقر والحرمان الى ان تواتيه الشهرة بعد لأي .

٢ – والضرب الثاني من الناس تتوافر لديه الرغبة في حل مشاكل بيئة ما ، ولكنه يفتقر الى القدرة على حل تلك المشاكل ، والى الكفاءة في معاملة الناس الذين تتصل بهم تلك المشاكل . واكثر الشبان الحديثي التخرج في المعاهد والمدارس ينتمون الى ذلك الطراز . ولا يرجى لهم فلاح ما لم يرتفعوا عن مكانهم ، فالرغبة في النجاح لا تكفي للنجاح ، ما لم يسعف الرغبة اقتدار وحسن فهم للناس . وما اكثر من يتمنين تألق كواكب الشاشة ، ولكنهن خاليات من مواهبهن الفنية ومن حسن فهم اهل تلك الصناعة وطريقة معاملتهم . وما اكثر من يتمنون صوتاً ذهبياً وشهرة في عالم الغناء ، ولكنهم بغير موهبة الغناء لن يصلوا لشيء غير الاخفاق . ومع ذلك يضيقون بالناس اذا شكوا في مواهبهم أو أبوا الاعتراف لهم بالحنجرة السماوية والأذن الموسيقية .

٣– والضرب الثالث من الناس لدية الكفاءة في معاملة الناس وحسن التفاهم معهم لحل مشاكل بيئة ما ، ولكنه يفتقر الى الرغبة في ذلك الحل والى القدرة عليه . والى هذا الضرب ينتمي كثيرون جداً من الاشخاص المحبوبين الذين لا يقدر لهم ان يظفروا بنجاح كبير في اي شيء . فملايين وملايين من الناس يحظون بالاستمرار والبقاء في وظائفهم ومهنهم ، لا لجدارة فيهم ، او حبهم لتلك المهن ، بل لأن الناس يستريحون الى معاملتهم رغم قلة كفايتهم المهنية او رغبتهم في إنماء تلك الكفاية .

ومثل هؤلاء تغص بهم المؤسسات ، ويمكنك الحصول على خدمات اي عدد

منهم اذا زدت راتبهم دراهم معـــدودات ، ولن يصلوا الى شيء ذي بال في الحياة . كما لا يمكن الاعتماد عليهم في المهام الجسام .

٤ – والضرب الرابـــع من الناس لديه القدرة على حل مشاكل بيئة ما ، ولديه كذلك الرغبة في ذلك الحل ، ولكنه يفتقر الى حسن التفاهم مـــع الأشخاص المتصلين بتلك المشاكل . والى هذا الضرب ينتمي الكثيرون ممن نسميهم « خبراء فنيين » .. وكل واحد منهم أشبه بالشهاب الثاقب الذي يسبق زمنه ويضيف اضافات كبيرة بارزة الى العلم او الى الصناعـــة او الادارة الحكومية ، ثم يحترق من غير ان يحظى بثمرات جهوده ، لأنه لم يؤت حسن فهم للناس في بيئته وعصره .

اعرف شخصاً محامياً من هـــذا الطراز ، لا توجد ثغرة واحدة في البناء المنطقي الذي يستخدمه في دفاعه عن قضاياه ، ورغبته في كسب تلك القضايا قوية دون شك . ولكني رأيته يخسر قضايا كثيرة ، لا لشيء إلا لأنه لم يحسن فهم عقلية المحلفين والقضاة ، فكان يغفل زوايا انسانية كثيرة يراها تافهة القيمة ، فتكون هي القاضية عليه .

ومعظم هؤلاء الخبراء الثقات ينهزمون لا عن خطأ في عملهم ، بل عن قصور في فهم العامل الانساني واعطائه حقه من عنايتهم الذهنية الخارقة . فلا يحاولون تفتيق اذهان الناس واستمالتهم اليهم وكسب ثقتهم ، مع ان نجاحهم متوقف على الظفر بتلك الثقة في نهاية المطاف . أي انهم ينسون وهم يعملون للناس ومـــع الناس ما لهؤلاء الناس من اعتبار وأهمية وقوة مقاومة .

٥ – والضرب الخامس من الناس لديه القدرة على حل مشاكل بيئة ما ، ولديه الكفـــاءة في معاملة الناس وحسن فهمهم ، ولكنه يفتقر إلى الرغبة في إيجاد ذلك الحل . وإلى هذا الفريق ينتمى أولئك الظرفاء ذوو الكفاية الفنية العالية الذين نحار جميعاً لماذا لم يلمع نجمهم كما يستحقون . وحقيقة الأمر انهم لا يشعرون بالاهتمام الكافي أو الرغبة في هدف معيَّن . وليسوا مستعدين للكفاح في سبيـــل أي شيء .. ان لديهم الكفاية والذكاء ، ولديهم حسن الفهم للناس ،

ولكن تعوزهم الهمة العالية والرغبة الحافزة .

٦ – والضرب السادس من الناس لديه الرغبة في حل مشاكل بيئة ما ، ولديه الكفاءة لفهم الأشخاص المتصلين بتلك المشاكل ، ولكن تنقصه القدرة الموضوعية على إيجاد ذلك الحل . وكثيرات من الزوجات العصريات ينتمين الى هذا الفريق . فهن محبات لأزواجهن ، راغبات في اسعادهم ، ولكنهن لا يعرفن كيف يرتبن البيت ويحفظن توازن الميزانية او يطهين الطعام .

ولماذا نذهب بعيداً ؟ ان الكثيرين ممن يظفرون بالمناصب عن طريق الانتخاب في الأمم الديموقراطية انما يعود ظفرهم الى حسن علاقتهم بالناس ، وخفة دمهم ، والى رغبتهم في القيام بأعباء تلك المناصب ، ولكنهم دون المستوى المطلوب فنياً وعقلياً لإداء تلك الأعمال على الوجه الأكمل. وهكذا نسمع وعوداً ضخمة في معارك الانتخابات ، لا نراها تتحقق بعد المعركة لا عن سوء نية ، بل عن نقص في القدرة .

٧ – والضرب السابع من الناس هو الفريق السعيد حقاً ، لأنه يملك القدرة على حل مشاكل بيئة ما ، ولديه الرغبة الصادقة في إيجاد ذلك الحل ، ولديه كذلك الكفاءة لحسن فهم من يتصلون بتلك المشاكل ، ولحسن التعامل معهم .

ولسنا نزعم ان هذا الشخص الكامل موجود بصورته المثلى ، ولكننا نقول ان بعض النقص في صفة أو صفتين خير من انعدامها جميعاً . وكل نقص يمكن تكميله بحسن الرغبة ، وبالنقد الذاتي .

ومن حسن طالعنا اننا في عصر تعاوني ، فمن تنقصه بعض الجوانب عليه أن يعرف نقصه ويستكمله عن طريق معاونين موهوبين في تلك الجوانب .

الخوف والكياسة

وما دام الشخص واثقاً من سيطرته على مشاكل بيئته ، وكفاءته لحلها ،

مهما كانت تلك البيئة ، فلن يساوره الخوف أو القلق . وانما يشعر بذلك حينما يأنس في نفسه العجز أو النقص .

ونحن قد اتفقنا على أن الكياسة هي جماع التوفيق في حل مشاكل بيئة ما، وان لها ثلاث دعائم :

١ - الرغبة في حل المشاكل .

٢ - والقدرة على إيجاد ذلك الحل .

٣ - والكفاءة للتفاهم مع من بيدهم تنفيذ ذلك الحل .

وعلى ذلك يكون الفشل ، أو الخوف من الفشل ، ناجماً عن نقص في الرغبة أو قصور في القدرة ، أو عجز عن التفاهم مع الناس . وتلك هي المصادر الثلاثة الممكنة لجميع المخاوف في أية بيئة من البيئات .

وعلى ذلك يمكن ان نصل من دراسة المخاوف وعلاقتها بالكياسة — التي هي سبيل النجاح المثالي — الى نتائج محددة في أربعة عناصر :

١ - ان مخاوفنا اليومية تتبدى في صور شتى ، منها تغير المزاج ، والكدر الغامض ، وتوتر الأعصاب ، والشعور العام بالعجز ، والميل للنعاس في غير أوانه الطبيعي ، أو في الحالات القصوى على صورة شلل ذهني يعجزه عن التفكير المنظم .

٢ - ان معظم مخاوفنا لا شعورية ، وفيما عدا الحالات القصوى ، لا ندرك أن ضطرابنا الذهني ناجم عن المخاوف والقلق .

٣ - ان معظم البالغين ، فيما عدا الحالات القصوى ، لا يحبون الاقرار أمام أنفسهم ولا أمام سواهم انهم خائفون من أي شيء . ولا يبدو عليهم أنهم مدركون أن الخوف يؤدي لهم - أو يمكن أن يؤدي لهم - خدمات جليلة بما يتيحه لهم من نذير بالمخاطر الكامنة لهم في بيئتهم .

ما من شخص إلا رقد خامره الخوف في وقت ما ، ولا يمكن استئصال الخوف من نفس أي انسان وفي جميع البيئات التي يعيش فيها ، لأنه يستحيل

أن يسيطر شخص ما على بيئة العمل وبيئة البيت وبيئة الرفاق وغيرها من جميع الوجوه سيطرة تامة ، فحتى القياصرة والانبياء كانت تنتابهم مشاكل تشقيهم في بعض البيئات . فالسعيد في سلطانه قد لا يكون سعيداً في زواجه ، أو العكس .

٤ —وحينما يشعر المرء بخوف لا شعوري في بيئة ما،فأول ما يجنح اليه هو الهرب من البيئة التي سببت له ذلك الخوف . وهناك صور كثيرة للهرب ، مثل النشاط المفرط أو اللهو المفرط ، لان حمى العمل وحمى اللهو تنسيان الهموم والقلق . ومثل المكابرة ورفض الاعتراف بالخطر ، ومثل الانغماس في الشراب او المخدرات . فما اكثر مرضى القلب الذين يكابرون فيلعبون الجولف والتنس ! كأنما الإنكار يمحو الواقع ويقضي عليه ، وليسوا إلا على أنفسهم يقضون ! وما أشبه أولئك بالنعامة تدفن رأسها في الرمل حتى لا ترى بندقية الصياد وهو لها بالمرصاد !

وحتى عندما يكون الشخص واعياً لمصدر خوفه تمام الوعي ، فانه ما لم يعرف كيف يواجهه ويحل مشكلاته ، فلسوف يجنح حتماً الى الهرب من مواجهته .

وأسوأ ما في صور هذا السلوك الهارب من المسؤوليات ، انه لا يتيح للمرء إلا مسكنات وقتية ، يزيد بعدها الداء استفحالاً ويوشك أن يستعصى على العلاج . ولذا كانت الكياسة بدعائمها الثلاث هي الموئل الأمين من المخاوف دون مكابرة أو روغان .

طريق الأمان

والكياسة تستطيع وحدها ان تؤمننا من خوف .. بما توجهنا اليه من حل لمشكلات بيئاتنا .. وجماعها خطوات ثلاث لا أمان لنا من الخوف بسواها !

١ ــ أول خطوة يجب أن نتخـــذها متى شعرنا باضطراب غامض ، هي تقصي مصدره حتى البيئة التي نبع منها ، كي نعرف متى وأين وقع الخوف وما محوره ومداه الحقيقي .

٢ ــ والخطوة الثانية أن ننظر الى المصادر الثلاثة الممكنة لذلك الخوف ، وهي نقص الرغبة أو نقص القدرة ، أو نقص التفاهم الانساني ، ونسأل أنفسنا أي هذه الدعائم الثلاث هي السبب في فشلنا وعجزنا عن حل المشكلة .

٣ ــ والخطوة الثالثة والأخيرة ، ان نقرر ما تحققناه من علة فشلنا .. وهل ننوي بذل الجهـــد لاصلاح ذلك النقص ، أم ننوي بـــذل أقصى الجهد للانسحاب من تلك البيئة المقلقة نهائياً ، فقد يكون من الحكمة أحياناً أن يقصر الشخص حياته على الميادين التي يأنس في نفسه الكفاءة لهـــا ، ولا يقرب سواها .

وما اكثر المـــداد الذي أريق في موضوع الخوف والقلق ، وما اكثر النصائح التي بذلت لمحاولة الاصلاح . وكم قيل لنا أن نطرد الأفكار السلبية كلها من أذهاننا ونحل محلها أفكاراً ايجابية عن الشجاعة والإيمان . وانا مؤمن ان الخائف أحوج ما يكون إلى جرعات من الشجاعة والإيمان . ولكن العقدة كلها هي أن الخائف وان زعم ان مخاوفه ناجمـــة عن اخطاء سواه أو عن ظروف خارجية لا ارادة له فيها ، انما هو في الحقيقة خائف من ذات نفسه ، بمعنى أنه خائف من قصوره عن ملاقاة المشكلة وحلها، إما لنقص في رغبته ، أو نقص في فهمه للناس وطريقة تعامله معهم .

وما لم يتخـــذ خطوات إيجابية محددة لإصلاح ذلك النقص ، أو يتجنب تلك البيئة التي أشاعت في نفسه الخوف ، فلا بد ان يتـــلاشى إيمانه بنفسه ، لأن ذلك الإيمان سيكون دون سند حقيقي من قدرة أو رغبـــة أو كفاءة في معاملة الناس .

وكثيراً ما قيل لنا أن نشغـــل أنفسنا عن مخاوفنا بالانهماك في أي شيء

يشغلنا أو يلهينا . ولكن ليس كافياً أن نشغل أنفسنا بأي شيء حيثما اتفق ، فان الخائف المضطرب حري ان يقدم على عمل أحمق يهلكه أو يزيد مشكلته وخوفه استعاراً . وليس بالنادر أن يكون ذلك العمل جريمة قتل ، أو جريمة انتحار .

مما نحن بحاجة الى معرفته حقاً حينما نشعر بالخوف والقلق ، هو ما يجب ان نعمل بالضبط ، لا أن نعمل فحسب . ؟

وأنا شخصياً حين يقلقني أمر ما ، أتقصّى قلقي الى أن أصل الى البيئة المحددة التي صدر منها القلق والخوف . ثم اسأل نفسي ثلاثة أسئلة :

١ – هل انا حريص حقاً على البقاء في تلك البيئة ؟ هل يهمني أن أحل مشكلتها ؟ فان كان الجواب بالنفي القاطع ، تركت تلك البيئة نهائياً .

٢ – وان كان الجواب بالإيجاب ، سألت نفسي هل عندي القدرة على حل المشاكل التي هي من طبيعة تلك البيئة ؟وهل أبذل جهداً صادقاً لزيادة تلك القدرة لدي ؟ فان كان الجواب بالنفي ، سعيت للاستعانة بمن هم أقدر مني على حلها أو لتقويتي على مواجهتها ..

٣ –.وأسأل نفسي : هل أخطأت في فهم أصحاب تلك البيئة ؟ وهل حاولت ادراك وجهة نظرهم قبل أن أنعتها بالخطأ ؟ وهل سعيت بما فيه الكفاية لكسب ثقتهم واطلاعهم على وجهة نظري واقناعهم بها ؟ اوهل أخفقت في تنفيذ وعد قطعته لهم ؟ وهل أثق بهم أم أزدريهم وأتوجس منهم ؟

فان كان الجواب بالنفي وجب أن أصلح سياستي ، أو أستعين على لاتصال بالناس بأشخاص يحذقون معاملة الناس ويسهلون لي قضاء مصالحي .

وهذا على كل حال هو طراز الأسئلة التي ألقيها على نفسي في نهاية كل يوم ، لمعرفة رصيدي الحقيقي من الكياسة التي تؤمنني من الخوف والقلق .

عقول الناس

عقول الناس الذين تتعامل معهم ، وعقلك أنت أيضاً ، لا بد أن تنتمي الى أحد مستويات أربعة :

١ – المستوى الأول من العقول ، يعارض اصحابه كل اقتراح يعرض عليهم . مهما كان ذلك الاقتراح ، فعقولهم مقفلة .

٢ – المستوى الثاني من العقول ، يصغي أصحابه لكل اقتراح يعرض عليهم مهما كان ذلك الاقتراح ، فعقولهم مفتوحة . ولكنهم لا يتابعونك إلا ببرهان كاف .

٣ – المستوى الثالث من العقول ، يثق أصحابه بما يعرض عليهم ، وهم مستعدون لمتابعتك عند أول برهان تبديه ، فعقولهم طيعة .

٤ – والمستوى الرابع من العقول يتابعك أصحابه من غير مناقشة أو تردد وبغير حاجة الى برهان منك ، فعقولهم مؤمنة .

والنمط الرابع لا يثير لك أية مشكلة ، ولو كان الناس كلهم على هذا المنوال ما أصابك قلق . وانما مصدر القلق العقول المقفلة أولاً ، فما لم تعرف مفتاح تلك العقول فلن تحظى منها بطائل . وكل شخص له مفتاح . فهذا مفتاحه الاطراء ، وذاك مفتاحه المتابعة بعض الطريق ، فيتابعك بعد ذلك وقد أنس اليك ، فعليك بدراسة شخصية ذي العقل المقفل كي تعرف مفتاحه الصحيح وإلا فشلت .

وأما النمط الثاني وهو العقل المفتوح ، والثالث وهو العقل الطيع ، فكل ما تحتاج اليه معهما هو قوة الحجة والقدرة على الاقناع .

وهناك صفة يجب أن تتذرع بها ، وهي استجلاب عطف الناس

ومرافقتهم لـــك ، بالاغضاء عن هفواتهم ، وابراز محاسنهم أمام نفسك ، والإعراب لهم عن تقديرك ، ولو كانوا من مرؤوسيك . فان ذلك يدفعهم إلى الاستزادة من اعجابــك بمزيـــد من الصواب ، ونقص من الخطأ والتقصير .

واسأل نفسك قبل كل شيء : هل انت مقفـــل العقل ؟ فإن كنته دعوت الناس الى ايصاد عقولهم وقلوبهم دونك ! فافتح عقلك تفتح لك مغاليق العقول، وأحبب الناس تفتح لك مغاليق القلوب ، ومتى فتح لك عقل انسان وقلبه ، فما أيسر المشكلة بعد ذلك . إن هي إلا الحجة الناهضة حتى تظفر بما تريد ، وان لم تظفر به عاجلاً ، فقد ظفرت بصداقة صاحبه وحسن ظنه ، وذلك حري أن يوصلك إلى غرضك يوماً ما .

- ١٧ -

تجنّب الفشل تنجح

•

لا تتسرع

هناك اشخاص لا قدرة لهم على تركيز تفكيرهم ، فهم يشرعون في تعلم هذا الشيء ، ثم ذاك ، ثم شيئاً ثالثاً ، ولكنهم لا يتمون تعلم شيء من كل هذا أبداً رغم شدة رغبتهم في العلم ، لعجزهم عن استيعاب المعلومات اللازمة ، وبذلك يستقر في أذهانهم انهم محرومون من الاستعداد العقلي الذي يتمتـــع به الآخرون .

على انه كثيراً ما يكون سبب فشل هؤلاء كونهم يتمتعون بقدرة عقلية او استعداد ذهني اكبر مما يحتاجونه للنجاح .. فيكون مثل احدهم كمثل سيارة قوية أدار سائقها محركاتها وفراملها المحكمة مقفلة ، فيستنفد كمية من الوقود عظيمة دون ان يتقدم في طريقه خطوة واحدة .

وقد جاءني يوماً احد الطلاب شاكياً نقص قـــدرته على تركيز ذهنه ، فهو

يقضي الساعات تلو الساعات في الدرس ، ولكنه لا يستطيع حصر ذهنه في الموضوع الذي يستذكره ، او يبحثه ، واثبت التحليل انه أكره على اختيار تلك الدراسة من ابيه ، ثم ثار عقله الباطن على ذلك الوضع التحكمي وقام بعمل الفرامل لتعطيل المضي في ذلك السبيل .. فأصبح مقيد النشاط ، مهما يبذل من الجهد العقلي ، بسبب تلك المقاومة السلبية السرية التي لجأ اليها من حيث لا يشعر لعدم شجاعته في مصارحة نفسه ومصارحة أبيه .

فاذا كان العجز عن التركيز او حصر الذهن هو السبب في فشلك شخصياً ، فاني أنصحك بأن تواجه ما في نفسك من انقسام وما في سريرتك من معارضة مكتومة مواجهة صريحة ، ثم تعمل على حل ذلك بعقل وتدبر ، وثق بأن عقلك لا يقل في قدرته عن أي عقل ، وبأن استعدادك على احسن ما يكون ، وانما عليك ان تواجه الواقع ، ولا تتردد في اجراء التعديلات اللازمة ولو أدى ذلك الى اغضاب من تريد ارضاءهم .. ولسوف تشعر بعدئذ بسعادة كبيرة تشيع في نفسك وفي حياتك ، وتجد لديك قدرة على تركيز ذهنك .

وهناك نوع ثان من الفشل يرجع الى شعور صاحبه بأن هناك من يراقبه ليضع عمله وكفاءته في الميزان .. فاذا كان ذلك حالك ، فيجب ان تبحث عن الأسباب التي تشل جهودك . فقد تكون انساناً ضميره غاية في الحساسية ، شديد العناية والاهتمام واللهفة كي تبذل خير ما في استطاعتك في عملك ، وتخشى ان تقصر عن الغاية العظمى من النجاح في نظر ممتحنيك ، فتضطرب وتتعثر .. ولهذا عليك ان تتعقب آثار تلك الرقابة الى عهد طفولتك ،وحاول ان تعرف من الذي كان يترصد هفواتك كي ينحي عليك باللوم والتعنيف في غير عطف او رفق ، ومن الذي كان يتهددك عند أدنى تقصير ويتوعدك بالعقاب والتشهير ، ويتركك نهباً للخوف والمذلة والقهر .

كان هناك طالب ذكي مجتهد أحقّ بالنجاح من أقرانه ، ولكنه كان يرسب دائماً في الامتحان ،حتى عرف السبب بعد التحليل النفساني فاتضح ان والده التزمت ضبطه يوماً وهو طفل يعبث بعضوه التناسلي ، فنهره وهدده ان هو عاد لمثل ذلك مرة اخرى ، بقطع عضوه بالسكين .

ولو ان شخصاً اكبر منه سناً هُدِّد بذلك لضحك استخفافاً . ولكن الطفل على العكس من ذلك ، عاش بقية عمره في رعب دائم من هذا التهديد ، ورسب الشعور بالإثم والذعر في عقله الباطن ، حتى اذا كبر حاول ان يقنع نفسه بأن تنفيذ ذلك العقاب البشع غير معقول ، وبأن الأشباح الخفية الموكلة بمراقبته والتجسس عليه لا وجود لها ، واستطاع اخيراً ان يسدل ستار النسيان على تلك الأفكار الخرافية ، ولكنها رسبت في وعيه الباطن .. حتى اذا تقدم الى اي امتحان هام ، استولى عليه ذعر لا يدري كنهه ، فينسى كل معلوماته .

ويتفق احياناً اخرى ان يكون الوالدان متلهفين اعظم اللهفة على نجاح ولدهما ، فيكون ذلك سبباً في اشاعة الرعب في نفس الطفل ، إذ يصاب تقدير ذلك الطفل لنفسه بعطب وإضرار ، ويشب ضعيف الهمة ناقص الشخصية ، وقد استقر في دخيلة نفسه انه لن يبلغ الدرجة المطلوبة منه او المنشودة له .

فاذا كان ذلك هو الوضع الذي تجد نفسك فيه ، فليس عليك إلا ان تعرف

من هو الذي اشاع الخوف في نفسك وانت طفل صغير ، او الذي جعل المستوى المنشود لك في الحياة مستوى عالياً جداً ليتحدى همتك ويثبط عزيمتك.. ثم اعمل على ان تبدد هذه الأوهام كلها ، بحيث تتخلص منها ، وترسم لنفسك المستوى الذي يناسبك دون ما قيد ولا قسر ..

وعليك ايضاً ان تبني تقديرك لنفسك وثقتك بها حتى يزول عنك وهمك .. بان جميع الناس خير منك استعداداً وأصدق منك نظراً وأرجح عقلاً وأحسن رأياً .

ومتى وثقت بنفسك ، وتحررت من متاعب طفولتك فقد وضعت قدمك على اول درجات النجاح ..

- ١٨ -

الإلهام في نجاحك

•

انت ابن الماضي

الإنسان وليد طبعه الماضي ، فللوراثة أثرها فيه وهو جنين ، وللتربية المنزلية أثرها وهو طفل ، وللبيئة طابعها وهو شاب ، وكذلك هناك اثر الكتب التي يطالعها ، والاصحاب الذين يعقد معهم أواصر الصداقة . كل هذه العوامل وغيرها تتعاون على تشكيل الانسان وتكوينه وصبّه في قالب معيّن ، وما من انسان يستطيع تجاهل الماضي وأثره البعيد في تكوين شخصية الانسان .

كذلك لا يستطيع الانسان ان يغفل التفكير في المستقبل ، وليس يكفيه ان يفكر في الحياة الحاضرة وحدها ، بل لا بد من التفكير في الوجهة التي ستتجه اليها حياته .

يقول الشاعر وردزورث : « اننا نحيا بالإعجاب والتقدير والأمل والحب » .

ولقد كان التحليل النفسي في بداية عهده يحاول ان يترجم حالة المريض الحاضرة ويتفهمها ثم يكوّن فكرة عن الماضي ، فكان عملاً يعتمد على الماضي . اما الآن فيقول (كارل غانغ) : « لقد حان الوقت لتفهم المستقبل في حالة المريض الحاضرة . »

كيف ينظر الرجل الى المستقبل .. وما هي الأشياء التي يتطلع اليها ؟

وما هي خططه التي يرسمها ويعدها .. وما هي الآمال التي تجيش في صدره .؟

كل هذه الامور جزء من نفس الانسان ، ولا مغالاة في القول بأن قيمة الحياة الانسانية يمكن ان ترى من خلال الآمال المستقبلة التي تتخيلها ، والاهداف والأغراض والمطامع التي تتطلع اليها . فالحيوان يعيش في حاضره ، وبقدر ما نستطيع ان نعرف ، لا يحفل بالمستقبل . فاذا أطعمته وكفلت له الوقاية في الوقت الحاضر فهو قانع راض .

وكلما ابتعد الانسان عن هذه الحالة الحيوانية ، برز المستقبل امام ناظريه . يقول الشاعر براوننغ . « كل ما تمنيت ان اكونه ولم اكنه يسليني ويشجعني » .

فما علاقة المستقبل بالإلهام :

الإلهام لفتة روحانية وعملية عقلية نستطيع بها ان نمثل المستقبل في الحالة العقلية الحاضرة ، فيستقر تخيلاً على ما نرجوه لأنفسنا وما نبغي ان نفعله وما نتوق الى القيام به . والانسان يقاس الى حد كبير بجذب المستقبل وضغطه .

والحياة بغير إلهام هي حياة بغير أمل او مطمع . وكل حياة بغير امل او مطمع هي في مستوى حياة الحيوان .

حاول مطالعة التاريخ ، والحياة الشخصية لعظماء التاريخ .. فستجد لا محالة ان الأعمال الجليلة كانت من وحي الإلهام ، لقد اندفعوا في طريقهم بقوة الآمال والرؤى والأحلام . لقد استجابوا لجذب المستقبل وتأثيره ، لم تكن هناك حياة عظيمة بدون إلهام ، ولم تكن هناك اعمال مجيدة دون

حافز من الآمال والأحلام . ولقد قال شيشرون السياسي الروماني الكبير :
« ما من رجل اصبح عظيماً بغير جانب من الإلهام السماوي » .

فأين يستطيع المرء ان يكتشف مثل هذا الإلهام واين يجده ، كيف يستطيع ان يخلق في نفسه هذا الشدّ الذي يبدع ويخلق للمستقبل ؟

الى القارىء ثلاثة مصادر للالهام للحصول على النجاح :

الشخصيات العظيمة

دلت الأبحاث النفسية الحديثة انه لا يرجى كبير نفــع من وراء الوعظ والإرشاد المجرد من ذكر الأمثال ، والذي يقتصر على تبيان القواعد . ان لها أثرها بالتأكيد؛ ولكنه أثر ضئيل وضعيف في تكوين شخصية الإنسان .. هناك عدوى تنتقل من تاريخ العظماء كما تنتقــل جراثيم الأمراض من انسان الى انسان . ونضرب مثلاً بأوليفر هولمز الذي ولد بعد قرن من (صمويل جونسون) الشهير ، ولكن هولمز ظل يطالع ويطالــع تاريخ حياة جونسون ، ومرت الأعوام وجاء وقت اصبح فيه هولمز صورة مطابقة تماماً لجونسون ، وقد كتب يقول بهذه المناسبة :

« لقد تأصلت رابطة قوية وصلة وثيقة بين جونسون الكاتب الانكليزي الشهير وبيني .. وكان حسبي ان افتــح كتاب « حياة جونسون » في اي وقت فاعرف ما الذي كان يفكر فيه جونسون في مثل سني ، في العشرين او الخمسين او السبعين ، وماذا كان يفعل ، وماذا كان يعمل ، وماذا كانت مشاعره نحو الحياة .. لقد كان الأمر بالنسبة اليّ نوعاً من الوئام بين آلتين » .

فأنت ترى ان (هولمز) قــد كرّ بنظره الى الماضي بحثاً عن « الهام » ، ثم دفعه بعقله الى التفكير في المستقبل ، حتى وقع على ضالته واخذ يحاول ان يكونه وان يحذو حذوه بحيث اصبحت عظمة هولمز منبثقة من الالهام الذي تسرب اليه من

حياة رجل آخر ..

فالقاعدة الأولى التي يجب على المرء القيام بها .. هي ان يبحث لنفسه عن الشخصية او الشخصيات العظيمة التي تلائمه ، وان يبذل جهده ليخلق بينها وبينه صلة وثيقة ..

القراءة الرفيعة

والصلة الثانية التي يجـدر بالمرء ان يخلقها ، هي الصلة بينه وبين العقول الكبيرة . ولست اعني بطبيعة الحال الدراسات العميقة ، وان كان لها مكان في حياة بعض الأشخاص ، ولكني اعني كثرة الاطلاع وقراءة ما خلفته لنا هذه العقول الجبارة من آراء عظيمة في الكتب التي ألفوها .

يقول صمويـل سمايلز : « ان العظماء والنبلاء لم يموتوا .. انهم محنطون في كتبهم ، ولكن أرواحهـم تسير خارجها . والكتاب صوت حي .. وعقل لا يزال المرء يستمع اليه ».

ان مطالعة كتاب قيّم وايجاد صلة بينك وبينه معناه انك تقابل مؤلفه عن طريق وكيله .

لقد كان (ارنولد بنيت) الكاتب العظيم لا يذهب الى مكان إلا وكتاب « التأملات لماركوس اوريلياس » في جيبه .

والكتب القيّمة لا حصر لها ، ومن شأنها جميعاً ان تزيد من خصب العقل ، وتلهب نار المطامع ، وتضخم شخصية الإنسان .

وكلما طالع الإنسان كتاباً من هذا النوع ، نما إلهامه ، واتسع افق اهدافه ، وازداد ارتفاع آماله .

ان الكتب مصدر إلهام لا ينضب معينه .

والطريق الثالث المفتوح والممهد امام الانسان ان يعمل وفق خواطره ، وبغير ذلك فان الإلهام يجف ويذبل ، لأن هناك قانوناً عظيماً للحياة العقلية ، وهو ان كل ما لا يعبر عنه يذبل في اعماقنا . فالتنفيذ جانب مهم من جوانب الإلهام . وقد كان الفيلسوف العظيم الدكتور (ل • جاكس) يحذر دائماً الرجال من « الاقتصار على الكـلام » .. وكان يقول انه لا ثمرة من وراء حديثك عن مجتمع احسن إلا اذا كنت تعمل على خلقه .

ان الخاطر الذي لا يعبر عنه يفقـــد قوته ويتضاءل وينزوي ، والتعبير لا يكون بالكلام بل بالعمل .

فالخطوة الثالثة ، هي ان نعمل من وقت لآخر ، وان نبرز حوافزنا الجميلة وان نحيا الحياة التي نرجوهـــا . والعمل هو طريق الفهم والتعلم فنحن لا نتعلم السباحة إلا حين ننزل الى الماء ونسبح .

وما اروعها من حكمة تلك التي كتبها « تشارلز كنغزلي » حين طلبت منه فتاة ان يكتب بيتاً من الشعر في « ألبومها » ، فقد كتب لها :

« قومي بالأعمال النبيلة ، ولا تقتصري على ان تحلمي بها طوال يومك » .

ان للأحلام مكانتها ، والإلهام جليل وعظيم ، ولكن الحياة عمل وفكر معاً ، والذين يربطون بين التفكير والعمل هم الذين يتقدمون الصفوف. انهم لا يقتصرون على مجرد الأحلام والتمني ، ولكنهم يعملون ويفعلون .

١٩

دعائم النجاح والسّعادة

•

الاقتصاد والصبر والواجب

يظن البعض ان حكمة الاقتصاد تقتصر على المال، وفاتهم انها تشمل ما هو أهم من هذا بكثير .. تشمل الوقت والجهد ، والحب والكراهية ، واللطف والعنف ، والرضا والسخط ، والواقع والخيال .

ان كلا من الجشع والتقتير تبذير ، وكما ان الرجل الذي يمعن في المساومة نشال ، كذلك المبذر لص يسرق نفسه ، والصغائر كالثقوب في قاع السفينة ، تؤدي بها الى الغرق ان لم يكن عاجلا فآجلا ، ومن الحكمة ان يبدأ الاقتصاد مبكراً ، اي قبل ان تهرم الأعصاب ويتضاءل النظر ، وتنخر الأسنان ، وتشيخ المعدة .

ما اروع المثل يقدمه لنا ربان السفينة المشرفة على الغرق : انظر اليه وهو يهيء قوارب النجاة لانقاذ الأطفال والنساء ، ثم الشيوخ فبقية المسافرين ، فضباط السفينة ، فبحارتها .

فاذا ما تبقى لوح من الخشب يتعلق به في لجة اليم الفائر كان بها ، وإلا فيهوي إلى القاع مـــع حطام مركبه ، مرتاح الضمير ، بعد ان أدّى واجبه المقدس . وليست كل الواجبات بهذه الخطورة ، بيد ان أتفه الواجبات وأقلها أهمية ، لها حرمة وقدسية تعرفها النفوس النبيلة . الواجب يدفع الأقلية من الناس إلى الفضيلة والأكثرية منهم الى الضجر والبطر .

ولو ان الناس ادركوا ان احـــداث الحياة اليومية – متاعبها وهمومها وكوارثها – جراح لا بد لها من الايام والأسابيع والشهور ، قبل ان تندمل ، لاتخذوا الصبر والاحتمال شعارهم .

الصبر فلسفة عميقة ، وهل توجد فلسفة بغير صبر ؟ والفيلسوف « بحكم فنه عبد لفضيلة الصبر ، غير ان الاستعباد في هـذه الحالة ، هو الحرية بعينها . ومن غريب الأمثال ان العبقرية والصبر لفظان مـــترادفان . ومن اقوال الفيلسوف « ويل دورانت » ان التسرع والتمدن لا يلتقيان والصبر في رأي علماء النفس فن الأمل ، وهذا يطابق المثل العربي القائل : « الصبر مفتاح الفرج » .

نصائح من ذهب

لو اننا سألنا كلا من روكفلر ، وفورد ، وكارنيجي ، وفندربلت ، وهرست ، ومورغان ، وبفربروك ، عن شعاره الذي كان له اكبر أثر في تكوين ثروته الضخمة ، لأجابك على الفور : « الوقت من ذهب » .

ولو انك وجهت السؤال نفسه الى كبار العلماء والسياسيين ، والقواد ، والمخترعين ، والمكتشفين ، وكـــل من شق طريقه في الحياة صعوداً الى ذروة النجاح ، لأجابك بلا تردد : « الوقت من ذهب » . أفلا نعجب بعد ذلك ان نرى الملايين جلوساً في المقاهي طيلة أوقات الفراغ .

أرأيت والداً او مربياً ينهي ولده او تلميذه عن الكذب ويأتي مثله : أرأيت

حاكماً يظلم رعيته ويدعو الناس الى الرحمة والعدل .. يظن الكثيرون ممن يتولون امور الغير ، ان اسداء النصائح ، والقاء العظات ، وممارسة الفروض ، كافية لتقويم ذلك الغير وتهذيب خلقه ، وان كانوا هم مثلاً للأعوجاج والفساد . ان من طبيعة الأشياء ان التابع يقتفي المتبوع وينسج على منواله ، رغم النصائح والعظات والفروض .

الخلق والاختراع

ولنعلم ان الابتكار في الأصل بمعناه الحرفي ، خلق شيء من لا شيء . على ان هذا المعنى يمكن ان يتحقق عملياً ، اذ انه لا جديد تحت الشمس . غير ان الرسام ، والمثال ، والشاعر ، والكاتب ، والمهندس المعماري ، وواضع الألحان الموسيقية وحركات الرقص الايقاعية ، والمخترع في شتى النواحي .. كل هؤلاء مبتكرون طالما لم يكونوا مقلدين او مقتبسين . ولولا لذة الابتكار ، لما آثر رجال الفن ان يتضوروا جوعاً على ان يقوموا بعمل آخر .

البساطة جمال ، وكرامة ، وعظمة ، وظاهرة تقرّبها العيون ، وترتاح لها النفوس . انظر الى الفن الحديث في العمارة ، و أثاث المنزل ، وفي السيارات ، وقطر السكك الحديدية والبواخر ، والطيارات ، تجدها خلوا من الزخارف لمعقدة . وازن بين غرفة الاستقبال الغاصة بالمقاعد المكدسة والبسط والاستار المزركشة ، واخرى تجلت فيها الرشاقة والخفة والسهولة .. ان البساطة اكثر جمالاً ، بل هي نفسها الجمال كله .

مواهبك

الموهبة هي المادة الخام ، النادرة الوجود ، الغالية الثمن ، التي تنعم بها

الطبيعة على عدد ضئيل من بني الانسان . وكما ان المادة الخام – اللؤلؤة في قاع البحر مثلاً – تحتاج الى ايـــدي العمال المهرة ، لصقلها وابراز بريقها ولمعانها ومحاسنها كـــذلك المواهب لا تزهو وتتألق . وتلقي على صاحبها وشاح النور والتجلي إلا برعايتها ، والعمل على تنميتها . الموهبة قوة كامنة ونار دفينة ، فإذا لم تسخر قبل فوات الأوان ، ماتت قوتها وخبت نارها .

ولو ان (جيمس واط) ، و (ستيفنسون) و (أديسون) تطرق اليأس الى نفوسهم ، بعـــد ان فشلت تجاربهم مئات المرات ، ورماهم الناس بالشذوذ وغرابة الأطوار – ان لم يكن بالجنون – فكفوا عن بذل الجهد والوقت والمال ، والقوا سلاحهم .. لما كان هناك آلات وسفن بخارية ، ولا سكك حديدية ، ولا ضوء كهربائي ، ولا تليفون ، ولا فوتوغراف ، ولا لاسلكي ولا بنسلـــين .. المثابر لا يتقهقر ، ومعنى هذا انه يتقدم ..

واللطف في معاملة الغير قوة وشهامة ، وهو صفة لا تكلف صاحبها شيئاً ، ولكن ثمارها لا تقوم بجهد ولا تقدر بمال . ان العبارة الرقيقة الهادئة كالبلسم الشافي ، تنزل على النفوس الثائرة فتسكن حدتها .

شهد احدهم ابراهام لنكولن رئيس الجمهورية الأميركية يرد التحية بحرارة لزنجي في الطريق ، فقال له : أهكذا تحيّي زنجياً ؟

« فأجاب لنكولن : « أتريدني ان اكون أقل تأدباً منه يا صديقي » .

السعادة في الحركة

تبارى الكتاب والحكماء منذ القـــدم في الوقوف على اسرار النجاح والمسألة لا تحتاج الى الكثير من البحث والاستقصاء ، فهي غاية في البساطة . فما دام المرء مسروراً من عمله واجداً فيه لذة ومتعة ، كان النجاح حليفه . ومهما واصل الليل بالنهار وهو على مضض ، او فاتر الشعور نحوه ، فالنتيجة التي لا بد منها هي الفشل في هذا العمل ..

وما ينطبق على العمل ، ينطبق كذلك على الهوايات والعاب التسلية وكل ما تمتد اليه يد الانسان .

السعادة كما يفهمها الانسان ، او كما يجب ان يفهمها ، شيء ينشأ عن حركة لا عن سكون ، شيء كما يقول الفرنجة ديناميكي لا استاتيكي ، ان النائم قد يجد في نومه الراحة ، ولكنه لا يجد السعادة ، وانما يجد السعادة في الجري والحركة ، واستقبال الهواء بارداً عاصفاً ، ومقاومته والتغلب عليه ، والوصول على الرغم منه الى الهدف الذي استهدف ، وهو في سبيل ذلك يلهث ، ويعرق ، حتى يحس آخر الأمر بحاجته الى النوم ، فينام سعيداً ، لا لأنه نام ، ولكنه لأنه تحرك ، وسعد بالحركة ، ثم تعب فنام ، وليس يلذ النوم لرجل يقضي صباحه ومساءه وما بينهما نائماً .

وهناك الثقافة من حيث انها مصدر للسعادة او الشقاء ..

ان الثقافة تشحذ الحس ، وتشحذ الذهن .. فتصيب كل نواحي الرجل ، ونواحي المرأة .

حتى في ابسط الأحاسيس – حاسة المذاق – تجد الرجل الذي لم يتثقف لا يعنيه فيما يأكل على الأرجح اكثر من الحلاوة او الملوحة او المخللات ، ولكن الرجل المثقف الحلاوة عنده أنواع ، والملوحة والمخللات مذاقات ، لا يكاد يمس لسانه احدها حتى يدرك ما بينه وبين غيره من فروق .

وهو يدرك من فروق الألوان ما لا يدرك الجاهل . ان الجاهل يدرك الفروق الصارخة ، الأحمر القاني ، والأصفر الفاقع ، ولا يدرك كم هناك من فروق واختلاف بين الألوان . وهو قل ان يدرك الباقة من الزهر مجتمعة ، من الزهر غير الصارخ اللون ، كما لا يدرك ما بين زهراتها من تآلف وتقابل .

ان العين التي تدرك هذا ، وتدرك غير هذا من الجميل في الحياة ، عين لا بد

ان تتثقف . ان الرجل غير المثقف ينظر الى المرأة فلا يجد منها إلا جسمها ، ولا يكاد ينظر من جسمها إلا الى حيث يجد الكثبان الهائلة . اما الرجل المثقف فلا يهمه في المرأة ما بها من كم ، ولكن ما بهـا من كيف .. ويهمه منها الحركة لا السكون . والجاهــل لا يرى من الحركات إلا حركة الجمـال .. والمتعلم المثقف يفطن من حركة المرأة الى مثــل ما تطرف بجفنها عين عصفور ، وهو يستمتع كثيراً بما تطرف به الأجفان ، فحديقة الجمال عنده اوسع كثيراً ..

وهو لا يــكاد يدور في جنب من جنباتها إلا ويجد فيه الجمال فنوناً ، كما يجده الوفاً . ويدخــل غير المثقف هذه الحديقة حديقة الجمال ، حديقة هذه الدنيا ، فتكفيه الساعة ليطوف بها ، ويخرج منها ضيق الصدر متثائباً .

عين مغلقة ، وعين مفتوحة .. عين ترى النور شعاعاً ابيض واحداً ، وعين ترى النور الأبيض فتشققه كما يشققه البلور ، اطيافاً وألواناً .

المثقف والجاهـــل

وكما تكون الحدة في البصر ، تكون في البصيرة . وكما يكون الادراك في المباني ، يكون في المعاني .

وغير المثقف له عقل قليل العمل ، بسيط الحركة . والرجل المثقف له عقل كثير العمل ، مركب الحركة . وكما ان الجسم يلذ له العيش بالحركة لا بالسكون، فكذلك العقل لذته التعقل . وحتى اللذائذ فيها ما اسموه اللذة العقلية ، فأنت تقف امام المسألة الرياضية فترى فيها لغزاً ، فتأخذ تداورها وتحاورها ساعة من الزمن .. ثم تقول قد حللتها فيتبين لك انك لم تفعل . فتعود الى المـــداورة والمحاورة ، وقد تحل آخر الأمر ما انعقد منها ، فتسر أيما سرور ، وقد يبلغ بك السرور ان تخرج كما خرج (ارشميدس) من حمامه، وقد جاءه حل مسألته وهو غاطس في مائه ، فخرج الى الطريق ثائراً عارياً يصيح في الناس : « لقد وجدته ، لقد وجدته » يريد انه وجد حلاً للمسألة التي ألقي بها اليه الملك رجاء حلها .. تلك التي جاءت منها قاعدة (ارشميدس) المعروفة .

الجاهل والعالم

لقد فاجأته فأذهلته عما هو فيه من عري ..وهي لذةعقليةلا تقدر.وما عرفت لذة جثمانية فعلت برجل مثل ما فعلت هذه اللذة العقلية بذلك العقل المثقف الكبير عقل ارشميدس ، وهي السعادة في اعلى مراتبها .

والرجل الجاهل يكفيه من القراءة قراءة الصحف ، يقرأها بسرعة ، دون توغل او تبحر . وهو يتخيَّر منها الخفيف العابر الذي لا يفسد عليه هضمه من بعد طعام . اما الرجل المثقف فيقرأ الكتب ، يطلب فيها ثمرات العقول وارث بني الانسان الذي خلفته الأجيال على مرّ القرون .. مدخراً كل هذا في عقله ، يطويه في فطنته .. فاذا نظر الى الأشياء ، او حكم على الأشياء ، نظر وحكم بعين نفسه ، وبعيون الف ممن قرأ لهم في حاضر الزمان وغابره .

ولكن العين المثقفة التي تفتحت كما وصفنا ، وبهذه السعة اتسعت ، وبهذه القدرة العظيمة من التمييز اتحفت هذه العين كي تدرك الجميل من العيش فتلذه ويلذ لها ، وتدرك القبيح كذلك فتتقزز منه وتألم له . ولم تخلق بعد العين التي ترى الجميل ولا ترى القبيح ، وتدرك الشر ولا تدرك الخير .. لهذا نجد من المثقفين من شقوا بعيشهم ، ومنهم من شقي بالعيش مع الناس . ومنهم من شقي بالعيش في نفسه. والثقافة تبعث على الأمل ، فالمثقف يأمل للناس ويتمنى لنفسه الأماني ، ويأباها الزمان عليه..فما اسرع ما يسخط على الزمان . ويعود يقول ما قال المتنبي : « ان الحياة تحلو لجاهل » ، او يقول ما قال الآخر في الحجر الجامد « وانه اسعد عيشاً من الانسان »

وفي زعمي ان هذه الثقافة التي نشقى بثقافتها ، ثقافة ناقصة .. بل علم

ناقص . انها عرفت جانباً من العيش ، وغاب عنها اشياء . هذه الأرض التي تربط من عليها قوانين طبيعية الهية ، وقوانين اصطناعية انسانية ، يجب ان يتفهمها كل مثقف ، وان يرضى بها كل مثقف حتى يبدلها ويغيرها. اما الطبيعية منها فيتفهمها حتى يوائم بينه وبينها ، او حتى يحـاورها ويغالبها حتى يكون سيدها بعد ان كانت سيدته . وهذا هو العلم الحديث الذي جاء لنا بهذه المدنية الحاضرة التي هي نتاج هذه المغالبة للطبيعة . اما الاصطناعي الانساني من هذه القوانين فله التنظيم الاجتماعي والعراك السياسي والتضحية في سبيل رفعة الإنسان على ظهر هذه الأرض .

ومن هنا كانت الحياة جهاداً .. والجهاد عند المثقف لذة .. كما هو حركة ، والحركة بعض لذائذ الحياة لا السكون ولا الدعة التي هي من لذاذات القبور .

ان المثقف ، التام التثقيف ، الذي تثقف حسه ، وتثقف عقله ، وتثقف قلبه ، وجمع الى العرفان الحكمة ، هو أسعد رجل على هذه الأرض .. سعيد في شبعه وجوعه ، سعيد في عريه واكتسائه .. سعيد ما بقي له شعاع عقله ، ودفء قلبه ، وتفتح بصيرته .



- ٢٠ -

سعادتك ! إبحث عنها

طلب السعادة

قال الدكتور : لويس بيتش :

« كلنا يرجو السعادة لنفسه ويبتغيها ، ولكن العجيب في الأمر انك اذا سألت واحـــداً عما يعنيه بقوله السعادة ، تلعثم ولم يحسن القول ولا البيان .. فاذا أصرّ على انه من العارفين فان وصفه لأسباب السعادة يبدو غامضاً غير واضح المعالم ..

كثيراً ما نسمع قول القائل : « بودي لو كانت لدي ثروة طائلة » .

فاذا سألته ماذا يفعل بهـــذه الثروة الطائلة ، وماذا تفعله الثروة له لم يكن جوابه واضحاً مفهوماً ..

وربما كانت المرأة اقدر على تحديد اسباب السعادة التي تبغيها لنفسها. انك ان سألتها عما ترجوه لنفسها وماتتمناه أجابتك انها تريد الحب والزوج القوي والاطفال

والدار الجميلة ، والاطمئنان الاقتصادي . انها الآمـــال التي تجيش في قلبها ، وتحول في ذهنها ، وتحلم بها وترجو الله ان تتحقق يوماً من الأيام .

اما الرجال فأكثر طموحاً وأشد طمعاً ، وهم يعلقون أهمية كبرى على المال والقوة والجاه والسلطان ، فاذا ما تحققت آمالهم ونالوا ما ينشدون فهل نراهم قد نعموا بالسعادة ؟

ولنتناول المال الذي تحوم حوله خواطر الناس جميعاً . هل يستطيع احد من الناس ان يقول ان الأغنياء سعداء ؟

والواقع الذي لا نستطيع انكاره ان الحاجة إلى المال تخلق الشقاء ، ولكن كثرة المــال من جهة اخرى تدفع المرء الى المغامره والاكثار من اللهو والطرب والسهرات الماجنة والى الإدمان في الشراب ، والى الخيانات الزوجية ، والمحافظة على الثروة تبعث على القلق ، فالمال الكثير ليس في الواقع من الامور التي يعتمد عليها كثيراً في خلق السعادة .

اما ان تحب انساناً ويبادلك الحب ... فلا ريب ان مثل هذا الحب تجربة رائعة تسعد الانسان سعادة حقيقية ، ولكن هل يدوم الحب ؟ وما القول في آلامـــه ومتاعبه ، وما يتخلله من خيبة أمل او فشل او صـــدمات قوية عنيفة ؟

اما حب الزوج او الزوجة وما يتخلله من متع ومسرات فان حالة الزواج تخلق كثيراً من ضروب الاحتكاك ، وتحمّل الانسان العديد من التبعات التي تلبد سماء هذه السعادة .

الحب والسعادة

والحب يسلبك بعض حريتك ، ويضيق مجال نشاطك الاجتماعي ، فليحذر الانسان ان يخنقه الحب ويعوقه عن اداء الواجب ، ولهذا فان عليه ان يحتفظ

بأصدقائه ، وان يمنح نفسه الوقت الكافي للاسترخاء ، فالحب وان كان تجربة لذيذة إلا انه اذا لم يعالج بحكمة أصبح مر المـــذاق .. على ان الحب خالق السعادة والهناء ، حقيق بكل ما يبذل في سبيل الظفر به والمحافظة عليه .

اما الضمان الاقتصادي فيمنـــح المرء الشعور بالراحة . هذا لا ريب فيه ، وحسب المرء ان يحس انه لن يقاسي آلام الجوع او الكفاف ، وانه يحيا حياة مستقرة تكاد تكون احسن من حيـــاة الكثيرين ، وانه لن يعتمد على اولاده او على منح الحكومة . مثل هذا الاحساس يكسب الانسان الثقة بنفسه والاطمئنان على حياته . انه فرع من السعادة ، وليس السعـــادة كلها . والضمان الاقتصادي أهم عند المرأة منه عند الرجـل فانه يمنحها الفرصة لاداء مهمتها في الحياة كزوجة وام وربة دار ، وهي متعددة الجوانب وعسيرة على المرأة اذ لم تكن مقرونة بالضمان الاقتصادي .

والزوج الصالح في نظر المرأة ليس أيّ رجل فهي لا تقدر الرجل الذي يعتمد على زوجته في كل شيء ، والذي لا يحسب له حساب في الإرشاد وفي الحماية . ان المرأة تحب ان يكون زوجها رجـــلا قوي الشخصية ، عطوفاً عظيم الأفق في فهمه للأمور ، ناصحاً أميناً وصديقاً حميماً ومحباً مغرماً مخلصاً وفياً . رجـــل تستطيـــع ان تعتمد عليه حقاً .

اما الذكور فيرون السعادة في المال والقوة والسلطان ، انهم بالتأكيد يقدرون الحب قدره ، ويفخرون بزوجاتهم واولادهم ، ولكنهم أشد طموحاً وأبعـــد آمالاً من ذلك . انهم يؤمنون إيماناً عميقاً ان المال يكسبهم السلطان على الآخرين في مختلف الأعمال وغيرها من ضروب الصلات الأخرى ، فاذا ظفروا بالمال فانهم يعتقدون انهم نالوا السعادة المبتغاة .

بيد ان الواقع الملموس الذي يستطيـــع الانسان ان يراه رأي العين في اكثر الحالات .. ان هذه الأهداف التي يرنو اليها الرجال ليست دائمة ، والسعادة التي يجنيها الانسان من ورائها قصيرة العمر ، وهي في كثير من الأحيـــان تنتهي بآلام وعزلة عن الناس .

على ان الذي تجدر ملاحظته ان كل الأهداف التي تعتبر من اسباب السعادة ، فيما عدا الحب ، هي اهداف مادية ، وحتى الحب هو في أغلب حالاته شديد الأنانية . وسواء أكان الحب للزوج او الزوجة او الاباء او الاطفال او اي شيء من هذا القبيل ، واختلط هذا الحب بطبيعة الملكية ، فأنه يضيق مجال العاطفة حتى يصبح ذا طبيعة طاغية عنيفة عظيمة الخوف من فقدانه ، كما يغير طبائع الانسان فيخلق فيه الريب والشك وبذلك يقضي على الغاية منه .

القناعـــة كنز

وفي هذا العصر الذي أصبحت فيه النواحي العاطفيـــة ، غير مستقرة .. تروق المـــادية في نظر الناس حتى اصبح الناس يتطلعون الى كل ما تملكه ايديهم .. حتى ما لا يرجونه لأنفسهم .

اذن ماذا يفعـــل الانسان للظفر بهدف او اكـــثر يؤمن بأنه يفضي به الى السعادة ؟

على المرء ان لا يرسل نظره الى اعلى كثيراً ولا اسفل كثيراً ، بحيث لا تشمل نظرته اهدافاً كثيرة . وليكن الحب اول اهدافه دون ان يشرك فيه ستة من الأولاد ، ومنزلا انيقاً رفيع البنيان ، ومائـة الف جنيه . ابحث عن الحب الصحيح ومن المرجـــح ان كل رغباتك ستتحقق عن طريقه بحالة سليمة طبيعية .

وقد نسمع فتاة تتحدث عن احلامها فتقول : « اني اريد زوجاً طويل القامة وسيم الطلعة قوي البنيان ، مهذباً كيّساً ، له مرتب كبير حتى استطيع ان استخدم بعض الخدم ولا اقلق بسبب المال وان يكون زوجي ممن يحبون البقاء في الدار ولا يحبون الخروج من المنزل الى المنتديات والمشارب لمجالسة اصدقائه وتركي وحيدة مسكينة في الدار . واريد ان اعقب ثلاثة بنين وبنات ، وان تكون لنا سيارة انيقة » .

وطبعاً لا تتحدث فتاة واحدة بكل هذه الآمال، ولكنها آمالى تجول في قلوب الفتيات بنوع عام . ومثل هذه الآمال اذا لم تتحقق كلها او بعضها فانها تسبب شقاء النفس والسخط والتذمر .

وليس هناك من شك في ان نظرة الانسان الى السعادة تتغير كلما تقدمنا في السن فليست آمال من هو في الحلقة الثانية من عمره كآمال من تجاوزها الى الحلقة الثالثة او آمال من عضّ على ناجذيه وتخطى عهد الشباب . على ان ما نرضاه كحالة سعيدة يتوقف الى حد ما على ما يمنحنا الحظ في مختلف سني حياتنا .

ان الشاب يتطلع ان تكون له دار في العاصمة ومثلها في احد المصايف ، وان تكون لديه اكثر من سيارة ، وان يجري المال في يديه انهاراً . بيد انه حين تكبر به السن يحس بالقناعة والرضى بالقليل من هذه الامور ، ويرجو اكثر ما يرجوه ان ينعم الله عليه بالصحة .

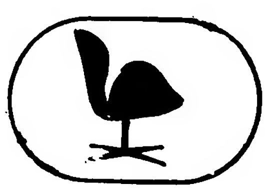
حين تبحث عن السعادة لا تطلب الكثير ، وليكن ذهنك صافياً ثم فكر في اولئك الذين ظفروا بما كنت تريده ، واسأل نفسك هل هم سعداء حقاً ؟ ولا تخدع نفسك فتقول انك غيرهم وانك شاذ عن القاعدة العامة . فهذا هراء وكلام لا يمكن الوثوق به . فقد ترى اغلب اصدقائك مثلاً اشقياء في حياتهم الزوجية فتقول : « ولكني مختلف عنهم » فمن اين لك هـذا القول وما الذي يجعلك تحسب انك وشريكك في الحياة الزوجية ستكونان مختلفين بعد ان ترتبطا معا برباط الزوجية ؟ وما يكون مصيرك اذا لم يتحقق قولك ويصدق ؟

اني اكرّر عليك القول : فكر بهدوء دون ان تخدع نفسك وتعللها بآمال لست واثقاً من تحقيقها . واستخدم تفكيرك السليم في البحث عن الأسباب التي توقن انها ستنيلك السعادة ، ثم اعلم بعد ذلك ان السعادة شيء غامض ، وان لها وجوهاً عديدة ، وان من العسير اقتناصها او فهمها ، وانها لا تدوم طويلاً . انك اذا ايقنت بهذا ووضعته نصب عينيك فلن تحس بخيبة أمل مريرة .

لقـــد دلت الأبحاث الطويلة ان من أهم الامور التي تجلب للانسان الرضا العميق والفرحة الصافية التي لا تشوبها شائبة ، ان تعمل عمـلاً كريماً مع بعض الناس ، فتجعله بعملك سعيداً .

يجب ان تؤدي عملا من الأعمال الانسانية الاجتماعية ؛ اذهب الى هذا المقعد وانقله الى نزهـــة جميلة .. اذهب الى المستشفيات ، واجلس الى جانب بعض المرضى واقرأ لمن لا يستطيع القراءة . أعط الأطفال لعباً صغيرة والكبار بعض الحلوى . ولا تنس مثل هؤلاء واولئك في ايام الأعياد فأنك بذلك تدخـــل السرور والسعادة الى نفوسهم .

ان ثمه كثيراً من اعمال الخير تستطيع ان تؤديها ، تنعم بها على البائسين بنعمة الجذل والغبطة ،وتحس في اعماقك بالرضا والسعادة والهناء تختلجان في قلبك حين ترى تلك الوجوه قـــد أشرقت بالسرور والسعادة .. حين تقع انظارهم عليك .



- ٢١ -

قواعد عملية للنجاح في الحياة

●

الفشـــل

قالت الكاتبة الناجحة « دروثي براند » : إن هناك قواعد عملية للنجاح في الحياة ، ان سرت عليهـــا وصلت الى شاطىء النجاح بأمان ، واليك تفصيلاً لهذه القواعد :

هب ان شاباً كان على موعد هام يتصل بأمر حيوي يتوقف عليه مستقبله .. ولكنه بدلاً من ان يـذهب الى المكان المتفق عليه في الموعد المحدد ، ذهب الى مكان آخر لزيارة صديق او قضاء حاجة اخرى .. ففاتته الفرصة وخسر ما كان ينتظره من نفع هو في أشد الحاجـــة اليه ، فبماذا نصف تصرف هذا الشاب ؟ .

اننا جميعاً – بالتأكيد – لن نرى فيه سوى حماقة وجنون .. ومع ذلك فان كثيرين يفعلون مثله تماماً . فعندما تسنح الفرص ، ويحين موعـــد التقدم نحو الأهداف التي يرجون بلوغها والغايات والأماني التى يسعون لتحقيقها ، يحيدون

عن الطريق الواضح المستقيم الموصل الى أهدافهم ويسلكون طرقاً اخرى ملتوية الغايات ، فيخفقون حيث كان ينبغي ان ينجحوا ، بعد ان يبذلوا من الجهد والوقت ما كان يكفي لتحقيق الهدف المنشود .

ولكن لماذا يعمل بعض الناس جاهدين لكي يفشلوا ، في حين ان نجاحهم قد لا يتطلب إلا اقل ما بذلوه من جهد ووقت ؟ .

الجواب عن ذلك ، ان بين الغرائز التي تتحكم في البشر غريزة تدفعنا الى الكسل فالفشل ، فكلما كان على المرء ان يسير عشر خطوات الى الأمام مثلاً ، أحسّ بقوة خفية تدفعه الى الوراء عشرين خطوة ، وتملي عليه عشرات الأعذار لتبرير هذا التقهقر العجيب .

وقد يبدو الحديث عن هذه الغريزة امراً جديداً عند الكثيرين ، فعلماء النفس قلما يتحدثون عنها .. مع انها من أخطر الغرائز واكبرها أثراً في حياة اكثر الناس .. ولو ان كل انسان فطن اليها قبل ان يجرفه تيارها ، لاستطاع مقاومتها وتحويل الطاقة التي ينفقها فيما يضره ولا ينفعه الى اغراض اخرى تنفعه ولا تضره .

ضحايا الفشل

قلما يفطن المرء في شبابه الى اعراض هذه الغريزة ووساوسها .. ذلك أنه يعزو قلة اقباله على العمل الى انه لا يتفق مع ميوله ورغباته ، او الى انه التحق بالوظيفة التي يشغلها ، مضطراً لكي يعيش .. دون ان يدرك ان العلة الحقيقية تكمن في وقوعه تحت تأثير هذه الغريزة التي تغشي بصيرته ، فلا يعود يرى الآفاق البعيدة التي كان يحلم بها والتي يسعى اليها اخوانه الناجحون في عزم وثبات . فاذا استطاع ان يحصل على دخل متواضع وقدر من الاحترام والتقدير من زملائه ورؤسائه ، حسب انه ظفر من الدنيا بنصيب الأسد ، وقنع بما هو فيه ،

قاصراً جهوده على ما تتطلبه منه وظيفتهمن جهد يسير ، لا يتفق والقوى الهائلة التي تظل مطمورة في اعماق نفسه لا تجد من يزيح عنها الغلالة الرقيقة التي تخفيها وتحول دون الافادة منها .

ان ضحايا غريزة الفشل لا يقدرون قيمة الوقت ويقضون ايامهم عادة كما لو كانوا سيعمرون آلاف السنين ، فكم من الناس ينامون من ساعتين الى ست ساعات كل يوم اكثر مما تتطلبه اجسامهم كي يكونوا اصحاء . وكم منهم ينفقون وقتهم الذهبي بغير حساب في المقاهي والملاهي وما اليها ، مخادعين أنفسهم بأن هذه الحياة التافهة العقيم هي السعادة والنعيم .

اننا جميعاً نشغل جانباً من اوقاتنا في الاسترسال في الأحلام .. فنحن نحلم في الصحو وإبان النوم بوظائف واعمال ومراكز نحسّ فيها بأننا اسعد مما نحن في حياتنا الواقعية . والفاشل يجد متسعاً من الوقت للاسترسال في هذه الأحلام ، فتتراءى له حياته في صورة مثالية لا عيب فيها ولا يستطيع احد ان ينتقده عليها . هذا الى انه يجد في كسله وخموله تخلصاً من متاعب الكفاح ومنغصات العمل وما يتبع النجاح دائماً من مضايقات .

ثم ان الرجل الناجح يضيق وقته عن مجاملة الناس ، بعكس الفاشل فأنه يجد فسحة من الوقت لمجاملتهم ومؤانستهم واجتذابهم اليه . على ان مما لا شك فيه ان لذة النجاح بعد الجهد الكبير ، تفوق لذة الكسل بكثير ، بل يمكن القول بأن المتعة التي يحسها – في لحظة – من يصل الى اي هدف له – مهما تكن قيمته – تفوق المتعة التي يحسها الكسلان الفاشل طوال حياته ، اذا فرضنا ان استمتاع الكسلان بكسله سيستمر ولا ينقلب بعد حين الى همّ وتنغيص .

مقاومة الفشل

لقد استطاع الأخصائيون بفضل التنويم المغناطيسي ان يجعلوا انساناً ضعيفاً

يحمل شيئاً ثقيلاً كبيراً ، وان يجعلوا فتاة خجولاً تقوم بمغامرة جريئة ، وغير ذلك من الأعمال التي لم يألفها بعض الناس، ويعللون ذلـك بأن الإيحاء في اثناء التنويم يطهّـر الذاكرة من سقطات الماضي ومما علق بها من افكار خاطئة ، وفي الوقت نفسه يطلق القوى والملكات الكامنة من اغلالها ، فتؤدي الى هذه النتائج المثيرة للدهشة .

والمعروف اننا نتلقى دروس الحياة عن طريق التجربـة ، فاذا اخفقنا في اداء عمـــل ما ، حاولنا ان نؤديه بطريقة ثانية وثالثة حتى ننجح في ادائه .. ولكن ذكرى الاخفاق في هذه المحاولات وما يتبعها من سخرية الناس او تأنيب او خسارة او جرح في الكرامة ، تظل كامنة في عقلنا الباطن وتحول دون القيام بمحاولات مماثلة .

الى هذه الحقيقة ، يرجع الكثير من ترددنا وعدم اقدامنا في اللحظات التي يكون فيها العمل الإيجابي السريع في صالحنا .. اذ نحس بشيء يشلّ حركتنا ويمنعنا من المبادرة بالعمل ،واحياناً نبدأ مشروعاً ونأخذ في تنفيذه حتى نصل الى المنطقة التي سبق ان خاننا الحظ عندها ، واذا بالعقل الباطن يوحي بالتراجع والتقهقر . وكثيراً ما ننساق في تيار هذا الوحي ، فتفوتنا فرص طيبة للنجاح قد لا تسنح في ظروف اخرى .

انتفع بخيالـــك

ولكي نتحرر من هذا الذي يوحي به العقل الباطن الينا ، فيسبب فشلنا .. ينبغي ان نروّض انفسنا على ان نقبل على اي عمـــل نؤديه ونحن على يقين من النجاح ، وكما لو كان من المستحيل ان نفشل فيه . وكلنا قد خبر او شاهـــد ما نسميه « شجاعة اليأس » . وهي شجاعة تتبدى فجأة عندما يتعرض المرء لخطر محقق كاد يفقد الأمل في النجاة منه .

انها شجاعة الرجـــل الذي لا يمكن ان يخفق والذي يعمل كما لو كان من المستحيل ان يفشل . ولا يقترن اليأس وحده بهذه الشجاعـــة النادرة وبروح الاقدام التي تسخر من امكانيات الفشل ، فالخيال يمكن ان يؤدي الى نفس النتيجة . فلو اننا حلقنا بخيالنا فوق جميع المخاوف والشكوك – قبل ان نبدأ عمـلاً نخشاه – وتصورنا ما ننتظر من ورائه من كسب ونجاح حقيقة واقعة ، ورحنا نردد بيننا وبين انفسنا : « هيا الى العمل .. ان النجاح مضمون والفشل مستحيل » لأحسسنا بقوة داخلية تدفعنا الى العمـــل بهمة لا تعرف اليأس او الكلل او الملل ولا تعرف المتاعب والعقبات . على انه ينبغي لمن تنقصهم قوة الخيال البعيد ، ولمن زعزع اخفاقهم في المـــاضي ثقتهم بنفوسهم ، ان يرجعوا بذاكرتهم الى اي نجاح صادفوه في حياتهم ، وان يتصوروا حالتهم الذهنية في اللحظات السابقة لذلـــك النجاح من الشعور بالثقة والاستقرار ، ثم يمضوا في تصورها بعض الوقت فيحسوا بقوة داخلية ، تدفعهم الى العمـــل وتحيي في نفوسهم الأمل .

ومـــا تجب مراعاته ألا ينصرف الانسان بعدئذ عن العمل عندما يشعر بالتعب والفتور ، فكثيراً ما يكون هذا الشعور وهماً صورته غريزة الفشل .. فاذا لم يعبأ القائم بالعمل ومضى في عمله ، فسرعان ما يزايله التعب والفتور . وعلى الذين لا يستطيعون بطبيعتهم ان يستمروا في العمل اكثر من فترات قصار أن يستغلوا فترات راحتهم .. في ممارسة هواية مفيدة كالنحت او التصوير او الموسيقى .. فقد اثبتت التجارب انه عـلاوة على الفائدة التي تعود عليهم من ممارسة تلـك الهوايات ، فانهم غالباً ما يكتسبون بهـذه الوسيلة القدرة على الاستمرار في عملهم الأصلي .

اعرف طبيباً كان عملاؤه قد انفضوا من حوله لأنه كان سريع الملل من العمل ، ثم خطر له ان ينفق اوقات انصرافه عن العمل في النحت ، فما لبث ان أجاده وبرع فيه .. ومن هنا تجددت ثقته بنفسه ، واشتد اقباله على عمله في

عيادته ، فاشتد تبعاً لذلك اقبال عملائه عليها من جديد .

واعرف رجل اعمال كان قد افلس واغلق متجره نتيجة لضعف ثقته في قدرته على الاستمرار في العمل . ومع انه كان قد جاوز الخمسين فانه اخذ يتعلم الرسم ، وما لبث ان اتقنه وانتج لوحات رائعة افردت لها غرفة خاصة في متحف الفن بشيكاغو . ثم اذا بنجاحه في هذه الهواية يقوي عزيمته وثقته بنفسه ، فيعود الى تجارته الأولى وينجح فيها.

واحب ان يكون مفهوماً ان اقتناع الغير بنجاحنا او قدرتنا على العمل لن يجدينا شيئاً ، وان ما ينفعنا هو ان نقنع انفسنا اولاً وقبل كل شيء بهذه القدرة وذلك النجاح .

ان كثيرين يتصورون انه لن يفيد من الخيال إلا المشتغلون بالفنون .. اما رجال الأعمال ، فان الخيال عندهم لا يعني سوى منح عقولهم اجازة تحلق فيها بعيداً عن الجو الذين يعملون فيه . ولكن الواقع ان ملكة الخيال يمكن — بل ينبغي — ان يفيد منها كل انسان . فهي تمكننا من ان نرى انفسنا على حقيقتها إذ تخلصنا من الأحاسيس والعقائد التي تولد فينا الأنانية وترينا انفسنا في صورة زائفة مموهة ، ثم ان الخيال — الى ذلك — يجسم الأهداف التي نرمي اليها ، فتحفزنا متعة رؤيتها مجسمة في اذهاننا ، الى مواصلة السعي في سبيل بلوغها .

سبيل النجاح

وقصارى القول اننا لكي ننجح في الحياة ، ينبغي ان نتحكم في غرائزنا ونسيطر على نفوسنا ونعرف متى وكيف نلجمها ونكبح جماحها .

وفيما يلي ثمانية تمرينات ، لو قمت بها باخلاص وانتظام ، زايلك الضعف والخمول واستطعت ان توجه نفسك الوجهة الصحيحة كلما اقدمت على عمل او

بدأت في مشروع . وهذه التمرينات لن تقترن بنفس الفائـــدة في جميع الحالات ، ولكن قبل ان تهمل احدها .. تأكد انـــك لم تفعل ذلك لأن القيام بها يتطلب منك مجهوداً او انه يحرمك من متعة يعز عليك ان تستغني عنها .

١ – اجعل لنفسك ساعة في كل يوم تمسك فيها لسانك عن الحديث مع مخاطبك ، إلا مجيباً في إيجاز عن الأسئلة التي قد توجه اليك ، مع الحرص على ان يكون مظهرك عادياً بقـــدر المستطاع . ان هـذا التمرين الذي يبدو بسيطاً ، سيكسبك الشعور بالسيطرة على نفسك ، وسترى كلما استـــأنفت الحـــديث العادي بعد تلك الساعة ، انك اقدر على انتقاء الألفاظ ذات المعنى الواضح المحدد .

٢ – خصّص من وقتك نصف ساعـــة في اليوم ، لكي تركز تفكيرك في موضوع واحد . ولا بأس بأن تبدأ هذا التمرين بجعله لمدة خمس دقائق فقط ، ثم تطيل هذه المدة تدريجياً . ويحسن ان تبدأ التمرين بالتفكير في شيء مجسم كزهرة او نحوها .. فتأخذ مثلاً فيوصف أثرها في حواسك ، ثم تسائل نفسك كيف تنمو وأين غرست والى أي شيء ترمز وما نفعها ؟ ثم انتقـــل في الأيام التالية الى التفكير في مشكلة مجسمة ، فالى التفكير في المشكلات المعنوية ، على ان يكون تفكيرك في اول الأول في موضوعات تهمك . فاذا تدرّب ذهنك على ذلك ، فلا بأس بتركيز تفكيرك في اي موضوع . ضع مثلاً اصبعك جزافاً على أي سطر في صحيفة او مجلة او كتاب ، ثم اتخذ الفكرة الأولى التي يوحي بها هذا السطر موضوعاً لتجربتك .

ولكي يســـهل عليك اداء هذا التمرين ، يحسن بك ان تستعين عند ممارسته بقلم وورقة ، لتخط عليها علامة كلما لاحظت ان تفكيرك قـــد اتجه نحو شيء آخر . وسترى ان هـــذه العلامات كثيرة في الأيام الأولى ، ولكنها تأخذ في التناقص يوماً بعد يوم ، حتى تزول في الغالب بعد شهر .

والأفضل ان تقوم بهذا التمرين وانت وحـــدك اول الأمر ، على ان تقوم به بعـــد ذلك في اي وقت . وهو اكبر نفعاً لمن يحتاج عملهم الى التجديد والابتكار .

٣ – اكتب تحريراً لأحد اصدقائك ، شرط ان يخلو من كلمة « انا » ومن « ياء المتكلم » و « تاء الفاعل » اي من كل ما يتصل بشخصك ، واحرص على ألا يلاحظ المرسل اليه شيئاً غريباً في الخطاب ، وإلا فشلت في هذا التمرين . ولكي تكتب تحريراً جيداً من هذا النوع ، ينبغي ان تحول عقلك عن التفكير في نفسك . فاذا ما انتهيت من كتابة التحرير ، وعدت الى نفسك ، احسست انك اكثر نشاطاً وحيوية .

٤ – اكتب تحريراً آخر تتحدث فيه عن نجاحـــك ومواهبك وميولك بلهجة رزينة هادئة ، على الا تقول الا الحق ، والحق وحـــده بغير مبالغة . وسترى ان هذا التمرين يحولك عن التفكير في النجاح ، كما انه يذكرك بكثير من مواهبك التي تركتها دون استغلال .

٥ – استدرج احد معارفك الجدد – من حين الى حين – الى ان يتحدث عن نفسه ، دون ان يلحظ ذلك ، ثم اصغ بكل جوارحك لما يقول ، دون ان تتكلم . وسترى ان شعورك بالزهو والغرور سوف يزايلك حين تعرف انكما تشتركان في كثير من المزايا والفضائل التي كنت تتصورها وقفاً عليك .

٦ – ضـــع برنامجاً لتمضية ساعتين بالنهار ، ثم نفذه بكل دقة .. منتقلاً من كل جزء منه الى الجزء التالي في الموعـــد المحدد لذلك تماماً . فاذا حققت نجاحاً في هذا التمرين ، فعليك ان تزيد في مدته ساعة بعد ساعة كل بضعة اشهر ، حتى تتدرب على تنفيذ برنامج موضوع لثماني ساعات في اليوم دون ان تخل بالنظام الموضوع ، وبذلك تستطيع الافادة من وقتك على احسن الوجوه . وليس اتباع نظام جامـــد لا يتغيّر بالأمر المستطاع دواماً ولا بالأمر المرغوب

فيه ، ولكن اياماً قلائل تقضيها حسب جدول موضوع من حين الى آخر ، سوف تنعش حاسة تقدير الوقت عند المرء ، وتريه ما ينبغي ان يتوقعه من نفسه من اعمال اذا لم يضع وقته سدى .

٧ – هذا التمرين اصعب التمرينات اداء ، ولكنه كذلك اكبرها أثراً ، وفيه تعويد للنفس على تحمل المشاق ومسايرة الظروف والصمود امام المفاجآت . وخلاصته ان تعد اثنتي عشرة بطاقة ، ثم تدوّن على كل منها اقتراحاً بإداء عمل جديد لم تألفه ، على ان يقتضي منك مشقة وجهداً جسمياً او نفسياً .. كأن تقضي ١٢ ساعة بغير طعام ، او تسير عشرين كيلو متراً على قدميك ، او تتناول وجبة الغداء في مطعم متواضع لم يسبق ان دخلته او مع الفلاحين في قريتك ، او تقضي ليلة بأكملها ساهراً وانت تؤدي عملاً ذهنياً او بدنياً ، مقاوماً كل اغراء للنوم ولو لبضع دقائق . ثم ضع هذه البطاقات في ظروف واحفظها في مكتبك . وبين حين وحين ، او في يوم معين من الشهر التقط احد هذه الظروف كيفما اتفق ، ونفذ الاقتراح الذي تتضمنه البطاقة الموضوعة فيه . وقد تكون الدنيا ممطرة والجو عاصفاً ، ولكن البطاقة تحتم عليك المشي مسافة طويلة ، واذن يجب ان تمشي إلا اذا كانت ظروفك الصحية تحول دون ذلك . فكلما كنت دكتاتوراً مع نفسك ، وحرمت الاستثناءات في حكومتك الخاصة ، كان ذلك خيراً لبقاء شخصيتك وتقوية ارادتك .

٨ – خصّص يوماً كل شهر او شهرين تقول فيه « نعم » لكل من يطلب منك خدمة في وسعك ان تؤديها . ان هذا التمرين يعوّدك على خدمة الناس وتذوق المتعة التي تقترن بالقيام بها . هذا الى ما عسى ان يعود عليك من الفائدة الشخصية من وراء اجابة هذه المطالب .

وهذه التمرينات علاوة على فائدتها المحققة ، فيها متعة وتسلية . ولكن

لا تنس بعد ان تتعودها وتصبح ممارستها سهلة عليك، انها وسائل وليست غايات..
كن قاسياً على نفسك ولكن كن صديقاً لها في نفس الوقت. حدِّد لها هدفاً واحفزها كي تصل اليه، على ان تكافئها ببعض الكماليات اذا هي سارت قدماً في هـذا الطريق. اننا احياناً نغفر لأنفسنا تراخيها في الوقت الذي كان يجب فيه ان تعمل ثم نطالبها بما لا طاقة لها به ونقسو عليها اذا لم تتحقق مطالبنا. وهذه خطة خاطئة، نتيجتها العناد والتحدي والعصيان والتقهقر نحو الفشل..
حرر نفسك من اغلال غريزة الفشل، واعمل دائماً كما لو كان من المستحيل ان تفشل، يصادفك النجاح في كل ما تعمل.



- ٢٢ -

نصائح الصّباح

•

قرأت ايها القارىء الفصل الماضي .. واطلعت على رأي الكاتبة في السعادة والطرق التي تصل بك اليها ..

اقرأ الآن هذا الفصل الصغير لكاتب اميركي يقدّم فيه رأيه واختباراته في السعادة ..

١ – حينما تستيقظ من النوم كل صباح قل لنفسك : « سأقضي اليوم سعيداً » . ان السعادة تنبع من اعماق النفس ، والمرء يغدو سعيداً بالقدر الذي يعتزم به ان يجعل نفسه راضياً بكل ما يكون .

٢ – حاول دائماً ان تكيّف نفسك وفقاً لما هو كائن ، بدلاً من ان تحاول تكييف ما يحيط بك وفقاً لما تريد ان يكون . فاذا اكفهر الجو مثلاً على غير ما كنت تتوقع فقل لنفسك : « حسناً . ارجو ان يكون القدر قد اراد لي الخير من وراء ذلك رغم ما اعترض سبيلي من العقبات » .

٣ – لا تغفل العناية بصحتك . اعط بدنك حقه من الرياضة والتغذية ، وحذار ان تسيء استعماله بل احتفظ به آلة جيدة صالحة ، تؤدي ما يطلب منها

بسرعة واتقان .

٤ – حاول دائماً ان تشحذ عقلك بأن تدرس شيئاً نافعاً كلما استطعت ذلك ، وبأن تقرأ موضوعات يحتاج فهمها واستيعابها الى تركيز الفكر .

٥ – قبل ان تخرج الى العمل كل يوم ، اعتزم ان تقدم لشخص ما صنيعاً محموداً دون ان تنبئه بأمره ، وان تقوم بإداء مهمة واجبة كنت تحب ان ترجىء إداءها .

٦ – حاول ان تكون دائماً أنيقاً ، وان يكون لباسك متسقاً مع سنك ومركزك الاجتماعي ، واعتزم – مهما كانت ميولك – ان تحترم جميع من تلقاهم ، وان تكون رقيقاً في حديثك معهم . ولا تنتقد احداً منهم . كما لا تحاول ان تتدخل في شؤونهم الخاصة .

٧ – عش ليومك الذي انت فيه ، ولا تحاول ان تعالج مشاكل حياتك كلها في يوم واحد . انك تستطيع ان تفعل اشياء كثيرة خلال اليوم ، اذا ركزت تفكيرك عليها ، ولم توزع فكرك في احداث الماضي او المستقبل .

٨ – ضع لنفسك كل يوم برنامجاً معيّناً . سجل فيه ما ينبغي ان تفعله في كل ساعة من ساعات النهار . وسترى انك قد لا تتبع هذا البرنامج بدقة ولكنك ستفيد منه كثيراً .

٩ – خصّص لنفسك في كل يوم نصف ساعة ، تخلو فيها الى نفسك ، وتقضيها في هدوء واسترخاء ، متأملاً في قدرة الله ومعدداً نعمه التي اسبغها عليك .. فهذه الفترات تجلو بصيرتك وتزيدك فهماً لحقائق الحياة .

١٠ – ثق بأن الله معك ، ومن كان الله معه فلن يخاف من اي مخلوق ، ولا تخف من ان تستمتع بكل ما هو جميل ، ولا من ان تحب كل ما هو جدير بالحب .

- ٢٣ -

تمتّع بحياتك

●

وما دمنا في حديث السعادة والنجاح فلنقدم لك أيها القارىء العزيز رأياً ثالثاً في هذا الباب الواسع للدكتور « جون شندلر » : الذي يقول :

يستطيع الانسان ان يتغلب على الأزمات النفسية ، والاضطرابات العاطفية لو انه وضع لنفسه خطة محددة سليمة لمعالجة النواحي التي تسبب له الكثير من الآلام ، فلنحاول ان نفحص المبادىء التي تجنب المرء هذه الآلام .

١ – البساطة في الحياة

تجاوب مع الأشياء البسيطة المحيطة بك ولا تتعود ان تطلب ما ليس عادياً لمتعتك ، فالحياة جميلة اذا تعلمت ان تستمتع بما فيها من جمال ، وان من واجبنا نحن البشر ان نستمتع حق الاستمتاع بكل ما وهبته الحياة لنا ، وبمثل هذه الوسيلة نستطيع ان نشعر بالسعادة .

٢ – لا تتوقـع المتاعب

من الناس من يتوقع المتاعب قبل وقوعها فهو أبداً يظن ان هناك خطأ وقع منه ، او مرضاً او نائبة ستحل به .. فتراه يستيقظ من النوم ويسائل نفسه :
« في اي جزء من جسمي اصابني المرض اليوم ؟ » ثم يتحسس نفسه ، ولو ان كل انسان فعل ذلك لأحس بتعب او ألم ، وان من يتحسس نفسه لا بد ان يجد ألماً في موضع ما ، وبتركيز ذهنه في هـــذا الألم يتضخم وينمو احساسه بالمرض . ولشد ما يدهش الطبيب حين يفحصه فلا يجد به شيئاً .. فاياك ان تفكر بالمرض او تخاف من المتاعب .

٣ – حب عملك

كل انسان يسعى الى رزقه ويتخذ لنفسه عملاً ، جـــدير به ان يحب عمله وان يتجنب المتاعب التي تنشأ من بغضه لعمله . ان المرء الذي يمقت عمله يظل ضجراً متأففاً متألماً وهو يؤدي هذا العمل البغيض الى نفسه . وقـــد ثبت بالتجارب ان مثل هذه الانسان لا يحب عمله الثاني او الثالث ، وبمعنى آخر هو لا يحب العمل ، كائناً ما يكون ، وهو في غضون تنقله من عمل الى آخر يعاني أزمات مالية .. وقد يقضي فترات طويلة عاطلاً عن العمل .

ولو ان المرء أحب العمل الذي يقوم به ، واستمتع بما ينتجه وما يفيد به المجتمع ، لأحس بالسرور والانشراح من نفسه ومن عمله وممن يشتغل عنده.

٤ – لتكن لك هواية

مما يزيد من متعة الانسان بالحياة ان يكون له ، الى جانب عمله ، هواية طيبة

فالتجارب الجديدة تحدث أثراً نفسياً جميلاً ، والهواية تخلق التجارب الجديدة وتخلق المجهود المثمر ، وكلاهمـــا متعة لـــلإنسان ، ومن لا هواية له تمر به اوقات طويـــلة مملة ، يضطر في غضونها الى التفكير في متاعبه . وهناك هوايات كثيرة لا داعي لتعدادها ، والأفضـــل للمرء ان تكون هوايته مجدية مثمرة .

٥ – كن قنوعاً

من الناس من لا يرضى عن شيء حوله ، فهو ساخط على الجو .. ساخط على كل شيء يحيـــط به .. ، كأنمـــا هو يحيا في جحيم . والمأساة ان هذا السخط لا جدوى منه وعدم الرضى لا مبرر له .

ولا ريب ان الرضى اسهل من السخط وأيسر ، وأصح للجسم وأمتع للنفس والروح ، والبحث عن العناصر التي ترضي أيسر من تلمس العناصر التي تسخط الإنسان ولا ترضيه ، وانه لخير للانسان ان يقنع بما يستطيع الحصول عليه ، ويترك التطلع الى ما يتعذر الحصول عليه ، وليس معنى هذا ان لا يكون الإنسان طموحاً الى الرقي المعقول .

٦ – حب الناس والمجتمع

الإنسان يعيش وسط الناس ، ويتصل بهم في كل خطوة من خطواته ، فما معنى ان يحس بالكراهية لمن حوله ؟ مثل هـــذه الكراهية تنشأ من فرط الأنانية والانطواء على النفس ، ومن كان كذلك فانه لا يتقبـــل صداقة احد ، وينفر من الناس ، حتى اذا وجـد نفسـه في عزلة عن الناس ، رثى لحـالته

وخيّل اليه انه مضطهد، والنتيجة ان يصاب باضطراب عقلي ، أو تتكوّن عنده نفسية معقدة .

من أجمل جوانب الحياة ان يحب الانسان الناس ، وان يندمج في المشاريع الانسانية ويتعاون مع الناس في الأعمال المثمرة لخير المجتمع وتقدم الانسانيه .

٧ – كن مرحاً

ما أحلى ان يستيقظ الانسان من نومه ويحيي زوجته تحية الصباح بكلمات رقيقة ، وما أحلى ان تفتح الزوجة عينيها وتحيي زوجها بأحسن من تحيته . وجميل من المرء ان يكون رقيق الحاشية ، معسول الألفاظ مع افراد اسرته ومع سائر الناس ، وان يكون مرحاً في حديثه معهم ، وما أقبح ان يجلس المرء على المائدة مثلاً فلا يتحدّث إلا عن متاعبه ، ومضايقاته ، ومخاوفه ، واتهاماته ، وما يتوقعه من سوء . ان روح الدعابة في الأحاديث تخلق جواً جميلاً ، وكل انسان يستطيع ان يخلق في نفسه روح الدعابة .

كم من خلاف تلاشى بدعابة ، وكم من فكاهة قضت على أزمات ، وكم من ملحة أشاعت روح الوئام .

٨ – لا تنهزم في الأزمات

كثير من الناس ينهارون اذا ما صدموا بنكبة من النكبات ، ويتلاشى تفكيرهم ويتبلد ذهنهم ، ويقفون حيارى لا يعرفون ماذا يفعلون ، فتتراكم في لحظة واحدة النكبة والعجز واليأس . ومثل هذه الحالة منشؤها الأنانية غير

الناضجة فموت أنسان مثلا يترجم عندهم الى ما فقدوه شخصياً من المنافع من جراء موت هذا الانسان .

والواجب ان يظل الانسان واضعاً قدميه حيث يقف ، وان يتقبل في رضى ما لا يستطيع تغييره ، وان يفكر في خير السبل لاستئناف حياته على خير وجه ، فالمستقبل هو الذي يجب ان نفكر فيه .

٩ – البت في المشاكل

تعترض الانسان في خضم الحياة مشاكل عديدة ، وواجب المرء ان يحسم هذه المشاكل بقرار عاجل ، حتى لو اخطأ بعض الاخطاء الصغيرة ، لأنه اذا ظل يفكر فيها طويلا ، ويقلبها على كل وجوهها مرة بعد اخرى ، نتج من اطالة التفكير اضطراب الذهن ، وتأرجح التفكير .

وقد دلت التجارب على ان البت السريع في المشاكل خير للانسان واكثر راحة لذهنه ، كما ثبت ان نسبة قليلة جداً من الخطأ تصاحب التفكير السريع فعلى الانسان ان يفكر في حل مشاكله تفكيراً سليماً وسريعاً ويضع لها الحلول ، ثم يكف عن التفكير فيها .

اما المشاكل المعقدة التي لا يجد لها المرء حلا ، فالواجب ان نقول لأنفسنا ان لا حل لهذه المشاكل ، ثم ننساها . . .

١٠ – لك الساعة الحاضرة

ان الساعة التي نعيشها الآن ، هي الساعة التي نضمن الحياة فيها ، ولهذا يجدر

بنا ان نجعلها لحظة سعيدة .

ان بعض الناس يعيشون على اساس التطلع الى شيء في المستقبـــل ، وفي غمرة هذا التوقع يفتقدون قيمة الساعة الحالية التي يحيونها .

والانسان الذي ينظر بعين الخيال الى ما سيكون في مقبلات الأيام ينسى الحاضر الذي يعيش فيه ، ويفقد ما فيه من جمال ، ان على المرء ان يفكر في المستقبل حقاً ويضع خطته ، ولكن يجب ان لا يغرق نفسه في التفكير الخيالي على الدوام . ومن السخافة ان نقلق بالنا بما ستتعرض له حياتنا في المستقبـــل من مشا كل وازمات .



- ٢٤ -

استفد من الفرص

•

انتهز الفرص

مسألة الفرص حيرت كبار العلماء .. بعضهم يقول بوجودها ، وآخرون ينكرونها ، ويقولون : المرء ونشاطه ..

والرأي العام انه ليس هناك حظ ولا حظوظ في الحياة .. وهذا هو رأي عدد كبير من العلماء ..

هناك فرص تمرّ امام الكثيرين .. بعضهم يفطن لها فيفيد منها ، وبعضهم يغمض عينيه عنها فلا يراها ..

يطالعنا كل يوم بجديد من الفرص المتباينة ، والانسان الغافل يدع مثل هذه الفرص تمر امام ناظريه فلا ينتهزها . اما المرء صاحب الشجاعة والأمل ، والعين المبصرة المميزة فلا تدع مثل هذه الفرص تمر تحت سمعه وبصره دون ان يفيد منها .

وقد يتساءل البعض عن هذه الفرص المتباينة ، واليك بعضها :

اصبح بعد الشقة أمراً عادياً ، حتى أصبح يخيل للإنسان ان العالم ينكمش ويتقارب بعضه الى بعض ، وقد اصبح الأمر كذلك عن طريق الرحلات ، وكثيراً ما نرى الاعلانات عن هذه الرحلات التي نجوب فيها الأرض ونرى الدنيا امامنا .. وثمة كثيرون ينتهزون مثل هذه الفرص لرؤية العالم ، والافادة من التجارب والأسفار ..

وفوائد الرحلات عديدة ، وقد يكون من أهم هذه الفوائد خلق الثقة بالنفس والرصانة . فالمرء يمر بمصاعب ، ويتغلب على عقبات ولا يسعه إلا ان يعتمد على نفسه ، ثم هو يرى عادات جديدة .. ووجهات نظر ومميزات لا عهد له بها ، فيختزن عقله الكثير من التجارب ..

وحتى لو تعذر على المرء الرحيل الى خارج بلاده ، فأمامه المجال فسيحاً في بلاده ، يرى فيها حقولاً خضراء ، وبقاعاً تعج بالمناظر الطبيعية الجميلة ..

وبهذا يستطيع المرء ان يشاهد معالم بلاده وما فيها من آثار ومصانع .. فضلاً عن تغيير الهواء وما يستمتع به من مرح وسرور ..

فهل انت ممن يعرف كيف ينتهز مثل هذه الفرصة ليختبر الدنيا ، ويشاهد الأرض ، ويمتزج بالناس ، ويتعلم من الأسفار والتجارب ما لا يتعلم وهو في بلده ..

ان من اسباب النجاح رؤيتك الدنيا ومعرفتك بها ..

تعلم

هناك كثير من المعاهد يمد يد المعونة للناس ليساعدهم على الدراسة والتثقيف ، معاهد ليلية .. ومدارس بالمراسلة فابحث عن الأبواب التي تروق لك ، واتصل بالمعهد الذي تختاره ، والى جانب الفوائد التي تعود عليك من تثقيف عقلك وتوسيع مداركك ، فانك تحصل على شهادات تعينك على الظفر بالترقية التي تنشدها في عملك .

وهناك الى جانب ذلك المكتبات العامة التي تتيح لك فرصاً عديدة لتثقيف عقلك ، فهل ذهبت اليها وبحثت عن غايتك في خزائنها ، ان ثمة عوالم جديدة فوق رفوف هذه المكتبات في انتظارك ، فهل لك ان تذهب اليها وتجوس خلالها ؟

الاختلاط بالناس

العزوف عن الاختلاط بالناس سببه غالباً التحفظ وشعور المرء بصغر شأنه ، وجدير بمثل هذا الانسان ان يتغلب على هذا الشعور حتى لا يحرم من المتع التي يجنيها المرء من اختلاطه بالناس ، ويحسن به ايضاً ان يلتحق بأحد النوادي او احدى الجمعيات وان يندمج في اعمال النادي او الجمعية في حرارة .

وهناك طريقة اخرى للتغلب على هذا الشعور هو قضاء العطلة في رحلة من الرحلات التي تهيئها بعض المؤسسات .

والعقبة الوحيدة التي تحول دون الاختلاط بالناس هي الحساسية الشديدة بنقائص نفسه ، وجدير بالمرء ان يتغلب على هذه الحساسية المفرطة .

والحياة بغير اختلاط بالناس ، حياة مليئة بالوحشة والوحدة ، وجدير بالمرء ان يخرج الى العالم وان يمتزج بناسه ، وان يقضي على هذه الوحشة المرة الأليمة .

الاستزادة من المهارة

هذا مصدر مثمر مفيد للتجارب التي قد تعود على الانسان بربح مالي .
ابحث عما يمكن ان تؤديه من الأعمال الاضافية وما تميل اليه نفسك منها . فمثلاً

هل تستطيع ان تكتب على الآلة الكاتبة ؟ اذا لم تكن تستطيع ذلك فلم لا تتعلم ؟

هذا مثل من اغراض كثيرة ، ، ومثل هذه الأعمال الاضافية ، فضلاً عمّا فيها من تعلم شيء جديد ، تعود عليك بفائدة مالية .

هل تستطيع ان تعبّر عما في نفسك كتابة بأسلوب واضح غير معقد ؟

هل تستطيع الخطابة وسط الجماهير ؟

هل تعرف الاختزال ؟ ؟

هل تجيد فناً من فنون الرياضة البدنية ، ككرة القدم او التنس او الباسيكت بول : وهل تجيد السباحة ؟ وهل تجيد التجذيف ؟ لا حاجة بك الى ان تصبح اخصائياً او متفوقاً على غيرك في هذا او ذاك ، فان الغاية قبل كل شيء ان تمتع نفسك بمتعة جميلة ، وان تزيد من مهارتك في احد هذه الفنون ، وان تربح منها بعض المال اذا استطعت ..

وليس يحسن بالمرء ان يلزم الصمت ، وان يكتفي بالاستماع ، ففي تبادل الأحاديث متعة جميلة ، ورياضة ذهنية . والاندماج في الاحاديث يدفع المرء الى الاستزادة من المعلومات العامة والثقافة الخاصة حتى لا يظهر بمظهر الجاهل .

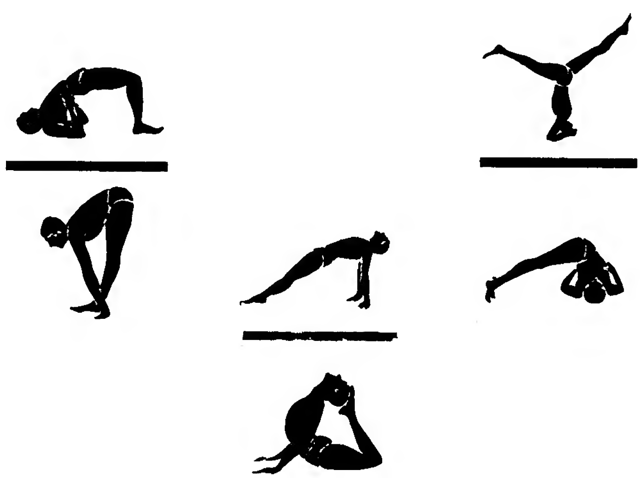
والاندماج في الأحاديث يخرج الانسان من عادة التحفظ والانطواء على النفس ، فتظهر شخصية المرء على حقيقتها و كذلك تبدو قدرته و كفاءته وكلها تظل دفينة في طيات الصمت ، لو انطوى وسكت ..

خـــدمة الغير

واخيراً خدمة الغير .. التي تبعث في النفس سعادة عظيمة لا تعدلها سعادة . والأدلة كثيرة على صحة هذه الحقيقة البالغة .

انظر حولك تجد كثيراً من الفرص بين يـــديك لخدمة الناس ، فهنالك الجمعيات الخيرية ، والهيئات والمجالس المحلية والمستشفيات ، انك تستطيع ان تندمج في احدى هذه الهيئات التي تعمل في خدمة الناس ، وتساهم بجهودك ، وتبذل فيها نشاطك ، ونجاحك في مثل هذه الأعمال الخيرية سيبعث في نفسك سروراً ومتعة ، ويشحذ من همتك ويرضيك ويحفزك ..

وحين يستعيد المرء ذكريات الماضي يشعر بالغبطة والجذل حين يذكر انه قام بخدمات للغير ، وحين يرى انه كان انساناً تجيش في قلبه العواطف الانسانية النبيلة ، عاملاً فعالاً في خدمة أخيه الانسان .



- ٢٥ -

عِش سَعيداً

•

الحب الحيـــاة

عش سعيداً ، واستقبـــل الحياة مبتسماً في شجاعة وتفاؤل ، فان الحياة جديرة بان تعاش ، وليس فيها من المتاعب إلا ما صنعه الانسان لنفسه ، او ما صنعه الانسان لأخيه الانسان .. ولا أدري من كان أول من شوّه جمال الحياة في نظر الانسان منذ أقدم العصور ، ومن ذا الذي سماها دنيا لأنها دنيئة ، ومن ذا الذي بكى لأول مرة وسكب فيها الدموع .. ولعـــل حواء — كما يقال — أول من بكى على سطح الأرض بعد ان طردت من الجنة وحرمت من نعيمها ، ولكن لماذا بكت بعد ان هبطت من أعلى إلى أدنى ! .. ألم يكن في مقدورها هي وآدم ان يجعلا من الأرض جنة جديدة ، أم انها اعتادت الفراغ والكسل ، فبكت لأنها حرمت منهما على وجه الأرض .

ان الانسان بطبعه ميّال للكسل والفراغ ، محب لذاته ، مغرم بالراحة واللذائذ الرخيصة التي لا تحتاج الى كد وتعب . ولو عرف الانسان الحياة لوجد

فيها أبواباً كثيرة تحقق له السعادة ، بل تحقق له الجنة في الدنيا ، قبل ان يراها في الآخرة . ومن هذه الأبواب :

لقد صدق القائل : « الحياة الحب والحب الحياة » .

فالحياة بغير حب لا يستقيم لها حال ، والحب بين الانسان وأخيه الانسان يبعثهما على التعاون وينهض بهما الى أسمى مكان .

والحب بين افراد الأسرة الواحدة ينشر السعادة فيها . والحب بين ابناء الأمة يدفعهم الى الاتحاد والتضامن في كل عمل من الأعمال النافعة الذي يعود على الجميع بالخير العام . والحب بين الأمم ينشر السلام في ارجاء العالم . فالسعادة لا تتحقق للانسانية ما لم ينشر السلام أجنحته البيضاء على المجتمع الانساني، ولن ينتشر السلام إلا إذا زالت اطماع السياسيين ، وسادت العدالة والثقة بين الدول واستشعرت القلوب الرحمة والحنان على من تصيبهم الحروب بالكوارث .

الصحة

من القصص العربية ان أحد الدراويش سافر للحج الى بيت الله الحرام ، فبلي حذاؤه ، وألهبت حرارة الصحراء قدميه ، فقضى سفره ساخطاً على سوء حظه الذي حرمه من مال يساعده على ركوب مطية ، توفر له مشقة السير فوق الرمال المحرقة ، حتى اذا وصل الى مكة رأى على أحد أبوابها سائلاً مريضاً مقطوع الساقين ، فبكى واستغفر ، وادرك انه بقدميه أسعد حظاً من ذلك السائل المريض المحروم .. فالصحة اغلى انواع السعادة . وليست السعادة مالاً ولا جاهاً ولا سلطاناً ، ولكنها قبل اي شيء صحة كاملة ، متى توافرت للانسان هانت امامه كل المصاعب .

حسن المعاشرة .

قد يفقـــد بعض الناس فيما بينهم المودة والحب ، ولكنهم يستطيعون ان يسعدوا على الرغم من ذلك بحسن المعاشرة .. قال عمر بن الخطاب لطليحة الأسدي : « قتلت عكاشة بن محصن ، فلا يحبك قلبي ». كما جاء في قصص العرب ..

فقال له طليحة : فمعاشرة جميلة يا امير المؤمنين ، فان الناس يتعاشرون على البغضاء » ..

وقد صدق طليحة ، فان الانسان ينبغي ان يعاشر الناس معاشرة حسنة ، ولو كان يبغض بعضهم . وقـــد قال عبدالله بن عباس : « ان امور التعايش في مكيال ، ثلثه الفطنـــة وثلثاه التغابي » . فالتغابي والتغاضي والتسامح توفر للانسان وقتاً سعيداً يقضيه فيما هو أهم من الحقد والنزاع .. يقضيه في راحة نفسية ، وعمل نافع ، وعيش موفور ، كما قال الإمام الشافعي :

اذا شئت ان تحيا سليماً من الأذى وعيشك موفور ، وعرضك صيّن
لسانك لا تـــذكر به عورة امرىء فكلـك عورات وللناس ألسن
وعينـك ان أبـــدت اليك معايباً فصنها ، وقل يا عين للناس أعيُن
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ، ولكن بالتي هي أحسن

حب الحياة

ولقد سئل النبي محمد (ص) : « ما هي السعادة؟ » فقال : « القناعة » .

وليست تتنافى القناعة مع حب الحياة ، لأن القانعين لا يكرهون الحياة ، ولكنهم يحبونها ويعملون لها حتى يظفروا بما يريدون ، ثم يمنعهم سمو اخلاقهم

من ان يغتروا بالحياة ويطمعوا فيها ، فيقنعوا بما قدّر لهم . وقد يقنعون باقل مما قدّر لهم من خير ، ليتركوا نصيباً لغيرهم ينعم بالخير مثلهم . وقد قال سعد ابن أبي وقاص لابنه عمر :

« يا بني اذا طلبت الغنى ، فاطلبه بالقناعـــة ، فان لم تكن لك قناعة ، فليس يغنيك مال » .

واما الزهد في الحياة ، فهو الذي يحمل معنى الكراهية لها ، ولهذا كان الذين يتخلصون من الحياة بالانتحار ليسوا من القانعين ، بـــل من الزاهدين الكارهين .

وفي الحياة صنفان من الناس : صنف تُكسب صداقته الشقاء والمتاعب ، وهو شؤم على كل من يصادقه او يعامله ، وصنف تجلب مودته الخير والبركة والسعادة ، وهو فأل لأصدقائه واخوانه ، يسعدهم بما أتاح الله له من سعادة نفسية ونجاح في الحياة ؛ كما قال ابو تمام :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم ويسعـــد الله أقوامـــاً بأقـــوام

فلكي تحمي نفسك من الشقاء ، وتأخذ بسبب من أسباب السعادة ، ابتعد عن مصدر الشقاء ، وتجنب الأشقياء باخلاقهم واعمالهم ، واستكثر من صداقة السعداء باخلاقهم وآدابهم وعلومهم ، فان صداقةالفضلاء والعلماء والأدباءتكسبك كل يوم ثروة جديدة ، وتوجهك في الحياة الى أهداف النجاح .

الاخلاق العملية

وهي الاخلاق التي تتصل بالغير في العمل والتعامل . واذا كانت المعاشرة الحسنة من هذه الاخلاق ، فان هناك غيرها كالشعور بالمسؤولية ، والاخلاص في العمل ، والمثابرة ، والصبر على الجهاد في الحياة ، والاحسان والعـدالة . ولعل الاخلاق العملية أجدى في توفير السعادة من الاخلاق الفاضلة — او الاخـلاق

الذاتية – كالعفاف والورع والتقى – فقد يكون الانسان عفيفاً ورعاً ولكنه غير سعيد في حياته ، وان كان سعيداً في نفسه ، لأن السعادة الحقة هي التي يشترك فيها الانسان مع اخيه الانسان ، ويبني فيها لبنة في صرح الانسانية السعيدة . وليس كما يقول القائل :

انما دنياي نفسي فاذا هلكت نفسي فلا عاش أحد

العقل والنفس والوجدان :

من اقوال الفيلسوف غوستاف لوبون : « قوام العمران شيئان : الجوع والحب » .

وهو يعني ان الجوع يدفع الانسان الى العمل ، والحب يدفعه الى الاجتماع ، وليس يريد بالجوع الشعور بخلو المعدة فقط ، بل جوع العقل الى المعرفة ، وجوع النفس الى الدين وجوع الوجدان الى جمال الفن ، ولا يمكن لإنسان ان يوفر لنفسه السعادة إلا إذا اخذ نصيبه من غذاء العقل والنفس والوجدان . وكلما ازداد من ذلك ازداد نصيبه من السعادة. وقد كان الفيلسوف (ارنست رينان) بعد ان يلقي دروسه الرائعة يقول لسامعيه :

« مهما اعتقدتم في انفسكم المقدرة والنبوغ وسعة الاطلاع ، فانكم ستظلون دائماً في حاجة الى الاستزادة من المعارف . ولن يكون لكم ذلك إلا بواسطة المطالعة فاقرأوا ما استطعتم من مؤلفات الأقدمين والمعاصرين » ..

وبعد ، فهذه بعض أبواب السعادة في الحياة . ولعلها تكون كلها .. فاقرأها واعمل بها ، تعش انساناً . واذا عشت انساناً حقاً ، كنت الانسان الناجح السعيد .

- ٢٦ -

لا تيأس من النجاح

●

أوهام ؟

هل تؤمن بأن فقر الوالد او انحطاط مركزه الاجتماعي مما يحول بين أولاده وبين النجاح المنشود ؟

هل ترى انه لا مجال لتقدمك في منصبك، وانك سيء الحظ ، وان الظروف تعاكسك والقدر يقسو عليك ؟

انك لعلى خطأ كبير اذا اعتقدت شيئاً من ذلك او سمحت لهذه الأوهام ان تتسلل الى نفسك ، وتتحكم في حياتك .

هناك الوف من العظماء وكبار رجال الأعمال عرضت لهم ظروف كظروفك او اسوأ منها ، ولكنهم رغم ذلك لم ييأسوا بل واصلوا سعيهم في ثبات وايمان حتى بلغوا أهدافهم وأدركوا النجاح المطلوب ..

ان « شكسبير » — شاعر الانكليز الكبير — كان ابوه جزاراً ، وكانت امه في عداد الأميات لا تقرأ ولا تكتب إلا بصعوبة .

و « فرانزشوبرت » — الذي ما يزال العالم مسحوراً بموسيقاه ، لم يكن إلا ابن مدرس فقير وطاهية تعمل بالاجر في بيوت الأغنياء .

و « ميشل فراداي » — العالم الانكليزي الذي تدين حضارة اليوم لبحوثه في الكهرباء — كان أبوه حداداً .

وقد نشأ « بنجامين وست » الذي يعد في طليعة كبار الرسامين المعاصرين في بيئة فقيرة ، وكان وهو في الثامنة من عمره يمسك بالقطط ويلتقط شعر ذيلها ، لكي يحصل منه على فرشة يرسم بها .

وهذا هو « اركريت » المليونير الأميركي الذي يرجع اليه الفضل الأكبر في تقدم صناعة حلج القطن ، بدأ حياته حلاقاً متواضعاً لا يجيد قص شعر الرأس ، ويعيش من حلق ذقون الفقراء لقاء ما يوازي ثلاثة سنتات يمنحها إياه كل « زبون » ..

وقد كان « بن جونسون » الكاتب الانكليزي المعروف في مستهل حياته يعمل بنّاء لقاء اجر ضئيل .

ولم يكن « نيوتن » ذلك العبقري الذي استكشف قانون الجاذبية إلا ابن فلاح فقير . وكان والد « جورج ستيفنسون » مخترع اول قاطرة ، حداداً . ووالد «ادواردز» العالم الطبيعي الكبير ، صانع احذية . ووالد «اندرو جونسون» الذي كان رئيساً للولايات المتحدة ، خياطاً .

لماذا تيأس من النجاح في عملك ، مهما تكن الأسباب ؟

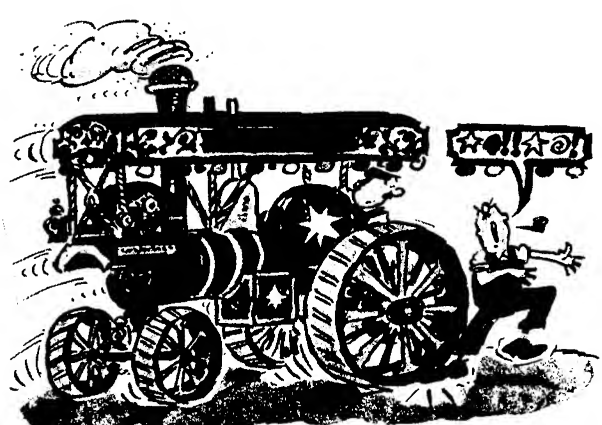
ألانك فقير ؟ .. لقد ظل « برنارد بليس » ستة عشر عاماً يكافح ويواصل البحث رغم فقره المدقع ، فكانت النتيجة ان تكلل سعيه بالنجاح ووفق إلى ابتكار نوع من اللدائن الكيميائية كان له شأن عظيم في الصناعة الحديثة .

أم لانك جاوزت سن الدراسة والتعليم ؟ .. ان احد العمال الانكليز ظل ثلاث عشرة سنة ، وهو يواصل العمل بضع ساعات كل يوم في مصنع للغزل ، وكان يضع الى جوار مغزله كتاباً يختلس النظر الى صفحاته من لحظة لأخرى

وهو يدير المغزل ، فتلتقط عيناه جملة من هنا وجملة من هناك . وبعد انتهاء ساعات العمل ، كان يذهب الى مدرسة مسائية يقضي فيها نحواً من ساعتين . فاذا ما عاد الى البيت واستراح قليلا ، استأنف القراءة والمطالعة حتى تخطف أمه المصباح الذي يقرأ عليه ، وحينئذ يأوي الى فراشه مضطراً .

وقد ظل كذلك منذ كان في العاشرة من عمره حتى بلغ الثالثة والعشرين ، ثم لم تمض بعد ذلك سنتان حتى كان قد تمكن من اللغة الانكليزية ونال شهادة في الجيولوجيا واخرى في الطب . ثم أصبح من مشاهير العلماء .

هل عرفت من هو هذا العامل ؟ . انه « دافيد لفيغنستون » العالم الطبيب الرحالة الذي اكتشف منابع النيل .



- ٢٧ -

كيفَ تزيدُ مُرتّبكَ

●

تحمس لعملـــك

لعلك تساءلت مراراً لماذا ارتفع مرتب « زيد » وتضاعف مرتب « عمرو » بينما بقي مرتبك ثابتاً منذ سنوات .

الواقع انه في ٩٩ ٪ من الحالات لا يحصل الموظف على زيادة في مرتبه إلا حينما يستحقها ، وليس بسبب المحسوبية او الحـــظ كما تتوهم . وكلما أصبح التنافس بين الشركات قوياً ، عمد مديروها الى تطبيق القاعدة القديمة : « حسّن عملك او اعتزل » .. وفيما يلي ثمان نصائح تستطيع بواسطتها ان تتقدم في عملك وتوطد مركزك في مؤسستك .

ان عدم التقــدم في العمل وزيادة الأجر كثيراً ما يعود لعيوب في شخصية الموظف او العامل . وقد لوحظ انه حتى في المهن التي تقتضي مهارة فنية مثل الهندسة ، فان عدداً كبيراً من المهنـــدسين الذين يشغلون أرقى المناصب ، تأتي المهارة الفنية عندهم في المرتبة «الخامسة» من الصفات الست التي تكوّن شخصية

العامل الممتاز .

وهي : تحمس العامل للعمل كما لو كان عمله ، والثقة بالنفس بغير غرور ، وسرعة البديهة ، وسلامة الحكم على الأشياء ، واللباقة في الحديث ، ودقة المواعيد .. يضاف الى ذلك الحرص على عدم ضياع اوقات العمل . والمفروض ان الموظف يعطي الأجر عن عمل يوم كامل . ومن هنا كانت المكالمات التليفونية الخاصة ، وكتابة الرسائل الخاصة ، وما الى ذلك ، من دواعي تزعزع ثقة اصحاب العمل في العامل . ولا يكفي ان تكون طيب السلوك مع رئيسك وحده . فان السلوك الطيب نحو الآخرين وخاصة مع المرؤوسين من الصفات التي ترضي الرؤساء .

اطلب عملاً اضافياً

يقول رجال الأعمال ان تسعة موظفين من عشرة يكتفون باداء الأعمال المطلوبة منهم ويضيقون ذرعاً بما يوكل اليهم من اعمال اضافية . فلتكن انت الشخص الوحيد الذي يطلب اعمالاً اخرى فذلك يهيء لك فرصة طيبة لزيادة اجرك .

حاول ان تعرف تفاصيل عمل رئيسك المباشر حتى تتمكن من معاونته في اداء بعض اعماله . ان رئيسك هذا يطمع ايضاً في الترقية وزيادة مرتبه ، وقد تتوقف ترقيته على مقدرته على الاعتماد عليك في المهام المطلوبة منه ، كي يتفرغ هو لأعمال اخرى .

ـتزلة استطاعت أن تزيد مرتبها نحو ٧٠٪ في عام واحد ،
ميلاتها الجديدات — أن تسأل رئيسها أن يملي عليها
لها الكلمات الفنية المعقدة ، وذلك بقيامها — من تلقاء
المؤسسة وأسماء عملائها والاصطلاحات الفنية المستعملة

فيها. وكانت تكلف صديقة لها بأن تملي عليها تقارير قديمة ليلتين في أسبوع للتمرن على المزيد من السرعة في الكتابة . وهكذا استطاعت أن تتفوق على زميلاتها القديمات اللاتي قضين مدة طويلة في العمل .

حلل وظيفتك وأدرس أقسامها لتعرف ايها أصعب وأيها يحتاج الى دقة أكبر وأيها يحتاج الى السرعة . وأعرف النواحي التي لا تجيدها ثم حاول ان تقوى نفسك فيها بكل ما تستطيع من وسائل . وحذار ان يطفيء حماسك هوان مرتبك، وان تقول كما تقول البعض : « اننا نعطي صاحب العمل ما يوازي الأجر الذي يعطيه لنا »

ان صاحب العمل لن يزيد مرتبك ما لم يلمس بنفسه انك تعطيه اكثر مما تأخذ منه .

تحدث بلباقة

ان العجز عن التعبير عما يساورك من افكار عقبة كبيرة في سبيل تقدمك في عملك . روّض نفسك على الحديث حديثاً طبيعياً صريحاً بغير لعثمة او تردد مع رؤسائك . وتدرّب على كتابة تحارير وتقارير تنم عن ذوق وحسن اختيار للكلمات والعبارت . لهذا ينبغي ان تكثر من قراءة المجلات الثقافية والأدبية مهما كان عملك بعيداً عن النواحي الأدبية .

وكذلك ينبغي دراسة جميع المذكرات والرسائل والتقارير التي تمر بك خلال عملك ، وليكن حديثك في التليفون حديثاً لبقاً وصوتك بهيجاً ساراً . فلكي تشغل الوظائف الادارية الكبيرة ، عليك ان تعرف كيف تقنع الآخرين بأفكارك دون ان ترغمهم على قبولها بغير اقتناع ، وان توحي اليهم بالأشياء التي تريدهم ان يفعلوها دون ان تمليها عليهم .

ان معظم الموظفين الـــذين يشغلون مناصب هامة ، لا ينفكون يدلون باقتراحات لتحسين العمل وزيادة ربح المؤسسة . وثمـــة كتب كثيرة توحي بالتفكير المنتج ، فعليك بدراستها والافادة منها . وفكر باستمرار في الوسائل التي تؤدي الى انجاز العمل بسرعة وبنفقات أقل .

تكيف حسب الجو الذي تعمل فيه

ان عدم الترقية في العمل قد ترجع احياناً لأسباب تافهة ، ولكنها تثير صاحب العمـــل . فلبس رباط للرقبة أو قص الشعر بطريقة ملفتة للنظر قد تسبب كراهية صاحب العمل للموظف الذي يعمل عنده .

ومن هنا ينبغي ان تعرف ما يحبه رئيسك ومـــا يكرهه وتوائم نفسك وعاداتك بحيث تجتذب قلبه اليك . فالرئيس المحب للاختلاط بالناس يختلف كثـــيراً عن الرئيس المحب للانطواء والعزلة . والعصامي يختلف عمن ورث المؤسسة عن والده ، وهكذا .. فلكي تزيد مرتبك في وقت قصير انـدمج في الجو الذي يحيط بك بحيث تجعل صاحب العمل يقول عنك : « نعم .. هذا هو الطراز الذي نريده » .

انت تعمل في « ميدان سباق » يتقدم فيه البعض وتزيد مرتباتهم بسرعة ، بينما يتخلف البعض الآخر .

فادرس لماذا يزيد مرتب اولئك الزملاء الناجحين المرة بعد الأخرى ، بينما لا يتقدم الآخرون سنوات طويلة ، وحاول ان تقتدي بالمتقـــدمين في صفاتهم الطيبة وتتجنب اخطاء الآخرين .

ان اصحاب العمل لا تفوتهم مراقبتك وتحديد أهمية عملك ، وما يستحقه

من أجر من حين لآخر ، ولكنك قد تكون في مؤسسه ما يزال فيها الطلب هو الوسيلة للحصول على الزيادة – بعد ثبوت الكفاية واقتناع صاحب العمل بأنك تعمل بما يزيد عن أجرك كثيراً – لهذا ليس من الحكمة عند تقدمك بهذا الطلب ان تقارن بينك وبين زملائك وتوحي له بأنه ظالم أو انه يحابي شخصاً دون آخر . ولكن أعرض عليه تفاصيل ما تفعله ، وأطرح أمامه مسألتك ببساطة وهدؤ وبغير انفعال . والغالب هنا انك سوف تحصل على الزيادة بسرعة .



-٢٨-

تفاءل فأنتَ قويّ

●

تفـــاءل

في ليلة باردة ، انخفضت فيها درجة حرارة الجو في شيكاغو احدى عشرة درجة تحت الصفر ، سقطت سيدة في الثالثة والعشرين مغمى عليها في الطريق اثناء عودتها الى البيت ، وظلت في مكانها طوال الليل . ولما نقلت الى المستشفى في الصباح ، لم يصلح الترمومتر العادي لقياس درجة حرارتها ، فقيست بترمومتر خاص ، فوجد انها في ١٨ درجة مئوية ، اي أقل ١٩ درجة من درجة الحرارة العادية – ورغم ذلك ، كانت تنبض بالحياة ، ولما أسعفت بالعلاج والمنعشات استعادت وعيها ، واضطر الأطباء لبتر ساقيها وأصابعها بسبب تجمـــدها ، ولكنها عاشت ولم تمت .

وذكر طبيب الماني انه رأى شخصاً انخفضت درجة حرارته الى ٢٠ درجة مئوية وبقيت كذلك ثلاثين دقيقة ، ومع ذلك لم يمت .

وحينما كانت الجياد وسيلة للتنقل، فاجأت عاصفة ثلجية سيدة كانت مسافرة

على جوادها في انكلترا ، فترجلت عنه لتحتمي بجسمه من العاصفـــة ، ولكنه جمـــح وانطلق يعدو ، وبقيت هي في مكانها بالعراء ثمانية أيام . ورغم ذلك ، استعادت عند اسعافها حيويتها ونشاطها ، وكل ما حدث انها فقدت عدداً من أصابع قدميها ..

وقد حدث غير مرة ان بعض الأشخاص لم يموتوا رغم ان حرارة أجسامهم ارتفعت الى درجة تحدث الوفاة – عادة – فيما دونها بكثير . فقـــد انكسر الترمومتر العادي عندما اراد طبيب في مستشفى « دبلن » ان يقيس به درجة حرارة احـــدى المريضات ، فلما قاسها بترمومتر من نوع خاص ظهر انها بلغت ٥٣ درجة مئوية ونصف درجة . ومع ذلك لم تمت ، وشفيت بعد حين .

وأصيب شاب بنيويورك في حادث ، فارتفعت درجة حرارته الى ٦٤ درجة مئوية ، ومع ذلك فهو ايضاً لم يمت .

ومنذ عشرين عاماً ، أجرى بعض العلماء في معهد للتغذية تجربة صام فيها أحدهم ٣١ يوماً لم يتناول خلالها سوى المـــاء المقطر ، وكان ما يزال في وسعه – بعد هذه المدة – ان يصعد نحو خمسين درجة من درجات سلم من غير ان يساعده احد .

وفي عام ١٩٥٠ ، حبس عالم الماني نفسه في قفص زجاجي بحديقة الحيوان في فرانكفوت ، ولبث فيه ٥٨ يوماً لم يتناول فيها غير ماء الصودا والسجاير ، فنقص وزنه نحو ٣٠ كيلو جراماً ولكنه لم يمت .

وأصرّ أحد زعماء الحركة الاستقلالية في ايرلندا على الاضراب عن الطعام حتى يطلق سراحه ، ولكنه لم يمت إلا بعد ان بلـــغ عدد أيام اضرابه ٧٣ يوماً .

على ان الجسم لا يصمد للجوع فحسب ، ولكنه – احياناً – يتغلب على

حالات مرضية لا أمل في النجاة منها . فمنذ عشر سنوات ، نقلت سيـــدة مصابة بالسرطان في نيويورك إلى المستشفى ، وقرر الأطباء ان حالتها خطيرة ولا فائدة من ازالة الورم الخبيث في جسمها بالجراحة . واذا بها في العام التالي تعود الى المستشفى نفسه لاجراء جراحة اخرى ، ودهش الأطباء عنـــدما فحصوها فوجدوها قد شفيت على الأورام الخبيثة الأولى من غير علاج .

اقوى من الموت

وأراد شاب انكليزي ان ينتحر بعد ان يئس من شفائه من مرضه العصبي ، فأطلق مسدسه على رأسه ، وكانت النتيجة ان الرصاصة شفته من مرضه .

والقلب من الأعضاء الحيوية الكثيرة الاحتمال . وثمـــة جنود كثيرون يعيشون عيشة عادية وهم يحملون في جدر قلوبهم رصاصاً لم يتمكن الجراحون من اخراجه .

وحينما غرقت السفينة البريطانية « انجلوسكسون » في الحرب العالميـــة الماضية ، بقي سبعة من بحارتها ٥٠ يوماً في العراء ، نفدت بعدها مؤونتهم ، ثم نفد المـــاء العذب بعـــد ستة ايام اخرى ، فمات منهم خمسة وبقي اثنان حتى أنقـــذوا بعد ذلك باسبوعين ، فأسعفا بالعـــلاج ، ولم يلبثا ان عادا لعملهما .

وانفجر لغم فأصابت شظية منه عاملاً فأخترقت خده الأيسر تحت العين مباشرة ، ونفذت في الجمجمة . فلما نقل الى المستشفى ، نزل بنفسه من السيارة وصعد السلالم الى غرفة الطبيب دون مساعدة احد . وظل حتى الساعة العاشرة من مساء تلك الليلة وهو في تمام وعيه ، ثم أغمي عليه فترة ، استعاد بعدها قوته من غير ان تجري له جراحة . وقد استعاد صحته كاملة ، فيما عـــدا فقده نور عينه .

وسقط رجـــل من الطابق الخامس عشر من احدى ناطحات السحاب ،

فوقع على شجرة صغيرة فحطمها ولم يصب هو إلا بكسر في احدى ساقيه وبعض خدوش ورضوض ..

ان الجسم البشري آلة عجيبة ، هي بحق اكثر الآلات احتمالاً على وجه الأرض . فكن متفائلاً دائماً ولا تجعل القلق والخوف يستحوذان عليك فيعطلان القوة الكامنة التي زود الله بها جسمك لصيانة هذه الآلة والدفاع عنها .



- ٢٩ -

اعرض خدماتك واغراضك على الناس

•

سياسة البيـــع والشراء

ليس البيع والشراء وقفاً على التجار .. فنحن جميعاً نقوم بدور الباعة في كل يوم من ايام الحياة ، وكلما فطن المرء الى ذلك .. وعمد الى التفنن في اجتذاب المشترين والابتكار والتجـــديد في عرض ما لديه من « سلـــع » احسن في اختيارها ، كان احتمال نجاحه في الحياة كبيراً .

كم من اذكياء وعباقرة أخفقوا في ميادين العمل لأنهم تجاهلوا هذه الحقيقة .
فهذا عالم يضع انفه في السماء ، فينفر منه الناس ، وتسد امامه منافذ النجاح .

وهذا اديب يعيش وحده في برج عاجي ، فلا يكتب لعامة الناس ، ولكنه يكتب لنفسة وللخاصة منهم .. فيقل قراؤه يوماً بعد يوم .

وهذا سياسي فذ .. يأبى ان يتعاون مع الغير ، فتظل عبقريته كنزاً دفيناً لا يفيد منه احد .

وهذا طبيب نابغة ، ولكنه يجهـل فن التعامل مع المرضى .. فيبزه في

عملاء كثير من الأطباء العاديـــين الذين يعرفون كيف « يبيعون » افكارهم وخدماتهم . واليك أهم العوامل التي يشترط توافرها لنجاح حركة البيع والشراء بين الناس .

عندما يجوع المرء يقبل على الأكل ، وعندما يعطش يبحث عن المـــاء .. وانت لا تستطيع ان ترغمه على الأكل او الشرب في حالتي الشبع او الارتواء . ويعرف الطهاة وتجـــار الحلوى كيف يثيرون شهية الناس .. فهم فضلاً عن تفننهم في جعل مذاق الأطعمة شهياً مستساغاً ورائحتها زكية طيبة ، يعرضونها عرضاً مغرياً ، يسيل اللعاب . كما يعمدون الى تغيير رائحتها ولونها – ولو تغييراً طفيفاً – من حين الى آخر ، حتى لا تسأمها النفس.

وكذلك اذا اردت ان يفعل الناس شيئاً .. اعرض فكرتك عليهم بطريقة تحفزهم الى امعان النظر فيها .. وضعها امامهم واضحة جلية بحيث يسهل عليهم استيعابها ، فيخيّل لهم انها فكرتهم وعقيدتهم وانها تتضمن شيئاً جـــديداً يختلف عما ألفوه ، شيئاً يجعل حياتهم اهنأ وأسعد وعيشهم أرغد وأيسر .

ادرس احلام الناس .. فهذا يحلم بالجاه والقوة ، وذاك بالمال والجمال ، وثالث بالسعادة والراحة النفسية .. وهم جميعاً يسعون اليك ويجرون وراءك اذا أقنعتهم انك تعينهم على تحقيق احلامهم . وبعد ان تدرس احلامهم ادرس مطالبهم .. انها الخبز والزبد والجبن والبيض واللحم والمنزل والكساء .. وغيرها من الحاجات التي لا غنى عنها كي يسير المرء مرفوع الرأس في موكب الحياة .

وبعـــد ذلك تعرف على الكابوس الجاثم فوق صدور زبائنك وموكليك ومرضاك وجميع مخالطيك .. وهذا الكابوس يرمز الى المخاوف التي تؤرق الناس وتحطم أعصابهم وتقضي على هنائهم . ثم حاول ان تزيل هذه المخاوف ..فكلما أبعدت جانباً منها ، عملت على ان يكون صاحبها سعيداً ، فحاول هو بدوره ان يجعلك سعيداً

ان من يسعى الى الظفر في معركة الحياة ، ينبغي ان يضع أحلام الناس ومطالبهم ومخاوفهم نصب عينيه ، وان يحرص على ان يتضمن كل عمل يؤديه ، تحقيق حلم أو توفير مطلب ، او تبديد سبب من أسباب الخوف والقلق .

اختر البضاعة التي تعرضها

بعد ان تجعل اكبر عدد من الناس اصدقاء لك ، وتثير جوعهم وعطشهم لما تريد ان تقدمه لهم .. أحتفظ بصداقتهم بأن تعطيهم دائماً اكثر مما ساوموك عليه .. ولو انك درست حياة الناجحين ومشاهير الرجال في مختلف الميادين ، لوجدت انهم كانوا دائماً يعطون اكثر مما ينتظر منهم . ولن تجد رجلاً تقدم في وظيفته أو نجح في عمله ، اعتاد ان يخدع الناس فيعطيهم بضاعة فاسدة أو صناديق فارغة .

عندما كان اندرو كارنيجي موظفاً — في مستهل حياته — في احدى شركات السكك الحديدية ، تعطلت ذات يوم احدى القاطرات ، وتصادف ان تأخر الرئيس المختص في ذلك اليوم عن الحضور في الموعد المحدد .. فماذا يفعل كارنيجي ؟ ..

لم تكن له سلطة اصدار الأوامر لاصلاح القاطرة وتفادي تعطيلها وتأخير ما يتلوها من قاطرات . ولو ان شاباً عادياً كان في موضعه ، لما فعل شيئاً ، وقال في نفسه :

« ليس هذا من اختصاصي .. فلماذ أدخل نفسي فيما لا يعنيني ، بما قد يسبب طردي من العمل ، وقد يؤدي الى ان يزج بي في غياهب السجن ؟ »

ولكن كارنيجي لم يقل ذلك ، بل أصدر على الفور امراً لمهندس الشركة ، وقعه بتوقيع الرئيس المختص وبعد وقت قصير .. سار كل شيء في طريقه العادي . وعندما علم مدير الشركة بالأمر ، إعجب بكارنيجي وأسند

اليه وظيفة كبيرة ، كانت فاتحة لما صادفه بعد ذلك من توفيق وملايين ..

لقد ادرك كارنيجي ان الأمر يتطلب العمل السريع الحازم .. فنقض قوانين الشركة ، بل زوّر في اوراقها بأن اتخذ صفة رئيسه .. ولكنه فعل ذلك بعد ان استوثق ان ما يعمله لصالح الشركة .. ومثل هذه الفرص قد لا تسنح كثيراً . فاذا سنحت فلا تتردد في اغتنامها ، ولا تتهرب من مواجهة الموقف وتحمل المسئولية .

ويقول « هاري هوايت » احد مديري الشركات الكبيرة : « ان السر في سرعة نجاحي وتفوقي على اقراني ، انني كنت دائماً اعطي المؤسسة التي اشتغل بها عملاً اكثر مما هو مفروض عليّ »

انها قاعدة صحيحة في كل ميادين الحياة .. اعط اكثر مما تأخذ ، يصبح الناس مدينين لك . ولا بد ان يسدّد لك هذا الدين في يوم من الأيام . هذا الى ان الرجل الذي لا يؤدي إلا ما هو مطلوب منه ، يحس انه عبد ذليل .. ولكنه اذ يفعل اكثر مما يراد منه ، يشعر انه حر كريم .

في قرارة النفس البشرية نقطة ضعف مشتركة بين الجميع .. فنحن — بلا استثناء — نريد شيئاً أو أشياء مقابل لا شيء .. ولكي تنجح وتسبق رفاقك ومنافسيك ، ضع هذا الشيء الزائد في « الصندوق » الذي تقدمه للناس . ولعل فكرة اعطاء الهدايا او الامتيازات او اوراق اليانصيب — على تفاهة قيمتها — للمشترين من بعض المتاجر ، وما يتبع هذه الامتيازات من اقبال عجيب ، لا من العامة فحسب ، بل من الخاصة ايضاً .. يدلل على صحة هذا الرأي ، ان هذه الهدايا التي تعطى « فوق البيعة » كانت سبباً في اثراء كثيرين وازدهار مؤسساتهم .. لا تفكر مطلقاً في ان تقوم بالعمل الموكل اليك فقط ، وانما فكر دائماً في ان تبذل كل ما في وسعك وبقدر ما تستطيع ، بغير ان تفكر في المكافأة التي لا بد ان تظفر بها مضاعفة ان لم يكن عاجلاً فآجلاً .

وحتى في الحياة الزوجية .. لو ان كلاً من الزوجين اخرج من ذهنه ما على

الشريك الآخر من واجبات ومسئوليات .. وعمد الى القيام بكل ما يستطيع من اعمال تتصل بالمنزل وادارته وتربية الأولاد ، بغض النظر عن تحديد دائرة اختصاصه ، لوجد متعة اكبر في الحياة .

يقول احد علماء الاجتماع موجهاً كلامه للمرأة :

« اسهل وسيلة لتكوني سعيدة ، ان تجعلي زوجك سعيداً ، لأن الزوج السعيد يغدو زوجاً صالحاً شفوقاً محباً .. ان كل رجل ناجح يجب ان يستمتع بقدر كبير من الثقة بنفسه .. فعندما توحين الى زوجك انك جد سعيدة بزواجك منه ، وانه رجل عظيم جدير بكل ثقة واعزاز وتقدير ، تدفعينه دفعا الى السير قدماً في عمله ، كي يبرهن لك على انك على صواب فيما تظنين . وهو عندما يجد — عند عودته من عمله كل يوم — مطالبه معدة بطريقة جذابة شائقة ، يتضاعف حماسه للنضال في الحياة لإسعاد الزوجة التي اسعدته .. و « لكي يكون من « القوة » بحيث لا يغتصب منه احد زوجه ويحرمه المتعة التي يظفر بها بجوارها » كما يقول فرويد ..

يعلم كيف تساير الناس

كنت مرة في مكتب صديق لي يشغل منصب مدير لاحدى شركات الطيران الكبيرة . وكان مكتبه يطل على المطار .. واسترعي انتباهي منظر الطائرات وهي تحلق في الجو الواحدة بعد الأخرى في يسر وسرعة .. فقلت لصديقي : « أليس عجيباً ان يقهر الانسان الهواء ويسخره لخدمته ؟

فقال لي على الفور :

— من قال لك انه قهره وسخره .. انه لم يقهره ولن يقهره ..

فنظرت اليه في دهشة وهو يتابع كلامه : « ان محاولة المرء قهر الهواء ، هي التي عاقته عن الطيران منذ مئات السنين . ان القوانين الطبيعية التي تسير

الطائرات بموجبها هي بعينها اليوم كما كانت منذ ايام « ليوناردي فنسي » . فنحن لم نغيرها ، ولكننا كيفنا أنفسنا لنتمشى معها .. فكل طائرة تصنع الآن وفقاً لهذه القوانين . وكلما أدركنا حقيقة هذه القوانين وكشفنا عما تنطوي عليه ، تقدمنا في مضمار الطيران .

فقلت لصديقي : نعم صدقت .

وكذلك الحال مع الناس .. انك لا تستطيع ان تنتفع من جهودهم وخدماتهم الى الحد الأقصى عن طريق القهر والتسخير والتعالي والإرغام ، وانما بفهم نفسياتهم ورغباتهم ، ثم بالعمل على مسايرتهم . سل نفسك دائماً : « ماذا يريد الناس ، وما هي ميولهم ، وما هي رغباتهم ، وفيم يفكرون » . ثم تمشى مع هذه الميول والرغبات والأفكار . عامل الناس دائماً كما تحب ان يعاملوك . وتمسك دائماً بآداب اللياقة ، وضمن حديثك ما استطعت من كلمات : « اشكرك » ، و « ارجوك » ، و « عزيزي » .. مع كل من تتصل بهم ، مهما تكن مراكزهم الاجتماعية .. انها تفعل في نفوسهم فعل السحر ، وتجعلهم يشعرون انك تحبهم وتؤاخيهم .

دع الناس يشاركونك العمل

اعرف ثرياً بخيلاً يعيش في ضاحية فقيرة ، ينقصها مستشفى يعالج فيه مرضاها .. وقد حاول كثيرون عبثاً اقناعه بالتبرع لبناء المستشفى بها . وذات يوم قابلني متهلل الأسارير ، واخذ يستشيرني في افضل موقع لبناء مستشفى في المدينة ، وخير وسيلة لادارته .

فقلت مدهوشاً : « ولكنني اعلم انك لا تحبذ الفكرة » .

فقال : « لا .. لقد غيرت رأيي .. لقد صممت على بنائه على حسابي الخاص في اسرع وقت ممكن » .

وعجبت من هذا التغيير الفجائي ، وأحببت ان أعرف السر .. فعلمت ان

طبيباً ناشئاً نزح الى القرية حديثاً ، أقنعه بسداد الرأي . ودفعني الفضول الى زيارة هذا الطبيب الذي نجح فيما لم ينجح فيه كثيرون . فلما ذهبت اليه ، وذكرت له في سياق الحديث ما دفعني لزيارته .. قال مبتسماً :

« الأمر يا سيدى في غاية البساطة .. عندما كنت طالباً في المدارس الثانوية لم اكف عن معاكسة المدرسين ، وكان رفاقي دائماً يعوّلون عليّ في مضايقة الأساتذة . ولما كان أبي عضواً في مجلس ادارة المدرسة ، فان ناظرها كان لا يجسر على طردي . واخفقت كل الوسائل التي عمد اليها المدرسون لتأديبي ، فقد كان العقاب يزيدني معاكسة لهم وتفنناً في مضايقتهم .

«وحدث ان عينت ادارة المدرسة مدرّساً جديداً .. ويبدو ان الناظر أوصاه بي بصفة خاصة ، لأنه ما ان انتهى من درسه الأول في فصلنا حتى طلب مني مقابلته في مكتبه . فلما ذهبت اليه — وانا أضحك منه في قرارة نفسي — طلب إليّ الجلوس في رقة لم أعهدها في استاذ لي من قبل ، ثم قال :

« بلغني ان التلاميذ في فصلك لا يحترمون مدرسيهم ولا يحافظون على النظام ويعبثون باللوائح والقوانين .. وقد توسمت فيك ، لأول نظرة انك تلميذ ذكي تعرف كيف تساعدني في ادارة الفصل والمحافظة على النظام . ولذلك قررت ان تعاونني في هذه المهمة » .

وما ان فرغ من حديثه ، حتى كنت قد تحمست للفكرة ، وعزمت على تنفيذها .. وبذلك استطاع هذا المدرس ان يغير اتجاهي وان يتفادى معاكستي ومعاكسة غيري من التلاميذ ..

« ومنذ ذلك الحين تعلمت درساً لن انساه .. فكلما أردت أن أقنع شخصاً بتنفيذ مشروع ما ، أشركته فيه . وهذا ما فعلته مع ذلك البخيل . لقد صورت له متعة ادارة المستشفيات ، واتخذت من أهالي البلدة اقراراً بانتخابه مديراً لمجلس ادارة المستشفى ، ، وطلبت منه ان يفكر في المكان وفي البناء ،

فهو خير من يستشار في هذه الامور .. فانتشى الرجل للفكرة وتحمس لها ، بل غدا أشد تحمساً لها من انصارها ، واصبح يحلم الآن باليوم الذي يتم فيه بناء المستشفى ليكون مديراً له » .

ان الناجحين والقادة والزعماء ، قلّ ان يذكروا في أحاديثهم كلمة « انا ».. انهم يستبدلونها دائماً بكلمة « نحن » .. يهدفون بذلك الى اشراك الغير معهم في كل ما يفعلون ويفكرون فيه من مشروعات . فحاول دائماً التقرب من الناس ، ولا تحدثهم كأنك غريب عنهم ، بل كأنهم منك وكأنك واياهم من عائلة واحدة . وقد كان (ابراهام لنكولن) يدرك ما لهذه الناحية من الأهمية في تسيير عجلة الحكم في البلاد ، فكان يشرك معه في الحكم خصومه السياسيين الذين يعتقد في كفايتهم ، وبذلك كان يتفادى المتاعب التي قد يسببونها له وهم خارج الحكم .

وكم من عائلات سعدت لأنها اسندت الى كل عضو فيها عملاً ما ، فيحس الجميع انهم مشتركون في ادارتها .. وانهم جميعاً كتلة واحـــدة لها رسالة واحدة .. فالزوجة حين تساهم في توزيـع المرتب وتحديد وجوه انفاقه ، تحسّ بما على الزوج من اعباء ، فتحاول الا تثقل عليه في مطالبها ، والبنت عندما تحس انها عضو عامل في العائلة ، تشعر بلذة ومتعة ، ولا يخطر لها ان تتبرم او تتـــذمر وتحـــاول تقليد بنات الجيران في أزيائهن وتبرجهن ، والزوجـــة حين تستشير زوجها في اختيار مشترواتها تتفادى انتقاده لها .

واكثر المؤسسات الناجحة الآن تشرك عمالها وموظفيها في ارباحها .. اذ ان العامل عندما يحس بأنه شريك في الأرباح ، يجـــد في نفسه حافزاً لكثرة الانتاج والتفاني في الاخلاص للمؤسسة التي يعمل بها .

- ٣٠ -

الحظوظ في الحيـاة

•

اصحاب الحظوظ

كثيراً ما سمعت بعض اصداقائي ينسبون فشلهم ، او يردون عدم نجاحهم في عمل من الأعمال الى الحظ والقدر والنحس العالق بهم ..

وانا في الواقع لا اؤمن بالحظ وانه الأمر الذي يقرر مصير المرء ويدفعه الى الامام ، ويمكنه من الوصول الى المناصب الكبيرة والوظائف العالية ..

وقبل ان اتبسط في وصف اعتقادي هذا وتفصيله اسأل نفسي اولاً .. ما هو الحظ .. وما معناه وتفسيره ..؟

الحظ كما اجمع عليه جميع من وصفوه وتعرضوا له،هذه الامتيازات في الحياة ، من نجاح في عمل ، او ارتقاء في وظيفة ، او جمع ثروة طائلة ، يحصل عليها فرد لا يستحقها او هو دون المراكز التي وصل اليها بمراحل سواء في علمه او ادارته او ذكائه او مقدرته على ملء هذه المراكز التي وصل اليها واستقر فيها فعلاً ..

ونحن طبعاً لا نصف بالحظ رجـــلاً عالماً ناجحاً ، وذكياً بارعاً وادارياً

حازماً ، فصاحب هذه الصفات خليق ان يصل الى المراكز العالية ، خصوصاً اذا دعم معارفه ومؤهلاته هذه بالثبات والاخلاق والصدق ..

واذاً فالمحظوظ من الناس هو الذي تأتيه الدنيا وهو لا يستحقها ، ويصل الى المراكز العالية وهو دونها ، ويجمع الثروة الطائلة لا عن علم ، ومعرفة بالاقتصاد وشؤون المال ، وانما بظروف مواتية ، ولصداقات ثمينة اتصل بها عن طريق الخدمة او العبودية ، فأغنته وأثرته..

اعرف كثيرين لا ينعمون بشيء من العلم والمعرفة والمقدرة والذكاء ، غادروا بلادهم الى ارض الله الواسعة ، وعملوا خدماً عند بعض الأغنياء او كبار اصحاب المراكز والمناصب السياسية ، فأفادوا من هذه الاتصالات حتى لقد جمع بعضهم الملايين ، ونعم آخرون بعشرات الالوف ، فان سألتني : أليس هذا من حسن حظهم ..؟

أجبت : لا .. ولكن الظروف المواتية هي التي مكنتهم من التقرب من هؤلاء الأمراء والكبراء ..

ومن غريب امر هؤلاء الذين يجمعون ثرواتهم دون ما استحقاق ولا مقدرة ان يكونوا عبيداً في قلوبهم ، يتزلفون ويقبلون الاقدام والأيدي .. ويقفون على الأبواب والنوافذ الساعات الطوال .. حتى اذا اعطاهم الله المال والجاه تنمروا وتكبروا وبخلوا فلا يتقدمون لخير .. ولا يحاولون براً ولا معروفاً ..

قصة العرق والجهد

خذ مثلاً قصة (بيل مويرز) وهو الذي يسمونه اليوم المستشار الأول للرئيس الأميركي جونسون ..

وتعال ندرس معاً الطريقة التي اتصل فيها بالرئيس الأميركي ، وكيف بلغ مركزه الحالي وهو ما يزال شاباً بالنسبة لمسؤولية المركز وخطره ..

فقد شهد البيت الأبيض الأمريكي خلال الفترة الأخيرة سلسلة من التنقلات شملت مناصب عدد من كبار مستشاري الرئيس الأمريكي جونسون . ووسط هذه التنقلات برز اسم شاب لم يتعد الثانية والثلاثين من عمره هو بيل دون مويرز السكرتير الصحفي للبيت الأبيض . ورغم انه يتقلد – رسمياً – هـــذا المنصب إلا انه أصبح – في الواقـــع – المستشار الأول للرئيس الأمريكي وأقرب المقربين اليه .

فمويرز يبدو في الظاهر مجرد مرآة تنقل الى الرأي العام الأمريكي والعالمي وجهات نظر جونسون في جميع المسائل الداخلية والخارجية . ولكن المقربين الى البيت الأبيض يعتبرونه ثالث اثنين من اكبر صناع السياسة الأميريكية –بعد الرئيس جونسون – وهما دين راسك وزير الخـــارجية وروبرت ماكنارا وزير الدفاع . فهو الوحيد الذي يحضر الاجتماع الدوري الذي يعقده جونسون كل ثلاثاء مع قطبي السياسة الأمريكيـــة ، في الوقت الذي لا يحضره فيه هيوبرت همفري نائب الرئيس . ويعتقد هؤلاء انه اذا منح مويرز قدراً اضافياً من السلطة فقد يصبح الرجل رقم « ٢ » في الحكومة الأمريكية كلها .

ويقابل هذه المكانة الهامة التي وصل اليها مويرز صغر سنه وهو امر نادر الحدوث داخل البيت الأبيض . فلم يحدث من قبل ان وصل الى هذه المكانـــة رجل في مثل سنه . ولكن من خلال هذا العامـــل يبرز ثمة تشابه بينه وبين الرئيس جونسون الذي اعتبر ايضاً من اصغر من دخلوا الحياة السياسية . فقد انتخب عضواً في مجلس النواب الأمريكي وهو لم يتعد التاسعة والعشرين من عمره كما ان كلا منهما بدأ فقيراً . فجونسون عمل وهو صغير ماسحاً للأحذية .. كما عمل مويرز « خادم بقال » .

عنصر الصدفة والبراعة

ولكن الحقيقة ان صعود مويرز السريـــع ارتبط بعنصر اساسي هو عنصر

الصدفة الذي يتمثل في انتمائه الى ولاية تكساس مسقط رأس جونسون والميدان الأول لنشاطه السياسي ..فقد لعب هذا العنصر الدور الأول في وصول مويرز الى هذه المكانة داخل البيت الأبيض وان كان هذا الدور قد مرّ على مرحلتين . فقد جاءت بداية المرحلة الأولى على شكل تحرير كتبه مويرز لجونسون ، والثانية على شكل مكالمة تليفونية تلقاها من جونسون .

ويرجع تاريخ بداية المرحلة الأولى الى عام ١٩٥٤ عندما كان مويرز في السنة الثانية بكلية شمال تكساس في الوقت الذي كان فيه جونسون عضواً في مجلس الشيوخ عن الولاية نفسها . وكان يستعد لدخول معركة انتخابية جديدة . فقد قرر مويرز ان يقضي اجازته الصيفية في وشنطن ، ولكن كيف السبيل الى ذلك وهو لا يملك ما يغطي نفقات هذه الرحلة ..عندئذ هداه تفكيره ان يبعث برسالة الى جونسون يوضح فيه الأهمية المتزايدة لأصوات الناخبين الشبان ويطلب منه ان يلحقه بمكتبه الخاص خلال فترة الصيف ليساهم في الحملة الانتخابية . ورغم ان الكتاب لم يحمل لجونسون اية افكار جديـــدة الا ان شيئاً فيه آثار انتباهه وهو اسلوب كاتبه .

فقد تأثر به جداً حتى انه استدعاه الى وشنطن واسند اليه مهمة المساهمة في الرد على رسائله الخاصة بالحملة ..

اما بداية المرحلة الثانية فكانت بمثابة انفتاح « طاقة القدر » لمويرز . وجاء ذلك على شكل رصاصات انطلقت الى رأس الرئيس الراحـل كينيدي ظهر يوم ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٦٣ . فقد كان مويرز في هذه اللحظة يتناول الغداء في أحد نوادي مدينة اوستن مع مجموعة من كبار اعضاء الحزب الديمقراطي في ولاية تكساس بصفته نائب مدير فرق السلام الأمريكية . وبدون سابق انذار تلقى مكالمة تليفونية من جونسون — الذي كان يشغـــل منصب نائب الرئيس كينيدي في ذلك الوقت — ابلغه فيها نبأ مقتل الرئيس وأمره بالحضور فوراً الى دالاس بطائرة خاصة . ووصل مويرز في الوقت الذي كان فيه جونسون يستعد

ليقسم اليمين الدستورية كرئيس للولايات المتحدة خلفاً لكنيدي . ولكن احد رجال البوليس السري منعه من الدخول الى حيث كان جونسون ، فبعث اليه بورقة صغيرة كتب فيها: « انني هنا اذا كنت فيحاجة الي ».. ولم تمر ثوانحتى فتح الباب ليدخل مويرز . ومنذ ذلك الوقت بقي باب جونسون مفتوحاً لمويرز في أية لحظة .

العوامل الخيرة

ورغم ان جونسون والصدفة قد لعبا دوراً كبيراً في تحقيق آمال مويرز إلا ان هناك عوامل اخرى ارتبطت بحياته منذ صغره ووضعت الحجر الأساسي لكل ما في شخصيته من طموح واستعداد لتحمل كل مسئولية توكل اليه .

فقد ولد بيلي – او « بيل » كما يطلق عليه الآن – عام ١٩٣٤ في مدينة هوجو بولاية اوكلاهما لأسرة فقيرة . ولم تمر أشهر على مولده حتى انتقلت الأسرة الى مدينة مارشال بشرق ولاية تكساس حيث استوطنت هناك . والتحق بيل بأحد مدارس المدينة حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره فأنتقل الى المدرسة العليا بمارشال . ومنذ ذلك الوقت بدأ العمل الى جانب دراسته « كصبي بقال » بأجر ٧٥ سنتاً (٣٠ قرشاً) في الساعة . وفي الوقت نفسه بدأ اشباع هوايته للصحافة بكتابة بعض المقالات في صحيفة المدرسة . ومن المفارقات ان نفس هذه الصحيفة كانت ترأس تحريرها فتاة أصبحت فيها بعد ليدي بيرد زوجة الرئيس جونسون فمن مدرسة واحدة اختار جونسون زوجته ومستشاره الأول !

وانتقل مويرز بعد ذلك الى كلية ولاية شمال تكساس حيث قضى عامين في الوقت الذي واصل فيه هوايته للصحافة فخلال اجازاته الصيفية كان يعمل محرراً في صحيفة « مارشال نيوزمسينجر » بأجر اسبوعي قدره ٢٥ دولاراً

وفي هذه الكلية انتخب مرتين رئيساً لمجلس طلبة فصله كما اختير ليحمل لقب الطالب المثالي وهو اللقب الذي ربطه مبكراً بزوجة حسناء كانت حافزاً له على تقدمه في الحياة العملية . فبعد حصوله على اللقب بأيام وقع اول لقاء مباشر بينه وبين زوجته جوديث التي كانت تدرس الاقتصاد المنزلي في نفس الكلية . ويصف هو هذا اللقاء بقوله : « بدلاً من ان تسقط لي منديلها – كما كان متبعاً في العصور الوسطى – تركت لي كتبها تحت احد المقاعد ، فأقترح عليَّ المدرس ان أعيدها اليها .. وكان ان اصبحت ضحية هذا الاقتراح حتى الآن » .

وفي صيف عام ١٩٥٤ انتقل الى وشنطن ليعمل كموظف في مكتب جونسون. وقبيل انتهاء فترة الصيف دعاه الى مقابلته حيث اعطاه خطاب توصية ليلتحق بجامعة تكساس وعرض للعمل في محطة تليفزيون اوستن التي تملكها ليدي بيرد بأجر قدره ٣٠٠ دولار شهرياً .

وانتقل مويرز الى اوستن ليبدأ مرحلة جديدة مليئة بالمتناقضات والكفاح . فقد كان يستيقظ في الخامسة صباحاً ليقضي ثلاث ساعات في عمله . ثم يتوجه الى جامعته ليحضر المحاضرات ويدرسها بعد ذلك . ولم يكن يستطيع النوم اكثر من ٦ ساعات يومياً . ذلـــك الى جانب انه كان يقوم ايام الآحاد بألقاء المواعظ في عدد من الكنائس الريفية القريبة من بلدته !

وبين برامج التليفزيون والمواعظ الدينية والمحاضرات الجامعية قضى عامين ليحصل بعدهما على أعلى تقدير في قسم الصحافـــة بالجامعة . كما منحه نادي « الروتاري » الدولي منحة دراسية لمدة عام في جامعة أدنبره باسكتلندا . وقد حصل منها على شهادة في تاريخ علاقة الكنيسة والدولة وجذور الفكر الغربي . وقبل عودته الى بلاده قام بجولة في غرب اوربا استغرقت ثلاثة اشهر عاد بعدها ليكمـــل دراسته العليا في الميدان الجديد الذي اتجه اليه وهو الدين ، فألتحق بأبرشية في مدينة فورت وورث . وعندما تخرج منها عمـــل محاضراً في كلية دينية .

طوال هذه الفترة كان بعيداً عن نظر جونسون ولكن كفاءته لم تكن بعيدة عن خاطره. فبعد ان اصبح جونسون زعيماً الأغلبية في مجلس الشيوخ استدعاه ليعمل كمساعد خاص له . وبعد ان كان يساهم في الرد على رسائله الانتخابية اصبح مسئولاً عن كل رسائله بل واصبح يعد البيانات التي سيلقيها جونسون داخل المجلس او خارجه . وبـــدأت مرحلة الكفاح الحقيقية من جانب مويرز عندما اعلن جونسون ترشيح نفسه لمنصب نائب الرئيس عام ١٩٦٠ . فقـــد ارسل مويرز اسرته الى تكساس وانتقل هو الى منزل جونسون مكرساً كل جهده لخدمته حتى فاز في الانتخابات .

ومرة اخرى لم ينس جونسون خدماته فكافأه بتعيينه واحداً من المساعدين الخمسة لسير جات شريفر مـدير فرق السلام الامريكية . ولكن لم تمر أشهر حتى طلب شريفر من كينيدي تعيينه نائباً له . واصبح مويرز — منـــذ ذلك الوقت وكان عمره ٢٨ سنة — اصغر مسئول امريكي يسمح له بحضور جلسات مجلس الشيوخ للرد على اسئلة اعضائه . وقد علقت احدى الصحف على ذلك بقولها : « اذا استمر هذا الاتجاه فان الحكومة ستضطر الى منح عـدد كبير من المسئولين فيها اجازات اضافية ليتمكنوا من عمل واجباتهم المدرسية » .

واستمر في منصبه حتى كان حادث مقتل كينيدي ليصبح مويرز من أوائل من استدعاهم جونسون للعمل معه . فقد عيّنه مساعداً خاصاً له ليقوم بتنظيم أعماله وكان يسند اليه الكثير من المسئوليات خاصـــة اثناء الأزمات . وكانت أبرز هذه المسئوليات عندما اجريت للرئيس جونسون في العام الماضي جراحة استئصال المرارة فخلال الساعات التي قضاها جونسون تحت تأثير البنج كان مويرز يحمل — طبقاً لأوامر جونسون — مسئولية اتخاذ قرار نقـــل مهام الرئاسة الى هيوبرت همفري في حالة وقوع أية أزمـــة ، كنشوب حرب مفاجئة مثلاً .

والحقيقة ان مويرز يتسم بهدوء غريب يتضح حتى خلال مناقشاته . كما انه محبوب الطباع وسيم المظهر ترتاح اليه العين بمجرد رؤيته ، وهو الى جانب ذلك

يتمتع بعدة مزايا أولها انه لا يشرب الخمر وان كان يدخن كثيراً . وهو يفضل السيجار فيدخن ستة منه في اليوم الواحد . كما يتميز بارتباطه الوثيق بأسرته التي تتألف من زوجته واطفاله الثلاثة .

واخـــيراً

لقد لعبت الصـــدفة كما ترى دوراً خطيراً في حياته ، وأدخلته الى البيت الأبيض ، ولكن الصدفة لم تكن لتمكنه من البقاء فيه ، حتى ولا بدعوته اليه ، لو لا العوامل الأخرى ، التي هي العلم والنشاط والمقدرة ، والاسلوب الرائع ، الذي كان اول ما لفت نظر (جونسون) اليه فقربه ، واعتمد عليه ..

لو لا استعداد (مويرز) لما نجح ، ولولا علمه وكفاءته وذكاءه لما بقي في البيت الأبيض دقيقة واحدة ..

قد تلعب الصدف دوراً في حياة الانسان ، ولكن الاستعداد الشخصي هو الذي يمكن لصاحبه من النجاح والفلاح ..

وصاحب الاستعداد الشخصي والعلم الوفير ، والـــذكاء البارع هو الذي يستطيع الإفادة من الظروف والصدف والفرص المواتية التي تمر به ..

واما نجاح الجهلة فمن فلتات الطبيعة ، ولكنهم لا ينجحون إلا في الوظائف الحكومية ، او في جمع المـــال للاسباب التي قدمنا ، واما في الشركات فمن الصعب نجاح جاهـــل خامل وعامـــل غير مفيد في شركة من الشركة المحترمة ..

واما في الوظائف الحكومية ، فالمعروف ان اكثر الذين تسد في وجوههم أبواب الرزق في الحياة يتوظفون، والوظيفة الحكومية لا تتطلب الدهاء والذكاء

والمقدرة ، ولهذا كان حظ الجهلة في هذه الوظائف اكثر من حظ الأذكياء الذين لا يطيقون كسب عيشهم بمقدار محدود ..

وأخيراً هؤلاء الذين يوفقون للنجاح مالياً او في الوظيفة وهم غير اهـــل للحالتين ، تراهم في الدنيا موتى ينتظرون من يدفنهم ..

فلا عليك والحالة هـــذه منهم ، وابحث عن حظـــك بذكائك وعلمك وثباتك ..

- ٣١ -

لماذا لا تستمتع بحياتك تماما ما دمت ستعيش مرة واحدة ؟

•

كتب الدكتور بيتر ستاينكرون يقول :

قال انطون تشيكوف الأديب الروسي الشهير :

ـ اعتقد انه لا سعادة حقيقية للانسان إلا بالكسل ..

قد يبدو هـذا القول تهكماً ، ولكن ما اكثر ما فيه من الحقيقة . فان الانسان الذي يقضي حياته في عمل متواصل ، لا يتوقف عن ذلك إلا ريثما يزدرد لقيمات تقيم أوده ، او لأن سلطان النعاس غلبه على أمره ، لا يمكن ان يكون انساناً سعيداً في حقيقة الأمر واذا كان لا يشعر بالتعاسة ، فلأنه لم يتسع له الوقت ليسأل نفسه ، او ليعرف طعم الحياة .

ولتعلم انه اذا لم يتسع امامك الوقت ساعات كل يوم تشعر فيها انك غير مطالب بشيء على الاطلاق ، فتستطيع ان تستلقي ، او تتمشى ، او تقرأ ، او

تذهب الى السينما .. اذا لم يتسع الوقت ساعات كل يوم لتفعل هذا كما تشاء، فأنت انسان غير سعيد .

ومن سوء طالع الانسان ، ان الفترة الأولى من حياته ومنذ فجر شبابه ، بمعنى أصح ، لا تسمح له بذلك كما يشاء ويريد .. فان مطالب العيش ، والطموح الى بناء المستقبل ، لا تترك للانسان وقتاً للكسل . واذا تركت له بعض الوقت، فان دماء الشباب الفوارة تجعله يشغله بما لا يقل اجهاداً عن العمل .. فاذا انسلخ عهد الشباب ، اصبحنا ارباب اسر وآباء اطفال ، وكان علينا ان نفكر في تأمين شيخوختنا ، وتأمين اولادنا اذا حدث لنا امر الله المحتوم ، ولذا ننهمك في العمل ولا نسمح لأنفسنا بذلك الكسل اللذيذ ، ونضطر – آسفين – الى تأجيل هذه المتعة الكبرى – التي هي شرط السعادة الضروري – حتى الشيخوخة ..

فالشيخوخة ، او بمعنى أصح سن التقاعد ، هو السن الذهبي الذي يحلم به كل انسان ، كي ينعم بالكسل الجميل ، ويستطيع التصرّف في حياته كما يشتهي . فأنت لا تملك وقتك إلا إذا كان فارغاً من المسؤوليات والمطالب . اما وانت مسؤول ، فوقتك مشغول ، وأنت ملك لوقتك وليس وقتك ملكاً لك .

وليس هناك في الواقع حد معين تستطيع ان تقول عنده للتاجر او المحامي او الطبيب او المزارع : [1] الآن يا صاحبي يجب ان تتقاعد ، فقد بلغت الخامسة والستين ، وهي سن التقاعد المقرر ..

وذلك لسبب بسيط جداً ، وهو ان الأشخاص يختلفون كثيراً في تكوين أجسامهم ، وظروفهم المالية والعائلية ، بحيث يجب ان يترك للشخص نفسه تحديد سن تقاعده .

---

(١) عن كتاب « لا تقتل نفسك »

فمتى يجب ان نبدأ في التفكير في التقاعد :

الجواب الصحيح عندي لا شك سيدهشك ، فانني ارى ان الانسان العاقل يجب ان يبدأ التفكير في التقاعد وهو دون سن العشرين :

فمنذ تلك السن يجب ان تفكر وتستعد ، حتى تكون متأهباً للتقاعد في أقرب وقت ممكن ، فلا يكون تقاعدك لأنك لم تعد تستطيع العمل ، بل لأنك قادر على وقف العمل كي تتفرغ لمزاجك . وليس لأنك لم تعد تصلح إلا لانتظار الموت .. بل لأنك تريد ان تبدأ الحياة الحقيقية ، وما زلت صالحاً لها .

فيا حبذا لو كانت مادة التقاعد من مواد الدراسة في المدارس الثانوية والعالية ، حتى لا نفسد حياتنا ، ونخسر أجمل ما فيها ، وهو وقت الحلم الذهبي ، اي الكسل والحرية .

فاذا كنت تستطيع التقاعد في سن الخامسة والأربعين ، فلا تجعلها خمسين : واياك ان تضع خطتك منذ البداية على انك ستتقاعد في سن الخامسه والستين ، لأنك غالباً سوف لا تتمتع بالعهد الذهبي إلا خمس سنوات ، كما انه يحتمل كثيراً ان تكون قد صرت مهدماً فتقضي تلك السنوات مقعداً منغصاً لا تستطيع التلذذ بحريتك ، كما انه يمكن ايضاً ألا تبلغ سن الخامسة والستين على الاطلاق .

وثمة شيء آخر : عليك منذ حداثتك ان « تضع عينيك » على هواية تستمتع بها بعد التقاعد .. فلا يخطرن ببالك انك ستسعد في تقاعدك بقضاء السنوات في لف احد ابهاميك حول الآخر ، او في حبات المسبحة ، وانت تحملق في السماء او في الماء .

ومن الهوايات الجميلة القراءة ، والموسيقى ، وصنع السجاد ، والرسم وجمع طوابع البريد وعلم الحشرات ، وما الى ذلك .

وهناك خطأ شائع جداً ، هو ان التقاعد يقصر العمر ، ويذكرون مثلا لذلك حالات رجال كانوا بأحسن صحة وهم يعملون ، فلما تقاعدوا لم يعمروا طويلاً وماتوا .

وتعليل ذلك عندي يسير : فان طول مدة العمل تضعف المقاومة ، فاذا توقف الانسان مرة واحدة عن العمل ولم يكن عنده ما يشغله اطلاقاً — كالهوايات التي ذكرت آنفاً — كان ذلك أشبه بنزول الشخص من القطار وهو يجري بأقصى سرعته . ذلك ان آجهزته كلها معقودة على روتين مجهود معين بسرعة معينة ، فايقافه فجأة يحدث هزة شديدة ، هي التي تسبب ذلك الانطفاء السريع بالوفاة ، او بالعته ..



- ٣٢ -

إضبط عواطفك

●

كن هـــادىء الأعصاب

يقول جوفر ددلي :

« اذا هبت عاصفة عاتية وحطمت السفينة ، فان ربانها يكون عادة شديد الاضطراب والقلق على حياة ركابه ومساعديه من الملاحين ، وعلى البضائع التي تحملها السفينة ، وعلى السفينة نفسها ، وعلى حياته الشخصية ، ولكنه اذا كان رباناً جديراً بالمهمة التي يتولاها فانه لا يفقد اتزانه في مثل هذا الموقف . ولا يمكن ان يتهم في مثل هذه الحالة بالبرود وعدم الاكتراث ، فان دماءه في الواقع تكون في ثورة كثورة العاصفة ، ولكنه يبذل جهده ليكبح جماحها ويتمالك نفسه حتى يستطيع ان يسيطر على الموقف الأليم .

وضبط العواطف يبدو كأنه عمل اختياري ولكنه في الواقع نتيجة تدريب وتمرين . وخير مثل يضرب لتوضيح هذه الحالة هو اداء الممثل الماهر لدور يقوم به ، فان مهارته في اداء دوره هي نتيجة تدريب مرهق طويل .

ويجب ان لا ننسى ان الاستجابة العاطفية هي عادات ، وهي صدى لما تعلمه الانسان وما وصل اليه من نتائج تجاربه ، ومعنى هذا ان ضبط العاطفة كذلك هو عادة يمكن ان يعتادها الانسان . وهو ما نعنيه بضبط النفس . فالشخص الذي يضبط نفسه.. هو شخص قد تعوّد ان يتحكم في نفسه ويضبطها بالتدرّب على السيطرة على عواطفه .

فكيف نتدرب على ضبط النفس .. ؟

واليكم بعض الاقتراحات التي تفيد في هذا التدريب :

١ – لا تعتمد على قوة الارادة

تصبح قوة الارادة عديمة الجدوى نسبياً اذا لم يكن هناك ما يعززها.. وتكون بنوع خاص عديمة الأثر اذا كان الخيال او الادراك يعارضها . فاذا انت عزمت ان تتغلب على سورة الغضب في حين يدور خيالك او ادراكك حول التفكير في الانتقام فان مجهودك في التغلب على سورة الغضب يبوء بالفشل .

وفي الحالة التي يتعارض فيها الخيال مع الارادة يتغلب الخيال ، ولهذا يجب ان يعمل هذان العاملان معا وان يسيرا في طريق واحد ..

ومعنى هذا ان تتمثل صورة الانسان الذي تود ان تكونه ، الانسان الذي تعجب بقوته في السيطرة على عواطفه والتحكم فيها ، والذي تود ان تحذو حذوه وتكون مثيله . ولتكن هذه الصورة دائماً نصب عينيك وستجد ان ذلك سيحدث أثره في سلوكك .

٢ – حاول تجنب المواقف التي تثير العواطف

اذا كنت تود ان تضبط نفسك ، فخير ما تفعله ان تتحاشى المواقف التي

تثير عواطفك وفي نفس الوقت عليك ان تسعى لبلوغ الفرص التي تعاونك على خلق السلوك الذي تريد تكوينه .. قال احد الأدباء المشهورين :

« في العالم أشياء كانت موجودة قبل حوادث اليوم ، وستظل موجودة بعد حوادث الغد ، شروق الشمس الجميل ، وغروبها الأخّاذ ، الأطفال وهم يلعبون ، ابتسامة المرأة الجميلة ، والصورة البديعة ، والموسيقى الشجية ، والعمل الذي احسن اداؤه ، ويوم نقضيه في الخلاء ، بين احضاء الطبيعة ، فحذار ان تتقبل شيئاً قبيحاً ، او سيئاً ، او قاسياً ، او سقيماً ، بل عليك ان تسعى الى ما هو جميل ، وان تعمل على تحسين كل ما هو مفرح ونافع ومفيد وسعيد ومثمر » .

٢ – عليك بالرياضة التي تلائمك :

الفضـــل في هذه النصيحة يعود الى « وليام جيمس » العـــالم المشهور فهو يقول :

« حين يثور غضب الانسان ، فان قبضة اليد تتجمع في شدة .. وصوته يعلو في خشونة ، وأعصابه تتوتر ، وجسمه يتصلب ، فهو في هـــذه الحالة النفسية مستعد للعراك والنضال ، كما يسري « الأدرينالين » في جسمه . وهذه هي حالة رجـــل الغابة حين يثور غضبه وتضطرب أعصابه . فيجب المبادرة الى اخماد حرارة هذه العاطفة بالبرود ، تعمد ان تحول دون تجمع قبضة يدك ، وحاول ان تمد أصابعك وتنشرها ، وخفّض من نبرات صوتك حتى تصل الى ما يقرب من الهمس ، والجدل غير مستطاع مع انخفاض الصوت بطبيعة الحال ، وعجل بالاسترخاء على مقعد ، بل ارقد اذا استطعت ، ومن العسير ان يجن جنون الانسان ويثور وهو راقد » .

٤ – نظف صدرك مما يخنقك .

قال احد الشبان: « ان بعض الأشياء التافهة التي ترتكب عمداً – أو عفواً – تترك في نفسي شعوراً ممضاً ، يظل أياماً حتى أستطيع التغلب عليه » ، ومثل هذا الشاب لو انه أفضى الى صديق عطوف بما في قلبه لسهل عليه القضاء على هذا الشعور الممض المثير .

ويقول رجل مجرّب : « من خير الطرق للتخلص من الضيق والقلق ان يأتي المرء بورقة يكتب عليها : انني أشعر بالضيق .. لماذا ؟ »

ثم يكتب سبب هذا الضيق ، ويظل يسأل ويجيب ، حتى يصل الى السبب الحقيقي ، وإذ ذاك يتولى العقل إيجاد حل للمشكلة في هدوء . فإذا تكررت هذه الطريقة فإن المرء يتعود على ضبط عواطفه .

٥ – تحدث عن همومك

هذه طبيعة انسانية ممتدة الجذور الى أقدم العصور ، وكم من انسان يقول :

« آه لو وجدت احداً أستطيع ان أفضي اليه بدخيلة نفسي »

فالتحدث من الطبائع العميقة في النفس البشرية ، ولو وجد الإنسان صديقاً عطوفاً يحادثه بنجية صدره ، فانه يزيح عن كاهله حملاً ثقيلاً ، ويخفف من عاطفة كانت تتأجج في صدره .

لقد قال احد الذين عالجوا ضبط النفس ، واتبعوا مثل هذه الوسائل وامثالها ما يلي :

« لقـــد كنت فريسة للعواطف الثائرة ، اما الآن فقـــد تغيرت حالي ، وتبدّلت وجهة نظري للحياة ، وأصبحت أرى الدنيا بعيون برّاقة مرحـــة ، وأصبحت اكـثر ثقة بنفسي ، واعظم راحة بال وهـــدوء نفس » .

فاذا كان مثل هذا الرجل وغيره قد استطاعوا ان يكبحوا جماح عواطفهم وان يضبطوا نفوسهم فانك لا محالة تستطيـع ذلك .



- ٣٣ -

اعمـل وألعب

●

التـــوازن

يروى ان زنجياً افريقيا ، شهد لأول مرة مباراة في التنس بين جماعة من الأجانب ، فعجب اذ رآهم يبـــذلون جهداً عنيفاً في اللعب ، فيجرون وراء الكرة بمضاربهم ويقفزون من جانب الى جانب . فلما انتهت المبـــاراة ، قال لأحدهم :

« لماذا لا تدعون خدمكم يؤدون هذه المهمة الشاقة ؟ .. »

وما اكثر أمثال هذا الزنجي بيننا ، ممن لا يفرّقون بين اللعب والعمل ، ومن يجهلون كيف ومتى يلعبون . على انه ليس أضر بصحة الجسم والنفس من ألا يكون هناك توازن بين اللعب والعمل في حياة المرء ، وقد ثبت ان مواصلة العمل دون ان تتخلله فترات للعب مما يؤدي عادة الى قلة الانتاج . وذلك لأن فترات اللعب هذه ، هي الفرصة التي يعيد فيها المرء « بطاريته » التي أفرغها ما بذل في العمل من جهود .

ان الرجل الذي لا يلعب مطلقاً ، ويكرّس كل وقته لعمله ، قد يعجب بنفسه اول الأمر ، لا سيا حين يجد من يعجبون بتفانيه في العمل ويصفونه بأنه « دينامو » ، ولكنّ هذا « الدينامو » لا يلبث قليلا حتى تضعف حركته ويفقد قوته . ويضطر الى التوقف عن العمل ، وقد يطول توقفه عشرات الشهور ، ريثما تتجدد قواه ، وتواتيه القدرة على استئناف العمل .

ولا شك في ان اللعب يحتاج ، مثل العمل ، الى بذل كثير من النشاط ، ولكن شتان ما بين النشاط الذي يقتضيه هذا ، والنشاط الذي يتطلبه ذاك . فاللعب – كما يقول الطبيب النفساني الدكتور « فنجر » – : « نشاط نختازه بمحض ارادتنا طلباً لما نجد فيه من المتعة ، دون ان تحفزنا اليه ضرورة ما ، ثم نكون احراراً في تركه او الاستمرار فيه كما نريد . اما العمل فهو ، على عكس ذلك ، نشاط نضطر الى بذله طلباً لقيمته المادية ، ولا يسعنا إلا ان نمضي فيه .

ويعرف البروفسور « ماي » العمل ، بأنه نشاط مصحوب بالقلق ، خشية فقدانه او عدم النجاح فيه . وهذا القلق من شأنه ان يحول دون الشعور بما قد يكون في العمل من متعة .

وليست هناك أنواع معينة من النشاط يتحتم عدّها عملاً او لعباً ، وعلى هذا يمكن ان يعد من قبيل اللعب قيام العالم النفساني بعمل البستاني ، او قيام البستاني بعمل النجار ، وقيام النجار بعمل الفلاح ، وقيام الفلاح بعمل الطباخ .

كان « إيزنهاور » في الحرب الأخيرة يكرّس جانباً من وقته ليرفه عن نفسه عناء العمل بممارسة ركوب الجياد ولعبة « البردج » وقراءة الروايات الخفيفة . فلما اشتدت مشاغله قبيل غزو فرنسا لطرد الألمان منها ، اهمل ممارسة هذه الهوايات ، ليكرس كل اوقاته لما هو مقبل عليه من الأمر العظيم . وعلم بذلك يومئذ الجنرال مارشال فكتب اليه يقول :

– سمعت انك اهملت ركوب الخيل . وانا آمرك بالعودة الى ممارسة هواياتك لمحببة الى نفسك في الأوقات التي اعتدت ان تمارسها فيها . فهي جزء لا يتجزأ من عملك ، وعلى قدر استمتاعك بها يكون نجاحك فيه .

ويقول البروفسور « ماندل شرمان » العالم النفساني : « ان كثيرين يعدون اللعب « ترفاً » لا فائدة منه ، كما يعدونه مضيعة للوقت ، ويرون انه لا ينبغي لهم ان يمارسوه إلا حينما لا تكون لديهم اعمال . ولا شك في ان هؤلاء الذين يحرمون أنفسهم من متعة « اللعب » يعرضون أنفسهم لكثير من الأمراض العصبية والنفسية . كما انهم يخطئون الخطأ كله حين يظنون ان اللعب يكلفهم خسارة في الوقت او المال ، فالواقع ان عكس ذلك هو الصحيح ، لأن اللعب يجعلهم أقدر بعده على الانتاج ، ويكسبهم من الصحة والوقاية من الأمراض الجسمية والنفسية ما يوفر الكثير من المال »

ان الرجل الذي يفخر بأنه لم يأخذ اجازة طيلة خمس سنوات ، إنما مثله كمثل سائق سيارة يفخر بأنه لم يغير الزيت فيها خلال قطعها خمسة آلاف ميل .

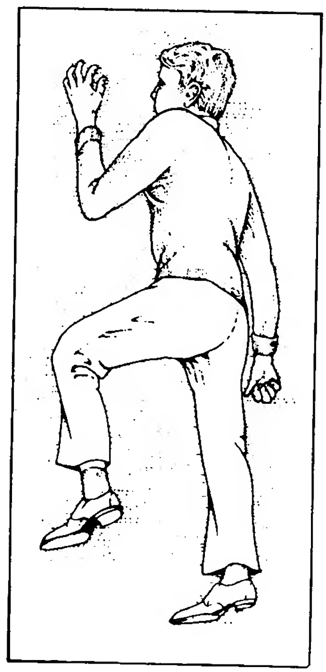
بقي ان يعرف كل منا متى يلعب ، والى أي حد . ولا شك في ان الاحساس بالتوتر العصبي والضيق والقلق ، مما يدل على حاجة المرء إلى اللعب . على ان هذا لا يعني ان يخصص بضع ساعات في الاسبوع ، بعد العمل المجهد المليء بالمنافسات والمشاحنات ، لكي يمضيها في لعبة التنس او الجولف او كرة القدم ، وما اليها من الألعاب التي تتطلب منافسة او تكون الهزيمة فيها سبباً للتبرم والضيق . فمثل هذا اللعب قد يضر ولا يفيد . وخير منه مزاولة الرياضيات التي لا مجال فيها للمنافسة واثارة الأعصاب كالسباحة او المشي او ركوب الخيل .

ومن فوائد اللعب انه يتيح للمرء ان ينفس عن أحاسيسه الداخلية التي لا

يستطيع ان ينفس عنها في مكتبه او في منزله . فاللعب وسيلة اجتماعية مقبولة لتمكين المرء من اشباع غرائزه الفطرية في الشجار والابتكار والأخذ بالثأر وما اليها .

واخيراً ينبغي ان يكون لكل امرىء اربع هوايات مختلفة تشبع جميع رغباته الداخلية ، فيهوى مثلاً : جمع طوابع البريد ليشبع غريزة الاقتناء ، ويهوي النجارة ليشبع غريزة الابتكار والانشاء ، ولعبة التنس ليشبع غريزة الهجوم ، وتسلق الجبال ليرضي نزعته الداخلية الى حب السيطرة والتفوق .

ان هذه الهوايات أشبه بحبال النجاة ، وكلما طالت وكثرت زاد احتمال نجاة المرء اذا تعرضت سفينته الجسمية او النفسية يوماً للأخطار .



- ٣٤ -

محامي الدفاع ... كانوا رجالاً

•

رجـــال

هناك رجال وصلوا الى المراكز العليا التي أرادوها وعملوا ليصلوا اليها ..
فان أردت ان تعرف أي نوع من الرجال كانوا .. ؟
وان رغبت ان تعلم لماذا اصبحوا من المشاهير في بلادهم والدنيا ..
تذكرهم الألسن بالتجلة والاعتبار ، وتحج لانصابهم الناس من أطراف الدنيا فأقرأ القصة التي تلي :.

انها قصة ابراهام لنكولن الرئيس الأميركي ذو الخلق الكريم ، والتاريخ المشرق في تحرير العبيد وتوطيد الاستقلال الأميركي ..

قص هذه القصة منذ سنوات عديدة رجل هرم جداً ، وكان شيخاً جليلاً مديد القامة معتدلها ، براق العينين ذا سمت يفطن اليه أقـــل الناس ملاحظة .

وكان قد ألتقى برفيقه عرضاً ، وهو أمريكي ، في فندق بيرمودة ، فجعلا يتحدثان .

وكان الشيخ الهرم يتحدث عن حوادث ورحلات ومغامرات ، ولكنه كان يتحمس لصناعته خاصة ، وهي القانون . وكانت عيناه السوداوان تومضان حين يذكر عظماء رجال القانون .

« هراء ... » ودقت يد الشيخ الجليل ذراع الكرسي وقال : « ذلك القول بأن القانون يجعل الناس ذوي طمع وشح ، وأن المحامين إنما وجدوا ليجعلوا عيونهم على جيوب زبائنهم . وأنا رجل هرم جداً ، وقد رأيت أعمالاً حميدة قام بها أطباء وقسيسون ، ولكن من خير ما أعرف هو ما فعله محام في اثناء القيام بمهام صناعته » .

ثم راح يروي الخبر :

« وقف رئيس اللجنة الاقليمية عند باب المكتب المفتوح ، وكان المرشح لمجلس الأمة مكباً على رسالة ، وجعل الرئيس وهو ينتظر ، يتأمل على مهل ذلك الوجه المقطب العاكف على الرقعة ، وكأنه هامة من جبل صخري ، منيع موحش ، كالح ، غير أنه جميل بما يتفتح فيه من مونق الزهر .

« وطوى المرشح الرسالة ودار في كرسيه : « آسف يا (توم) لأني تركتك تنتظر ، وقد كنت أحاول أن أهتدي إلى طريقة يستطيع الرجل بها ان يكون في مكانين في وقت واحد . ويبدو لي أني لن أستطيع إلقاء خطبتي هنا يوم الجمعة »

– لا تستطيع إلقاء خطبتك ! إنك لا شك تمزح .

فهز الرجل الجالس على الكرسي رأسه وقال: « كلا » .. ونهض وجعل يتمشى في الغرفة بخطوات طويلة بطيئة ، وكان الرئيس يتبعه معترضاً :

– إنك لتعلم أن (كارترايت) قد يهزمنا ، وليس من الحكمة إضاعة أية

فرصة .. لأن موعد الانتخابات قريب جداً » .

فوقف الرجل الضخم ، وارتسمت على فمه الكبير ابتسامة غريبة التمعت بها عيناه الحادتان النافذتان .

وقال : « لا أستطيع أن أفضي إليك بالسبب . وأوثر أن لا تسألني عنه ، ولكني لا أستطيع أن ألقي تلك الخطبة هنا يوم الجمعة » .
وانتهى الأمر عند هذا .

وفي صباح الجمعة ، عند مطلع الشمس ، كان المرشح المديد القامة يخترق الشوارع الساكنة في المدينة الغربية قبل أن يستيقظ نوامها .. وكان راجلا فما عتم أن خرج إلى الأرض المكشوفة يقطعها بسرعة ، وما وافت الساعة التاسعة حتى كان قد دخل بلدة في الريف ، على مسافة عشرين ميلا من حيث بدأ .

وكان باب المحكمة مفتوحاً على مصراعيه لاستقبال الصباح الضّاحي ، وجلساتها منعقدة والقاعة غاصة ، فدخل المرشح لمجلس الأمة دون أن يفطن إليه أحد وقعد في آخر صف وكانت القاعة من الداخل ساذجة ، وجدرانها بيضاء وخشبها غير مدهون ، ومقاعدها من خشب ، وأدار المرشح فيما حوله عيناً كأنها ألفت هذا المنظر . وكانت المحكمة تنظر في قضية سرقة ، فأرهف أذنيه وبدا عليه كأنه يدرس القاضي والمحامين ، ولم تفته كلمة مما كان يعقب به الجالسون بقربه ، وانتهت القضية . ثم نهض المدعي وقدم قضية جون ويلسون المتهم بالقتل .

فسرت في القاعة حركة ، وظهر في مدخلها مأمور الضبط يقود صبياً في الخامسة عشرة من العمر ، في ثياب رثة من صنع البيت ، وبين كتفيه رأس وضاء أحمر الشعر ، وكان شاحب اللون مذعوراً ، وكانت عيناه على الأرض . وواجه القاضي ، وهو شاب ، هذا المتهم ، وتمهل مشفقاً ، ثم عالج

أعصابه فشدها .

وسأل : « ألك محام ؟ »

فهز الصبي رأسه الذهبي المنفوش الشعر : « كلا ... لا أعرف أحداً ... ولا مال لي أدفعه »

« هل تحب أن تعين لك المحكمة محامياً ؟ » وسمع في سكون القاعة صوت حذاء يحك البلاط ، ونهض الرجل الجالس في الصف الأخير ، وتقدم ووقف أمام القاضي .

وقال : « إني يا صاحب السعادة محام . ويسرني أن أكون محامي الدفاع » .

ونظر القاضي هنيهة إلى هذا الرجل الفارع الطول المتراخي الأوصال .

وسأله : « ما اسمك ؟ »

فأجاب في هدوء : « أبراهام لنكولن »

• • •

وألقى بعضهم هنا وهناك نظرة اخرى على المحامي الضخم ، فإن هذا هو المرشح لمجلس الأمة ، وكان هذا كل ما دار بخلدهم وما كان أحد من فلاحي الحدود أو أهل الريف الذين يلبسون ما يصنعون في دورهم ، او النساء اللواتي يرتدين العبك وقبعات الشمس — ما كان أحد من هؤلاء الذين سمعوا الاسم ، يحلم بأنه سيكون له مكان رفيع في التاريخ

وأجاب القاضي : « إني أعرف اسمك يا مستر لنكولن ، وإنه ليسرني أن أعينك لتولي الدفاع عن السجين » .

وأخذ المحلفون أماكنهم ، وأدار لنكولن عينيه العميقتين الفاحصتين فيهم واحداً بعد واحد ، ولكنه لم يردّ أحداً منهم ، وبدأ المتفرجون ينظرون

إليه بصبر نافد ، وكان الشعور ضد السجين ، ولكنهم كانوا يودون أن يروا شيئاً من الكفاح عنه .

وبدأ المدعي عرض القضية باسم الشعب ، وقص بإيجاز قصة القتل . وقال إن السجين كان يعمل في مزرعة من يدعى (أموس بيري) في الخريف السابق من عام ١٨٤٥ ، وكان في المزرعة رجل إرلندي اسمه شونسي ، وكان يطيب له أن يتسلى بمعابثة الصبي ومضايقته ، فكرهه الغـــلام . وفي الثامن والعشرين من تشرين الأول كان الغلام يسوق مركبة موقرة بالدريس إلى الضيعة المجاورة ، فالتقى عند بوابة المخازن بشونسي ومعه أموس بيري ورجلان آخران ، وطلب الفتى من أموس أن يفتح البوابة ، وهمّ أموس ان يفعـــل وإذا بشونسي يتكلم ، ويقول :إن الغلام كسول ، وأنه ينبغي ان يترجل ويفتح البوابة بيده ، ونزع الإرلندي المِذْري التي كانت مـع الغلام ووخزه بها وأمره أن ينزل ، فوثب الغلام مندفعاً ، واسترد المذري وألقى بنفسه على الإرلندي وطعنه ، فأنغرزت سن المذري في جمجمته فمات بعد ساعة . هذه هي القضية ..

وكانت ساعة الغداء قد وافت ، فرفعت الجلسة ، وعبر القاضي والمحامون الشارع الى المطعم .

ولكن أحد المحامين اختفى ، ولم ير أحد ذلك الرجل الضخم وهو يمشي في الطريق الظليل مع امرأة هزيلة ذاوية في ثياب بالية ، كانت تجلس في ركن مظلم من قاعة المحكمة وتذرف الدمع في صمت .

« هذه أم السجين » .

قالتها امرأة بصوت خفيض حين أعيدت الجلسة وأجلسها محامي المتهم برفق وعناية قبل ان يتقدم إلى مكانه .

ودعا المدعي شهود العيان وألقى عليهم الأسئلة ، فشهدوا بتفاصيل الجريمة ، وبـدا كأنما لا شك في إدانة المجرم ، وكان منقبضاً منطوياً على نفسه ، ووجهه

ممتقع من عناء الشهر الذي قضاه في السجن، وقد استولى عليه اليأس.. أهو – قاتل وما جاوز الخامسة عشرة .؟

وتقدم النهار ، وصار صوت المدعي الأخن يعلو ويهبط وهو يسأل الشهود ، غير أن المحامي الضخم الجالس هناك لم يبـــد اعتراضاً واحداً حتى على اقوال ضارة جــــداً بالمتهم ، وكان يفحص وجوه القاضي والمحلفين ، وكأنه يدرس شخصية كل رجل . وأخيراً قال المدعي : « انتهينا من الموضوع » ، ورفعت الجلسة للعشاء .

وكان الرأي السائـــد ان الفتى مقضي عليه ، وانه ما من محام ولو كان لوذعياً يستطيع ان ينقذه بعد شهادات كهذه. وكان الرأي ايضاً ان هذا الرجل الضخم العملاق لا يمكن ان يكون محامياً قديراً ، وإلا لاستطاع ان يصنع شيئاً لموكله قبل ان يبلغ الأمر هذا المبلغ . وكان الشعور العام يؤيد الحكم على الفتى ، فإن ارتكاب جريمة القتل في سن الخامسة عشرة ، يدل على فساد يحسن إخلاء الدنيا منه .

وأعيدت الجلسة في منتصف الساعة الثامنة، ولم يكن ثمّ مقعد واحد خالياً، وجلست المرأة النحيفة في ثوبها الرخيص الرث عند المنصة في هذه المرة وقرب ابنها . ودخل القاضي ، ثم نهض ابراهام لنكولن ومشى على مهل بين الصفوف الصامتة ، ووضع يداً كبيرة على كتف السجين النحيلة ، فاضطرب الفتى وخاف فحنى لنكولن قامته المديدة وقال : « لا تخف يا بني » .

قالها بصوت خافت ، ولكن كل امريء سمـــع كل كلمة : « سأخرجك من هذا المأزق ، فحاول أن تتشجع من أجل امك » .

ونظر الفتى إلى أمه الرثيثة الحال ، فقابلت نظرته بابتسامـــة متكلفة ، فحاول ان يبتسم لها ، ورأى الجمهور الجهد الذي بذله كل منهما في سبيل الآخر ، ورآه القاضي ، والمحلفون ، واخذته عينا لنكولن الحادّتان اللتان ترقبان كل

شيء من تحت حاجبيهما الكثين ، ولمح اختلاجة رحمة في أكثر من وجه واحد . فنزع سترته وطواها على ظهر كرسيه ووقف في قميصه .

وبدأ أبرهام لنكولن : « أيها السادة المحلفون ، سأعالج هـذه القضية على نحو غير مألوف في المحاكم ، فلن أدعو شهوداً ، فإن هذا السجين الجالس هناك هو حسبي شاهداً ولن أجادل . وكل ما سأفعله هو اني سأقص عليكم قصة ، ثم أدع القضية بين أيديكم » .

وسرت هزة في قاعة المحكمة ، ومضى الصوت الذي كان في البداية حاداً غير حسن الوقع ، يقول :

— أنت يا جيم بـــك .. أنت يا جاك أرمسترونغ ..

وأشارت الإصبع الضخمة إلى اثنين من المحلفين :

« انتما تستطيعان ان تتذكرا .. نعم ، وانت ايضاً يا لوك جرين.. ما كان منذ خمسة عشر عاماً مضت، حين أقبل من (أنديانا) فتى طويل نحيف في ثياب زرية ، ان مظهره كان من الغرابـة بحيث لا ينساه من يراه . فقد كان يلبس سراويل من صنع البيت أسفلها مدسوس في الحذائين . ايها السادة المحلفون : إني اعتقـــد ان بعضكم يتذكرون هذا الشاب ، الذي كان اسمه أبرهام لنكولن »

وسكت المتكلم المعروق الوجه ورفع كميه قليلاً ، فرأى المحلفون الرسغين المكسوين بالشعر وعضـــلات الكف والذراع ، نعم تذكر بعضهم العمـــلاق الشاب الذي كان بطلاً في كل ما يدور على القوة البدنية .. وجلسوا مرهفي الآذان .

ومضى الصوت القوى يقول ، وقد رقت نظرة العينين كأنما يديرهما صاحبهما في طريق طويل قطعه : « إن خير شطر من حياة الانسان يشتمل على صداقاته. وفي هذه الأنحاء أصدقاء أوفياء يمكن ان يكسبهم الإنسان ، وقد كان لهـــذا

لشاب ذي الثياب الزرق بعض الأصـــدقاء . وسأسوق اليكم نبأ أسرة أولته عطفها وودها ..

« غادر الشاب أبرهام لنكولن بيته في الثانية والعشرين من عمره لينشد رزقه ، ولم يجـــد العمل دائماً في تلك الأيام القارصة . وفي عصر يوم من أيام الخريف ، بعد ان قطع اميالاً واميالاً بحثاً عن عمل ، سمع ضربة فأس ، ووجد كوخـــاً ، وكان الكوخ حقيراً حتى بالقياس الى أكـواخ الروّاد ، وكان على النوافذ قماش بدلاً من الزجاج ، وفي الكوخ غرفه واحدة فوقها غرفة صغيرة . فتقدم ابرهام الى الكوخ يحدوه الأمل وطلب المأوى » .

وكفّ الصوت مرة اخرى ، وشاعت في وجهه ابتسامة للذكرى الجميلة :

– ايها السادة المحلفون : ما فاز ملك قط بأجمـــل مما فاز به ابرهام من الترحيب . فقد قال صاحب ذلك الكوخ له : إن كل ما يملك هو له .. وأدخل الشاب المتعب في الكـوخ ، وكان فيه طفلان صغيران يلعبان على الأرض وامرأة صغيرة الجسم تغني طفلاً بجانب الموقد لينام ، وصعد الضيف الى الغرفة العليا بعد العشاء .

« وفي صباح اليوم التالى ، بعد ان عاون في بعض الأعمال ، سأل : هل ثم عمل له يزاوله ؟

فقال الرجل: نعم ، يوجد عمل كاف اذا كان يستطيع ان يقطع الخشب ويشذّ به .

وسأله الرجل : أتحب ان تعمل ؟

فقال له أبرهام : إنه قد لا يصلح لعمل مثل قتل الأفاعي ولكن ..

وكانت النتيجه انه اقام واثبت قدرته على القيام بعمل رجل ..

وعاش ابرهام خمسة اسابيـع في هذا الكوخ ، فـكان يحتطب مع الأب ، ويساعد الأم في اعمال البيت ، ويلاعب الابن كثيراً ذلك الطفل البسام الذهبي الشعر . وهو لا يعرف شطراً من حياتِه كان فيه اسعد واحلى بالاً » .

وتناول المحامي سترته ، وكانت كل عين عليه في المحكمة ، فدس يده في جيبه واخرج رسالة .. ومضى يقول :

« وقد انتقلت الحال بهذا الشاب المدين بكل هذا الفضل العظيم ، الى ما هو أرغد واخصب فيما بعد . واستطاع بفضل الله وبحسن الحظ ان يتبوأ مكاناً في المجتمع وقد حافظ – حافظت على قدر ما يستطاع على الاتصال بهؤلاء الأصدقاء القدماء – ولكن في غمرة المشاغل الكثيرة لم يأتني منهم خبر في السنوات الأخيره حتى كان صباح الاثنين الماضي ، فجاءني هذا في سبرنفيلد » ورفع يده بالرسالة :

« انها رسالة من الأم التي رحّبت بشاب مكدود في كوخها المتواضع ، وقد مات زوجها منذ سنوات ، وتبعه الولدان الكبيران . اما الام التي كانت تغني طفلها عصر ذلك اليوم الغابر » ..ودار وأشار الى المرأة الصغيرة المتقبضة على المقعد الأمامي . « فهذه هي ! »

وهوت ذراعه ، وأضاءت عينه وهو يصوّبها الى رأس الفتى المجرم الذهبي الشعر ، ولم يكن في القاعة من لم يسمع كل مقطع من الجملة التالية :

« اما الطفل فهو هذا السجين الماثل امامكم ! »

وسمعت شهقة في هذه القاعة الحارة المزدحمة ، وحفيف ثوب امرأة ونحنحة رجل ، ثم ساد صمت تركه محامي الدفاع يفعل فعله ويقوم عنه بما يريد ، فقد كان السكون يصوغ له العقول كما لا يستطيع الكلام ان يفعل ، وكان الناس في القاعة من رجال ونساء يحركون اقدامهم او يتنهدون ، وقد أفعمت قلوبهم بما اورثهم هذا الصمت .

وفي اللحظة المناسبة ، تناول المحامي الأطراف المنهوكة من اعصاب الجمهور كما يتناول السائق أعنة خيله القلقة ، وارتفع صوته قائلاً :

« وما اكثر ما تذكرت – وكان يتكلم كأنما يفكر بصوت عال – ما اكثر

ما تذكرت تلك الأسابيع من الحنان الذي لا ينضب معينه من هؤلاء الناس المساكين ، ودعوت الله ان يتيح لي ان اثبت لهم شكري لفضلهم ، فلما جاءتني الرسالة يوم الاثنين الماضي تطلب المعونة ، أيقنت ان الله استجاب لي ..

« ويتفق احياناً ان تجيء استجابة الدعاء مقترنة بطلب تضحية ، وهذا ما كان من امري . فقد كانت هذه الليلة في حياتي هي التي تمثل الذروة في سنوات من الطموح ، وكان علي ان ألقي خطبة يحتمل ان تفضي الى النجاح او الإخفاق . وقد وضعت هذا النجاح ، او الإخفاق اذا جاء به الزمان ، على مذبح سلامة هذا الفتى ، وانا مغتبط بذلك ، وعليكم انتم – وادار عينه القوية في المحلفين – ان تنيلوه هذه السلامة .

« أيها السادة المحلفون : قلت في البداية إني سأعالج هذه القضية على نحو غير مألوف ، وقلت إنه ليس عندي حجة اطرحها امامكم وقد قصصت عليكم القصة ، وانكم لتعلمون انه في السن التي تحمل فيها يد الغلام الكتب المدرسية او ادوات الصيد ، حملت يد هذا الفتى آلات الرجال فكان فيها الوبال . وانتم تعلمون كيف ان الغلام ظل يستفزه رجل كبير حتى نفد صبره ، فاستعمل الآلة التي كانت في متناول يده . تعرفون هذه الأشياء كما اعرفها ، وكل ما ارجوه هو ان تعاملوا هذا الغلام الصغير كما تحبون ان يعامل غيركم صغاركم في البيت . وهذه حياته بين ايديكم . ايها السادة المحلفون لقد انتهيت وختمت كلامي » .

وجلس أبرهام لنكولن .

وبعد برهة خرج المحلفون وعبروا الشارع الى غرفة في فندق مواجه للمحكمة ، ومضى نصف ساعة ، وحدثت حركة ، وعاد الذين كانوا قد غادروا قاعة المحكمة متزاحمين ، وشدت المرأة الصغيرة الضاوية الجالسة في

المقعد الأمامي يديها النحيلتين ، ورجع المحلفون وقعدوا . وقال رئيس الجلسة بصوت ممل : « ايها السادة المحلفون ، هل اتفقتم على حكم ؟ »

فقال رئيسهم : « نعم » .

« ما هو حكمكم ؟ مذنب او غير مذنب ؟ »

ومضت هنيهة لعلها ثانية لم يتنفس فيها احد في هذه القاعة الغاصة ، وحدقت المرأة الصغيرة بوجه ممتقع في رئيس المحلفين ، وكانت كـــل عين ترمقه ، إلا الفتى فقد كان لا يبدو عليه انه مصغ وهو جالس ورأسه الذهبي مثني على صدره .

وقال الرئيس : « غير مذنب »

فكانت الفوضى ، وراح الرجال يصيحون ويدبدبون ويلوّحون بأيديهم ويطوحون بقبعاتهم في الهواء ، والنساء يبكين ، وصرخت واحدة او اثنتان وقد استخفهما الفرح ، ونظر ابرهام لنكولن فإذا الغلام النحيف يتطوّح ويكاد ينكب على وجهــه ، فأسرع اليه وتلقاه بين ذراعيه الكبيرتين ، ورفعه فوق الحاجز ووضعه بين ذراعي المرأة التي راحت تهزه وتقبله ، واقبلت القاعة كلها عليها ، غير ان لنكولن وقف كالحارس وردّ الجمهور .

وقال بصوت عال : « لقد أغمي على الغلام ، فدعوه يتنفس » .. ثم قال بابتسامة ، « لقد عاد اليها طفلها .. إنها بخير يا اخواني ، ولكن هاتوا جرعة من ماء للغلام » .

• • •

انتهت قصة الرجل الهرم ، وبعـد لحظة من الصمت عاد الى الكلام كأنما يريد ان يرد على اعتراض من جليسه :

— بالطبع مثل هذا لا يمكن ان يحدث اليوم ، وما كان يمكن ان يحدث في محاكم الولايات الشرقية . ولعل أحداً غير لنكولن لم يكن ليقدر عليه ، ولكنه

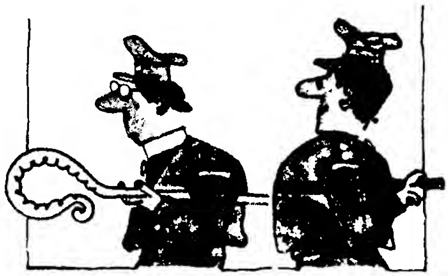
كان يعرف جمهوره ومخلفيه ، وصدقت فراسته في شخصية القاضي ، فكان ما قصصت ، وهو امر واقع »..

فألقى السامع على الرجل الهرم نظرة فاحصة ثم قال :

ـ هل لي ان اسأل كيف وقعت على هذه القصة ؟ لقد رويتها بلهجة العليم الواثق حتى كأنك كنت حاضرها . فهل كنت فيها ؟ ام هل كنت في تلك القاعة ؟ » .

فالتمعت عينا الرجل السوداوان البراقتان وابتسم ابتسامة غريبة ، كأنما ارتـــدّ الى نصف قرن مضى ، واخـــذ يبتسم وهو يقول :

ـ لقد كنت انا القاضي ..



- ٣٥ -

عش هادئ الأعصاب تنجح

تمالــك اعصابك

لو علم المرء مدى العلاقة بين اعصابه واعضاء جسمه ووظائفها المختلفــة ، لعمل على الاحتفاظ بهدوء اعصابه ، ليعيش سليماً معافى . ولكن الكثيرين يعتقدون ان الجهاز العصبي لا يسيطر إلا على اعضاء الجسم الخارجية فقط ، فلا يتحكم إلا في الحركة والمشي والكلام .

والصواب انه يسيطر على جميع الأعضاء والأجهزة الداخلية بما فيها القلب الأوعية الدموية ، والجهاز الهضمي والتناسلي والبولي والرئتين . .

ويجب ان يعلم المرء ان المؤثرات النفسية المختلفة مهما كانت بسيطة تؤثر في وظائف كثير من اعضاء الجسم وافرازات غــدده الداخلية ، فعند خوفه او غضبه تزداد ضربات قلبه ويرتفــع ضغط دمه وترتجف اطرافه ، وكثيراً ما يتصبب منه العرق . ويصاب كثير من الطلبة باسهال او ادرار في البول قبيل دخول الامتحان .. اما في الفرح فينخفض ضغط الدم ويشعر الانسان بنشاط

غريب وتزداد شهيته للأكل .

وقد اثبت الطب الحـــديث ان كثيراً من الأمراض العضوية كارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية والبول السكري وقرحات المعدة وتقلص القولون والربو والأرتيكاريا والصداع تنشأ في اكثر الأحيان من الاضطرابات النفسية ، وقد امكن شفاء كثير من هذه الحالات بالعلاج النفسي بعد ان فشلت فيه جميع الوسائل الأخرى . وتظهر هذه الأمراض او بعضها في الشخص المنطوي على نفسه ذي المزاج المرهف ، اذا تعرض لصدمات نفسية شديدة ولم يتمكن من التغلب عليها ، وحينئـــذ تتوتر اعصابه فتضطرب وظائف جسمه وغالباً ما تتركز الاعراض في عضو من جسمه ، خصوصاً اذا كان عضواً ضعيفاً في الأصل . واذكر حالة صـــديق كان يعاني ازمة نفسية حادة بسبب تخطيه في الترقية ، فأصيب بذبحة صدرية شديدة كادت تودي بحياته ، فلما انصفته الحكومة ونال ترقيته ، هدأت اعصابه ، وشفي من مرضه .

ولكي تعيش بأعصاب سليمة يجب عليك ان تتجنب التفكير المستمر والعمل المتواصل فان لنفسك كما لبـــدنك عليك حقاً ، فعليك ان تنسى عملك بمجرد انتهائه ، وان تخلد الى الراحة من اعمالك ومشاغلك كلما سنحت لك الفرصة وعليك ان تغتنم عطلة آخر الاسبوع والعطلات الصيفية لتحقيق ذلك ، ويجب ان تقضي هذه الفترات بعيداً عن محيط عملك ، في رحـــلات بعيدة او رياضة نافعة ، فاذا عدت الى عملك كنت هادىء البال نشيطاً . ويمكنك ان تستلقي مدة كل يوم في الفراش مسترخياً ، في هـدوء ، غير مفكر في شيء ، فتشعر بعدها براحة نفسية وبدنية .

واحذر الهم والغضب واليأس فهي اعدى اعدائك ، وعواقبها وخيمة . فالهم قاتل ، ويجب عليك ان تتغلب عليه بازالة اسبابه وبقوة ارادتك وإيمانك. اما الغضب فتذرع له بالحلم وابدأ يومك بهدوء وابتسامة ، وستجد ان ليس ثمة

ما يوجب الغضب في اكثر الأحيان .

ويجب ان تتخذ قراراً معيناً في كــل موقف او صعوبة تقابلك بعد روية وتبصر ، وان تسعى لتحقيق هذا الهدف بصبر وجلد ، واحذر المواقف المعلقة وانصاف الحلول فانها تؤدي بك الى التفكير المستمر والقلق الشديد . ولا تندم على شيء فات او خسارة اصابتك ، فلا فائدة من الندم . وليكن ذلك الموقف او تلك الخسارة حافزاً قوياً يدفعك الى الامام . واعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وعش هادىء الأعصاب ، تعش سليماً معافى .



- ٣٦ -

لتنجح في الحياة ... تعلّم كيف تتكلّم

•

طلاوة الحديث

دعيت الى تناول العشاء مع صديق قـــديم كان زميلاً لي في ايام الدراسة . وبعد ان جلسنا الى المائدة ، ومعنا زوجته وولده ، اخـــذ يتمتم بكلمات فهمت انها صلاة الشكر ، ولكنني لم اميّز منها كلمة واحدة . ولم تمض بضع دقائق حتى اشار الولد الى لون من الطعـــام وتفوه بكلمات مبهمة لا تختلف كثيراً في طريقــة نطقهــا عن طريقــة والده ، فغضب الوالد على الفور ، وصرخ في وجه ابنه قائلا :

« قلت لــك الف مرة يجب ان تتكلم بوضوح حتى يستطيــع السامع ان يفهمك » .

وتنهدت الأم ثم عقبت في صوت مضطرب تؤيد زوجها فيما ذهب اليه . وتجهم الولد ثم غادر الغرفة وهو يبكي ، فقال صديقي موجهاً الحديث إليّ :

- لست ادري ماذا اصنع مع هـذا الولد ... انه يغمغم دائماً ولا يقول شيئاً واضحاً ، ولست ادري ما علة هذا الغموض في الحديث ؟

فقلت على الفور :

- انك انت وزوجك المسئولان عن ذلك . فانتما تأكلان اواخر الكلمات ، والصبي في الواقع يقلدكما .

ولمست لأول وهلة انها جرحا في شعورهما ، ولكن سرعان مـا اعترف الوالد بهذا النقص فيه ثم قال في هدوء :

- قد تكون مصيباً فيما تقول .. ان رئيسي في العمل ابدى غير مرة عجزه عن متابعة ما اقول ، ولكنني كنت اغضب حينـذاك واحسب انه يتعمد التعريض بي امام زملائي » .

وقالت الام : « واحسب انك محق ايضاً فيما ذهبت اليه بالنسبة لي . لقد حاولت مراراً ان اعبر عن رأيي خلال انعقاد مجلس ادارة الجمعية التي اشتركت فيها اخيراً ، ولكن الخوف كان يتملكني في كل مرة ، فيضطرب الحديث ولا ألبث ان ألوذ بالصمت »

وتمثلت في مخيلتي حينذاك صور مئات من معارفي الذين يشكون من عيوب في الحديث متشابهة ولكنهم لا يفطنون لها .

ذكرت صديقي رجل الدين الذي كان رغم ذكائه وسعة اطـلاعه لا يكاد يلقي عظة حتى يسخرّ منه السامعون ، او يغطون في النوم قبل ان يفرغ منها ، وكان الدم يتجمد في عروقه كلما دعي الى الاجتماع مـع رؤسائه في لجنة او مؤتمر . ولهذا كانت تسند اليه في كل عام وظيفة اقل من سابقتها .

وتذكرت صديقاً ذكياً نشيطاً ، ضاعت منه فرص كثيرة للتقدم في عمله ، وذلك لانه كان يفأفئ حديثه ، ويتحاشى ان يتصل برؤسائه وان يتفاهم معهم .

وكذلك تذكرت مـدرسة شابة جميلة ، اتت إليّ يوماً وهي تبكي ، ثم ذكرت انها لن تعطي درساً آخر في التاريخ ، لان تلميذاتها أخذن يضحكن منها اثناء الدرس لغير ما سبب ظاهر ..

في جميع هذه الحالات ، كان العيب الرئيسي مضـــغ الكلمات وادماج احداها في الاخرى ، كما كان الخوف من الكلام يعوق المتكلمين عن التعبير عما يدور بخلدهم بطريقة مفهومة واضحة .

حدثني مدير احـــدى المؤسسات عن شاب ذ كي ، ابتكر طريقة طريفة لزيادة الانتاج ، فلما طلب اليه ان يشرح طريقته في الاجتماع الاداري الخاص بهذه البحوث ، خجل وتملكه الخوف من الكلام وسط جمع من كبار موظفي المؤسسة ، فاعتذر عن الحديث وانسحب من الاجتماع . وكان ان قام زميل له بشرح تلك الطريقة في اجتماع آخر ، فعهد اليه في تنفيذها . ولم يلبث ان رشّح لوظيفـــة كبيرة ، بينما ظل الشاب صاحب الفكرة كما هو لم يتقـدم في وظيفته .

وليست حاجة المرء الى القدرة على الكلام الواضح المقنع وليدة اليوم ، فقد فطن « ديموثيتس » الى ذلك منذ عدة قرون ، فأخذ يدرّب نفسه على اجادة هذا الفن حتى غدا اكبر خطيب في اثينا .

وقد قضى (ابراهام لنكولن) فترة طويلة في صـــدر شبابه يتدرب على الالقاء كي يؤثر في نفوس سامعيه ، فنجح في بلوغ هدفه وتحقيق امنيته . وأصبح رئيس الولايات المتحدة ..

وكان (تشرشل) كثير التلعثم في حديثه وهو صغير ، وكان معروفاً بصوته المنفر ، ولكنه ما لبث ان تغلب على هذه العيوب واصبح من الخطباء المعروفين.

العبارة الواضحة

ولعل من اسباب نجاح فرانكلين روزفلت ، وايزنهاور ، قدرتهما على تصوير آرائهما وعرضها في عبارات واضحة ولهجة غير منفرة .

ولا تحسبن المهارة في الحديث والالقاء وقفاً على الموهوبين ، فقـد منحتك

الطبيعة كما منحتهم، جميع الآلات الصوتية اللازمة للكلام الجيد المفهوم. ولكن الفارق بينك وبينهم انهم يعرفون كيف يستخدمون جميع اجزاء هذه الآلات، وكيف يلائمون بينها فلا يجهد احدها بينما تظل الاخرى عاطلة.

ولو أتيح لك ان ترى – بالأشعة – مرة كيف تحدث الاصوات عند الانسان لرأيت ان المرء يستنشق الهواء، وقود الصوت، ثم تدفعه عضلة الحجاب الحاجز الى اعلى، فيندفع داخل القصبة الهوائية ثم الحنجرة «الدهليز» وهو اعلى جزء فيها، ويجد من اعلى بوتري الصوت الكاذبين ومن اسفل بوتري الصوت الحقيقيين اللذين يهتزان بقوة اندفاع الهواء محدثين بعض النغمات. وهذه تصل الى الفم والأنف – اللذين يكبران الصوت – فتتحول النغمات إلى حروف عن طريق اللسان وسقف الحلق والشفتين والفك. ونطق الحروف المتحركة يكون بتغيير شكل الفم وحجمه. اما نطق الحروف الساكنة فيكون بايقاف النغمات عند الدهليز.

والمتكلم الجيد يستخدم الاعضاء التي تشترك في احداث الصوت. ومعنى هذا انه يتنفس بانتظام، ويحتفظ بالأوتار الصوتية حساسة لينة سهلة الانثناء. وهذا يعني ايضاً استرخاء جميع اجزاء الفم عند الكلام، وبذلك تخرج الكلمات واضحة، ويكون الصوت رخيماً قوياً. ثم تأتي بعد ذلك مسألة السرعة اذ ينبغي ألا تزيد سرعة الكلام على ١٢٠ كلمة في الدقيقة، ولا ان تنقص عن ذلك كثيراً. على ان المتكلم اللبق يقسم حديثه الى مجموعات من الجمل ذات مغزى. ثم يقف بين الواحدة والاخرى وقفة طبيعية يستعيد بها قدرته على الالقاء ورخامة الصوت..

فإذا كنت تحس ان كلامك مبهم مضطرب ونبرات صوتك تثير سخرية السامع او لا تسترعي التفاته، فجرب التمرينات التالية عشر دقائق كل يوم لمدة شهر.

١ – خذ نفساً عميقاً، ثم الهث في سرعة ونشاط حتى تتعب. ثم حاول ان تضحك وانت تستنشق الهواء ببطء عدة مرات. وحاول عند الزفير ان

تكرر كلمتي « هات » و « هوت » ولا تيأس اذا اجهدتك هذه التمرينات في الأيام الأولى ، فان ذلك يدل على ان عضلة الحجاب الحاجز عندك في حاجة الى تنشيط .

٢ — لتنشيط عضلات الزور والفكين ، حول رأسك في حركات دائرية . ثم تثاءب وادر فكيك ببطء من جانب الى جانب . ثم اقرأ في همس وبسرعة حتى تتعب الأوتار الصوتية . ان بعض عيوب الكلام ترجع الى ضعف نبرات الصوت والى سوء نطق الحروف التي تتكون بتحريك اللسان والشفتين والاسنان وسقف الحلق والفكين في اوضاع مختلفة . وهذه التمرينات مفيدة لتلافي هذه العيوب .

٣ — اذا كنت « اخنب » اي كان كلامك يبدو كأنه صادر من انفك ، فان ذلك يرجع الى انك تسد انفك اثناء الحديث ، فتحرم نفسك بذلك من «مكبر» ومرشح مهم للصوت . هذا اذا لم تكن في فتحتي الأنف زائدة او غيرها من الحواجز المرضية التي ينبغي علاجها واستئصالها . وعندئذ حاول ان « تدندن » لبضع دقائق ، وان تعوّد نفسك اخراج الصوت من الأنف بالإكثار من ترديد كلمات تنتهي بالحرفين « م » و «ن» او المقطع« انج » مثل «عوم» ، « لون » « باذنج» و « لارنج » وهكذا .

وهذه نصائح تستطيع اذا اتبعتها ان تصبح خطيباً مفوهاً .

١ — انظر الى الذين تتحدث اليهم . . سواء اكانوا شخصاً واحداً ام الف شخص.

٢ — افتح فمك جيداً وانت تتكلم ودع الكلمات تخرج واضحة وبصوت عال.

٣ — ليكن فمك خالياً من لفافات التبغ او العلكة وما شابهها .

٤ — اجلس او قف معتدلاً ، بحيث تكون عضلات حلقك وفكيك مرتخية حتى تستطيع ان تتنفس وان تتكلم بسهولة .

٥ — كن منبسط الأسارير ، وانت تلقي خطاباً ، شديد الثقة بنفسك مؤمناً بحديثك .

تمّ الكتاب

فهرس الكتاب

صفحة

مقدمة الكتاب ٥
١ – صحتك تطيل شبابك وسعادتك ٧
٢ – عالج نفسك اولاً ١٦
٣ – كن شجاعاً في حياتك ٢٦
٤ – قواعد النجاح ٣٠
٥ – لا تحمل هماً ٣٦
٦ – الشباب الدائم ٤٠
٧ – كيف تكسب الأصدقاء ٤٨
٨ – الحياة قصيرة فلنسعد فيها ٥٤
٩ – لا تفكر بالحساد والمنافسين ٦٠
١٠ – الاعتراف بالجميل جميل ٦٥
١١ – انتقاد العظماء الناجحين ٧١
١٢ – انك ناجح اذا اردت ٧٥
١٣ – اقتحي طريق النجاح لزوجك ٨٣
١٤ – عين أهدافك ٨٩
١٥ – النجاح بعد الفشل ١١٠
١٦ – الكياسة طريق النجاح ١١٣
١٧ – تجنب الفشل تنجح ١٢٤
١٨ – الالهام في نجاحك ١٢٨
١٩ – دعائم النجاح والسعادة ١٣٣
٢٠ – سعادتك ابحث عنها ١٤١
٢١ – قواعد عملية للنجاح في الحياة ١٤٧

٢٢ — نصائح الصباح	١٥٧
٢٣ — تمتع بحياتك	١٥٩
٢٤ — استفد من الفرص	١٦٥
٢٥ — عش سعيداً	١٧٠
٢٦ — لا تيأس من النجاح	١٧٥
٢٧ — كيف تزيد مرتبك ؟	١٧٨
٢٨ — تفاءل فأنت قوي	١٨٣
٢٩ — اعرض خدماتك وافكارك على الناس	١٨٧
٣٠ — الحظوظ في الحياة	١٩٥
٣١ — لماذا لا تستمتع بحياتك تماماً ؟	٢٠٤
٣٢ — اضبط عواطفك	٢٠٨
٣٣ — اعمل والعب	٢١٣
٣٤ — محامي الدفاع .. كانوا رجالاً	٢١٧
٣٥ — عش هادىء الاعصاب تنجح	٢٢٩
٣٦ — كيف تنجح في الحياة ؟	٢٣٢

طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت . شارع سوريا
تلفون ٢٣١٩٣٠ ص . ب ١٣٩٠